تاريخ المصريين ٢١١

إمارة الرها الصليبية

دكتورة علية عبد السميع الجنزوري

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د.عبد العظيم رمضان

مدير التحرير
محمود الجزار

دكتورة علية عبد السميع الجنزوري

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

إمارة الرها الصليبية

صفحة لها خطورتها في تاريخ الجهاد الاسلامي والمحاولات العديدة التي بذلها الصليبيون في امارة الرها لتمزيق وحدة المسلمين واقامة حاجز بين بلاد العراق من ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية اخرى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الإهداء

« إلى زوجي العزيز الذي كان لتشجيعه
المستمر لي أكبر الأثر في إتمام هذا البحث »

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية»، للأستاذة الدكتورة علية عبدالسميع الجنزورى، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره فى هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة علية الجنزورى بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «والحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالى يتناول تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتورة علية الجنزورى، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية.

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« تقـــديم »

مازالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستاثر بجهود كثير من الباحثين فى ميدان التـــاريخ وخاصـــة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشـاط الصليبيين فى بلاد الشام بوصفها الهدف الأول للحملات الصـــليبية ـــ فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية ـــ ما تاثر تاثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشـــاط صليبى واسع المدى ، لا يقـــل فى بعض مراحله عن النشاط الصليبى بالشام .

من ذلك ما شـهده اقليم الجـــزيرة فى بلاد العراق من نشاط صليبى واسع النطاق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . ذلك أن الظروف شـــاءت ان تقوم أولى الامارات الصليبية التى أسسها الصـــليبيون فى الشرق الأدنى فى الرها وما حولها من أراض وبلاد ، وهى منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى فى ذلك العصر . وجاء قيـــام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذانا ببداية مرحلة جديدة فى تـــاريخ تلك المنطقة ، وهى مرحلة شهدت صراعا عنيفا ـــ يظهر حينـــا ويستتر أحيانا ـــ بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف مللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واتراك وتركمان وعرب ، فضلا عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من أنفسهم أرستقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحمـــاية الكيـــان المسيحى وسط المحيط الاسلامى الكبير .

ولا شك فى ان الموقع الجغرافى لامارة الرهـــا الصليبية اســـهم الى حـــد كبير فى اضـــفاء قـــدر من الأهميـــة على الدور الذى قـــدر لتلك الامارة أن تلعبه على مسرح الأحـــداث حتى ســـقوطها ســـنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسى بين الموصـــل وحلب

وهما أكبر قوتين اسلاميتين فى شمال العراق والشام فى ذلك الدور - مما جعل منها عقبة فى طريق قيام اية وحدة اسلامية تربط بين شمال العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعها فى الشمال الشرقى بالنسبة لبقية الامارات التى اسسها الصليبيون فى الشرق الادنى جعل منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمى البناء الصليبى فى ذلك الاتجاه . فاذا اضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحى فى ارمينية وشرق الاناضول من ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، ادركنا خطورة الدور الذى نهضت به امارة الرها الصليبية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت به المنطقة التى قامت فيها امارة الرها من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى . على ان حسن الحظ شاء ان تتصدى لعلاج هذا الموضوع الدكتورة عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورة عليه الجنزورى — التى تتلمذت علينا فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن ان يتصف به باحث ناجح ، من حيث الجراة فى التصدى لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها ، مع التحلى بروح الصبر والمثابرة فى تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة الى التنويه بالجهد الذى بذلته الدكتورة عليه الجنزورى فى تاليف هذا الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح الصابر ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داعيا للدكتورة عليه الجنزورى بالتوفيق فى مواصلة طريق البحث . وانى لعلى يقين من انها — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الأصيل ان شاء الله .

دكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما فى تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامى كانت هذه الحروب بمثـابة زلزال مروع حل بينـاء قديم ، فأصابه بشرخ عميق . ذلك أن الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق فى وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم فى الأرض العربية ويقيموا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الأولى عن اقـامة اربع امارات صليبية فى كل من الرهـا وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منـها دورا كبيرا فى الصراع الذى دار بين المسـلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى فى عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الأمر فى نهاية القرن الثـالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة السـالفة الذكر تقـع فى أرض الشـام ، فان امارة الرها تميزت بوقوعها فى أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيـا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبى فى الشرق الأدنى . ومعنى هذا أن امارة الرها صارت بالنسبة لبـاقى الامـارات الصليبية بالشـام بمثابة درعها الواقى من ناحيتى الشرق والشمال الشرقى ، ويشبهها من بعض النواحى فى هـذه الصفة امارة انطاكية فى شمال بلاد الشام مع ملاحظة أن الخطر البيزنطى الذى تصدت له امارة انطاكية كان لا يقـارن بخطر السلاجقة والتركمان الذى كان على امـارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا أن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق الأدنى انما يدور حول نشـاط تلك الامارات . ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نذكر أن هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وانما امتد ليشمل آفاق مجتمع صليبى قـدر له أن يعيش عدة أجيـال وسط أرض غريبة لها اوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن اوضاع المجتمع الصليبى . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . واذا كانت مملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت ـ بحكم مكانتها ـ بالقسط الاكبر من جهود الباحثين ، فان امارتى انطاكية وطرابلس مازالتا تحت اضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات العلمية عنهما .

اما « امارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ ان نصيبها كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وان ظهرت بعض الدراسات المحدودة التي تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الامارة انصب اغلبها على النواحى السياسية والحربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا هو الذى اثار احساسنا بحاجة امارة الرها الى مزيد من الضوء على تاريخها ، مما دفعنا الى دراستها دراسة متكاملة متخصصة فى هذا البحث .

وربما كان من الاسباب التى لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا فى تاريخ امارة الرها الصليبية هو ان هذه الامارة كانت بمثابة جزيرة ارمينية وسط بحر اسلامى بيزنطى واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الاصلية لها لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل ايضا تتطلب الرجوع الى مصادر عربية اسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية والسريانيـة .

وقد حاولت فى هذه الدراسة ان استقى المعلومات التاريخية الخاصة بامارة الرها من كافة المصادر الاصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن الاستفادة من آراء المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى تاريخ الحروب الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة تاريخية واضحة لامارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة الى الدور الحيوى الذى قامت به هذه الامارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ ـ ١١٤٤ ـ ١١٤٦م/٤٩٢ ـ ٥٣٩ ـ ٥٤١هـ) فى الصراع الاسلامى الصليبى طوال مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة ان موضوع « امارة الرها الصليبية » كان موضوع رسالتى فى الدكتوراه . ولما وفقت بعون الله فى الحصول عليها ، رأيت ان من اولى واجباتى تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، ان افكر جديا فى نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخى الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى فى فترة الحروب الصليبية . وبذلك أكون قد أسهمت بقدر ـ هو اقصى ما سمحت به طاقتى وجهدى ـ فى سد احدى الثغرات التى كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعنى الآن قبل البدء فى طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدأ برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى اشرف على هذا البحث وساعدنى فى اختيار موضوعه . ولا يخفى أن الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية فى العصور الوسطى فى مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف ان احظى باشرافه وان انهل من علمه وأدبه وتوجيهاته فى المنهج العلمى وفى الرجوع الى المصادر الأصلية ، وان قلمى ليعجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة انه كان باستمرار مخلصا فى نصيحته ، عالما فى نقده ، والدا فى حلمه ، قويا فى صبره ، مؤمنا صالحا فى علاقاته ، قاسيا امام الخطأ ، رحيما عند المقدرة .

كذلك لا انسى ايضا فى هذا المجال أن اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى استاذتى الفاضلة وأمى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف أستاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ـ والتى اشتركت فى الاشراف على بحثى هذا ـ لما قدمته لى أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من صعاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالاضافة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا فى اتمام هذا البحث .

وفى النهاية لا يفوتنى أيضا ان اتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل فى تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى أثناء جمع مادة هذا البحث واخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خضره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل مشكورا بمساعدتى فى ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتى افادتنى فائدة جمة فى سد الكثير من الثغرات اثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اتقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مسترايحى عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص فى الدراسات الأرمينية الذى تفضل مشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الأصل الأرمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتى تنشر لأول مرة ، حيث اننى قد اوردتها بالكامل كملحق فى نهاية هذا الكتاب ، فقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة — ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

فى ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديصان — أحد آباء معهد الدراسات الشرقية للدومنيكان — اشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب منصور سيريح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الأرمينى حتى لا تغير الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلى ، وبالفعل تولى سيادته مشكورا مهمة تقديمى للأب منصور فرحب بتلك المهمة . لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة كميكروفيلم حتى تسهل مهمة الترجمة . وهكذا استطعنا فى النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه القصيدة الجديدة الهامة فى هذا البحث .

ولا أنسى ايضا أن أتقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة الآباء الدومنيكان الذين افادتنى مكتبتهم افادة كبرى واخص بالذكر الأب جورج شحاته قنواتى مدير الدراسات الشرقية للدومينيكان والأب ديصان والأب كورتلياريه . كما أتقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس والاسكندرية .

والله ولى التوفيق "

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا فى بحثنا هذا على عدة مصادر ثقه اصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وارمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عـدة مراجع حديثة عربية وافرنجية استفدنا منـها فى نقل بعض الآراء بل وفى الوصـول الى بعـض الحقـائق التى اخذتها عن مصـادر لم نسـتطع الوصول اليها .

وقد افادتنا بعض هذه المصـادر فى غالبية اجزاء الرسالة اما البعض الآخر فقد افادتنـا فى اجزاء محدودة دون غيرها .

يأتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة **المصادر اللاتينيـة** التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنـا على غالبيتها فى مجموعة مؤرخى الحروب الصـليبية Recueil des Historiens des Croisades وسنكتفى هنا بالاشارة الى اهمها :

اولا : Gesta Francorum او (Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium)

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر Foulcher de Chartres

وكان فولشر هو القسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م . وصحب روبرت الثانى دوق نورماندیا فى الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م .(١) ثم انضم الى بلدوين البولونى مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشار فولشر الى ذلك فى كتابه(٢) ـ واصبح قسيسا لحملته(٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحمـلة الصليبية الأولى ـ فهو يغطى الفترة ما بين

---

(١) Encyclopaedia Britannica, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid. T. 3, p. 337.

(٣) Runciman : A History of the Crusades, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالى فقد عاصر قيام امارة الرها وشهد أرهى أيام تاريخها ثم روى فى تاريخه الأحداث التى شاهدها بنفسه(٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام الأول من ١٠٩٥م الى ١١٠٠م والثانى ينتهى ١١١٨م . والثالث ١١٢٧م(٥) .

اما المصدر اللاتينى الثانى فهو : (Historia Hierosolymitanae Expeditionis او Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro). الذى الفه البرت د/ اكس او الاكسى Albert d'Aix وهـذا المؤلف يقـع فى اثنـا عشر كتابا . كتبه البرت فى الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى ١١٣٠م . وهو يعتبر من أهم مصـادر الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينيـة حتى ١١٢١م(٦) .

حقيقة ان البرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان فى تدوين كتابه بالمصـادر المعروفة فى ذلك الوقت كما نقل عن اصـول اخرى اندثرت ولم تصل الينا واستمع الى عدد ممن اشتركوا فى الحملة واطلع على بعض المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك يأتى المصدر الثالث الذى أبادنا بدرجة كبيرة فى كل اجزاء الرسالة تقريبـا وهو كتاب وليم الصورى (William of Tyre ١١٣٠ ـ ١١٨٦م) واسمه (A History of Deeds Done Beyond the Sea) وهى الترجمة الانجليزية التى رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصورى هذا موسوعة فى تاريخ الحروب الصليبية عامة(٧) . بدأ تدوينـه من ١١٦٩م ويعتبر مصـدرا اصليا عن الفترة الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م(٨) .

اما الجزء الأول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

---

(٤) Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908.

(٥) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ؛ ص ٧ .

(٦) Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524.

(٧) William of Tyre ; A Hist. of Deeds ..... p. 4.

(٨) William ; Ibid., V. 1, p. 37.

من المعاصرين للاحداث التى رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب كتاب Raymond d'Agullers. (Gesta Francorum.)
Fulcher of Chartres. Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده فى بعض أجزاء الكتاب على الرواية الشفوية وكذلك على الكتابات الأثرية على المبانى (١٠)، ونقل كتاب وليم الى الغرب من طريق (Matthew Paris) فى احدى حواشى مخطوطة الأخير المسماه (Historia Minor) ذكر انه نقل مؤلف وليم عن بطرس أسقف ونشستر Winchester الذى أحضرها من الأرض المقدسة ١٢٢١ م(١١) .

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ — ١١٨٤ — ١١٨٥م . وكان أصلا مواطنا من مملكة بيت المقدس ؛ ولد حوالى ١١٣٠م ربما فى بيت المقدس نفسها . والراجح أن والديه كانا من الغرب ، وبالرغم من انه قد اسهب فى الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صمت صمتا تاما عن نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أى سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر.

أتقن وليم العديد من اللغات أهمها الفرنسية التى كانت لغة البلاط فى مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التى شاركت الفرنسية فى حقل التجارة ، ثم اليونانية التى كانت أيضا تستخدم استخداما واسعا فى الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية — لغة الكنيسة والمدارس — وذلك بحكم تربيته الدينية فى الكنيسة . هذا بالاضافة الى المامه السطحى ببعض اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

أما المصادر البيزنطية فيأتى على رأسها كتاب (الالكسياد Alexiad) للأميرة (أنا كومنينا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ؛ والواقع أن هذا الكتاب ظل أمدا طويلا مصدرا لمؤرخى الامبراطورية البيزنطية ولمن كتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد ذكرت الأميرة (أنا) أنها ألفته كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدها « كى لا تضيع فى سكون(١٤) » .

---

(٩) William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29
(١٠) William : Ibid., V. 1, p. 30.
(١١) William : Ibid., V. 1 p. 42.
(١٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9.
(١٣) Anna Comnena : The Alexiad. p. vii.
(١٤) Anna : Ibid., p. 1.

ثم ذكرت سبب تسميتها على كتابة الالكسياد فقالت « كان زوجي هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب فى كل شيء ، صحب ابنى هنا — الامبراطور — فى عديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الادبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الامبراطور الكسيوس — ابى — يوضح فيه الاعمال التى تمت فى عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نقفور الى الدراسات التاريخية والادبية التى كان يهواها وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل الى عهد والدى واصبح بمعزل لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للأسف قد عاد ايضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته (١٥) لذلك قررت (انا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك ابرزت اعمال والدها الامبراطور الخالدة بالاضافة الى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف ان الاميرة (انا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالادب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضعت كتاب الالكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩م الى ١١١٨ م بدأت فى تدوينه بعد ١١٣٧م وانتهت حوالى ١١٤٨م (١٦)

وقد افادنا كتاب الالكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرهوية .

اما المصادر الأرمينية الهامة التى اعتمدنا عليها ، فكان مركزه فى :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهى حسب ترتيبها الزمنى : مقتطفات من حولية متى الرهاوى Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse. وحولية الكاهن جريجوار Chronique de Grégoire Le Prêtre وقصيدة رثاء الرها للقديس نيرسيس شنورهالى Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès Schnorhali

---

(١٥) Anna : Ibid, p.p. 2 - 3.

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992,

وتعتبر حولية متى الرهاوى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية أجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة أقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م(١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والأعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها(١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشىء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م اثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها(٢١) . ومعنى هذا انه عاصر امارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

اما حولية الكاهن جريجوار فقد اكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدات احداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو انه كان تلميذا لمتى بدليل انه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سار على نهجه فى تقييم الاشخاص والاحداث . وهو كاهن ارمنى علماتى كان متزوجا . افادتنا كتاباته كثيرا فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومانويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع أن قلمه لم يكن اقل نشاطا من أستاذه(٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى احداث ١١٦٣م(٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها فهى من اهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتى لم تنشر بعد وقد افادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريبا . لذا أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

---

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هـذه على شـكل ملحمـة ، على طريقـة هوميروس ـ كما ذكر هو بنفسه فى مقدمتها ـ وسرد فيها اثناء رثائه للمدينة تاريخهـا القديم وامجادها وغناها الاقتصـادى ، ثم اشـار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآنى وعلاقة كل منه بالرهـا . ثم استطرد فى ذكر حصـار زنكى للرهـا بالتفصيل وموقف اهلها منـه حتى سقطت فى يده . مـع ابراز دور رجال الدين فى ذلك الحصـار وموقف زنكى من كنائس المدينة .

وقـد نشرت القصيدة التى كتبت اصلا بالأرمينية بواسطة دولوريه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T I) طبعة ١٨٢٨م .

ولمـا كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجـديدة فى بحثنا فان هـذا يدعونا الى التعريف بصورة مفصلة الى حـد ما على مؤلفها .

كان سائت نيرسيس رابع البطارقة الأرمن الذين حملوا هـذا الاسم . وشنور هالى Schnorhali معناها (العـذب) وقـد لقب نيرسيس بالعذب لعذوبة اخـلاقه وسلاسة شـعره ، كما لقب ايضـا جلايتسى (Glaietsi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقـام ردحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الأصغر للأمير (ابيراد Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) فى اقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشـأ هو واخوه الاكبر جريجوار ـ الذى اصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثـالث ـ فى كنف اخى جـده البطريرك جريجوار فجـاياسير Vgaiacer . وعندما تولى اخوه الكرسى البطريكى ١١١٣ م اشترك معه فى ادارة الشئون البطريكية ، حتى توفى الأخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفـه نيرسيس على الكرسى البطريركى حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الأرمن من اعظم قـديسيهم فضـلا عن انـه فى نفـس الـوقت من اعظـم شعرائهم(٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الأرمينيـة مجموعـة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الأرمن والتى احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذى

---

(٢٤) Dulaurier : (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 223 - 224.

كتبـــه Hrand Pasdermadjian الذى ولد فى تفليس عـــام ١٩٠٤ وتوفى فى جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان ابوه من اسرة عريقـــة من ارضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الابطال الارمن (٢٥)

اصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذا بجامعـــة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم فى كثير من المؤتمرات فيها وفى لندن وباريس وبرلين وكوبنهاجن وواشنطن وبوســـطن . بين المؤلف سبب تاليفه اكتابة هذا بقوله « انه باعتباره عاصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقـــدمه للجيل الجسديد .. ثم يقول « بهـــذا التاريخ اكون قد اكملت عمل والدى وانهيت بقلمى ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقـــد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

اما المصـــادر السريانيـــة فاهمهـــا حوليـــة ميخـــائيل السريـــانى Chronique de Michel Le Syrien. وقـــد ترجمهـــا الى الفرنسية J.B. Chabot

كـــان ميخـــائيل هو البطريرك اليعقـــوبى لانطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م(٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدرا هاما لتاريخ سوريا بصفة عامـــة فى ذلك الوقت فضلا عن تاريخ الكنيســـة السريانية . وقـــد اســـتخدم ميخائيل فى كتابته المصادر الدينية الاصلية للفترة المتقدمة عن عصره(٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبرى The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التى قام بها Ernest Wallis Budge . الى جـــانب اطلاعنا على كتابه العربى (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر اختصارا لتاريخه المطول السريانى(٢٩) .

ويعتبر تاريخـــه المطول من اهم المصـــادر الســـريانيـــة التى خدمت العديد من النقاط فى بحثنا ايضا . والواقـــع ان تاريخ ابن العبرى يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينيـــه واللغوية وعادات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والاطباء (٣٠) .

---

(٢٥) H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie. p. 5.
(٢٦) H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6.
(٢٧) Groussot : L'Empire du Levant, p. 312.
(٢٨) Burkitt : Early Eastern Christianity. p. 20 - 30
(٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص و .
(٣٠) The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V

واستخدم ابن العبرى فى كتاباته جولية ميخائيل السريانى . وبد كتابه بنشأة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبرى هو جريجوريوس أبو الفرج بن هرون . ولد فى ملطية ١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربية واشتغل بالفلسفة واللاهوت والطب عن ابيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر أبو الفرج ستين سنة وتوفى فى مدينة مراغة من أعمال اذربيجان ١٢٨٦م(٣٢) .

اما عن المصادر العربية المطبوعة فاهمها كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال الصابى . ويذكر ابن القلانسى انه اعتمد فى أجزاء منه على الثقات وفى اجزاء اخرى على البحث والتنقيب بنفسه(٣٣) . والحقيقة أن الكتاب يعتبر مصدرا هاما لتاريخ الشام وليس لدمشق فقط فى عصر امارة الرها الصليبية .

ثم يليه كتابى ابن الأثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ ١٢٢٣م) وهما :

١ — الكامل فى التاريخ .

٢ — التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) .

اما الكتاب الأول فهو من اهم الكتب التى خدمتنا فى بحثنا هذا فى غالبية النقاط ايضا . والواقع ان ابن الأثير نال شهرته من طريق هذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخى القرن السادس باعتبار مولده وباعتبار نصف القرن الذى عاشه فيه ، ومن رجال القرن السابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذى عاشه فيه(٣٤) . وفى كتابه هذا جمع اخبار العالم الاسلامى شرقه وغربه وما بينهما ، وهذا مالم يسبقه اليه احد . وقد بدا تاريخه منذ نشأة الخليقة حتى سنة ٦٢٨ هـ (٣٥) .

---

(٣١) The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii.

(٣٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٠ هـ .

(٣٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٨٢ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ — ١٥ مقدمة .

(٣٥) نفس المصدر ص ١٥ .

ولما الكتاب الثانى فهو الذي عاصر المؤلف احداثه . وفى نفس الوقت عاصرت احداث الكتاب احداث بحثنا وكان من اهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين امارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن اتابكة الموصل وعلى رأسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الاتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه(٣٦) — كذلك عند كلامنا عن سقوط امارة الرها سواء فى المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ او الثانية ١١٤٦م — ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . اعتمد ابن العديم على الآثار الباقية والسجلات والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد أسماء الولاه والحكام والقضاة واتخذ الاحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والالبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى الغاية التى أرادها وهو فى هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع ان من اهم النقاط التى افادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الاستفادة من بعض اشارات وردت فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م — ١١٨٨ م) (٣٨)

اما اهم المخطوطات العربية التى افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ . والتى جاء فى مقدمتها انه يرتب الحوادث فى تاريخه على السنين وذكر الوفيات فى آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

---

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .
(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ص ١٠ — ١١ .
(٣٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، مقدمة المحرر فيليب حتى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى بسنة ٥٠١هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣هـ . لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩هـ ، فيبدو أن المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن الفرات عام ٧٣٥هـ وتوفى ليلة عيد الفطر ٨٠٧هـ واعتمد فى تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين فقدت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الأرب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢هـ) ، التاريخ المظفرى لأبى الدم الحموى (٦٤٢هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالاضافة الى هذه المصادر فاننا رجعنا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية البحث ، واستفدنا فائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

تمهيـــد

نعـل المـدخل الطبيعى لهـذا الموضـوع هو تفسير اسم الرهـا واعطـاء فكرة موجزة عن تاريـخ هـذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورهـا فى المسيحية وعلاقتها بالأرمن وبالدولة البيزنطية . . الى غير ذلك من النقاط التى تلقى ضوءا على احوال الرهـا عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ .

اما عن اصـل مدينة الرهـا ، فان ميخائيل السريانى يذكر فى تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انـه « بعـد الطوفان الذى حـدث فى عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كاتيان) هـذه المدينـة » (١) يشاركه فى هـذا الرأى ابن العبرى (٢) وان كان يبدو فى نظرنا ان هـذه الروايـة لا تعدو اسطورة من الأسـاطير العبريـة القديمـة(٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نمرود لمـا بنى هذه المدينـة اسماها (أورهاى Ourhai) وهو اسم مبـاشر للرها فاطلق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولمـا كان يسكنها الكلدانيون اضـاف الى الاسم (hai) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

---

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « ان نمرود بنى ثلاثة مدن هى : الرها ونصيبين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Litter. d'Edesse, p. 20, E.R. Hayes ; L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الأسطورة تتطابق مع سفر التكوين (L'Erek de la Genese) بل ان الاخير يذكر ان ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته ايضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قد اعطوا لبئر لايزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

(م ٢ — الصليبيه)

المقدس (٤) :

أما ابن العبرى فقد ذكر فى مكان آخر من تاريخه : « أن اليونان القدماء قالوا أن (انوش Enoch) أو (هرمس Hermes) Harmis Tris Maghistos (٥) هو الذى علم الرجال أن يبنوا المدن ، وفى أيامه بنيت مائة وثمانون مدينة ، منها واصغرها (Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الراى آخرون (٦) .

ومهما يكن من أمر ، فان القدم شكل لاسم الرها هو (Urhái) الآرامى الذى يظهر فى اللاتينى (Orrhei) (٧) وفى اليونانى (Orrhoeme) (٨) والمدينة فى اقليم يسمى (أوسروين Osrhoéné) فى السريانى (Bet' Urháyé)) الذى نطقه العرب الرها (er - Ruha) (٩) بل قبل ان العرب سموها كذلك تحريفا من الاسم البيزنطى . (Callirrohoe) (١٠) . وهنا يشير دولوريه

---

(٤) Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

وهنا يشير احد القواميس الاثرية الى نفس الاسم بقوله (Orrhai) Dictionnaire D'artheologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفى القاموس الجغرافى التاريخى الدينى يذكر أن اسم الرها فى السريانية الشرقية (Orhây) وفى السريانية الغربية (Orhoy)

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques T. 14. p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الآلهة عند الاغريق واله الطرق والتجارة والمكر (المنهل ، قاموس فرنسى عربى ص ٥١٥) ويذكر نفس القاموس ص ١٠٤٧ أن Trismégiste تعنى عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الههم هرمس .

(٦) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ص ٤٥ ؛ Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5, Duval : Op. Cit., p. 20.

(٧) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

(٨) Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. وهو يذكر أن الاسم ليس له معنى معين .

(٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرهـا بقوله « أن البطريرك السريانى ديونيسوس Dionysius if Tell Mahré قال فى تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الامير خبيوا Hewyá اول ملوك الرها والذى بـدأ ملكه عـام ١٢٦ ق.م »(١٢) .

ما ياقوت الحموى الجغرافى الأديب الذى عاش فى القرن السـابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى (ت ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨ م) فيذكر أن المدينـة سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دمر . وقال ايضا عن ابن الكلبى فى الانساب ، الرهاء ابن سـيند بن مالك بن دمر ، كما قال : انهـا سميت بالرهـا بن الروم ابن لنطى بن سام بن نوح(١٣) . وفى موضع آخر ذكر أنها سميت ايضا اذاسا(١٤) .

تعرضت مدينة الرها للخراب بعد بنـائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السريانى ، وظلت مهجورة حتى عهد الاسكندر الأكبر(١٥) . وذكر ابن شداد انه « فى السنة الأولى من تاريخ الاسكندر ملك سولوقوس على سوريا

---

(١١) هو المترجم الفرنسى لقصـيدة رثاء الرهـا للشـاعر الأرمنى نيرسيس شنور هالى
Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)
والتى ستأتى مقتد منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولورييه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : Ibid., p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. هنا تعلق
به لا هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .
(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرهـاء) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ص ١٢٧ .
Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278. (١٥)

وبابل وهذا الرجل بنى سلوقية واذنيه والرهـا وحلب واللاذقية »(١٦) ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرهـا بين المدن التى اسست فى سوريا على يد Seleucus Nicator والتى اعطى كلا منها اسما اغريقيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laodicée الرهـا Edesse » (١٧) . والواقع أن سلوقس عندما أعـاد تشييد مدينة الرهـا سنة ٣٠٤ ق . م اسماها « ادسا الجديدة » تقديرا لعاصمة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعقب ميخائيل السريانى على ذلك ويؤكده بقـوله أن لفظ « ادسـا » الـذى اطلق على المدينـة فى ذلك الوقت كان معنـاه (عزيزتى — Cherie) (١٩) بما يحمل فى طياته روح الاجلال لعاصمة المقـدونيين القديمة .

وقيل أن الرها عرفت باسم انطاكية الكلروتيه فى عهد انطيوخس الرابع — Epiphanes Antiochus IV (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل على ذلك ما كتب على السكة التى ضربت فى الرهـا فى عهده (٢٠) وقد ذكر ذلك الاسم ايضا (Pliny) ولو ان دوفال يذكر ان الذى دفعه الى ذلك الاعـتقاد التباس اسم عاصمة (Osrhoéne) مع عاصمة سـوريا (٢١)

---

(١٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك ايضا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23.

ابن الشحنه : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس سركيس الدمشقى) . وهنا تذكر

Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993

ان ادسا اليونانية استمدت اسمها من عاصمة مقدونيا (ايجيه Aigai القديمة والتى اصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena . ثم يؤكد هذا ايضا ما ذكر فى Cam. Med, Hist.

Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.

ان ادسـا فيما بين النهرين غير ادسا المسماة فودينـا وهى احـدى بلدان البلقـان .

(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس سركيس الدمشقى) .

(٢١) Duval : Op. Cit., p. 23.

وقد سميت المدينة ايضـا ((Justinopolis)) اى مدينـة جستين نسبة الى الامبراطور البيزنطى جستين الاول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى اعـاد ترميمها بعد فيضان اصابها (٢٢) . اما المؤرخون اللاتين فيعددون اسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣) وهو شـائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره الشـاعر الأرمني نيرسيس فى مرثيته عن الرها بعد سقوطها(٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه عليها الى ايامنا هذه(٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦) او — Edyessa (٢٧) . والبعض الآخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم من يسميها — Callirhoe (٢٩) . او (Rohas) (٣٠) او (Roas) (٣١)

---

(٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422 كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Evagre ; Hist. Eccl.) عن

(٢٣) Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de reliq. S. Slephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318, Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (هامشية)

(٢٤) البيت ١٠٤ (ايه ادسا ، مدينـة الرها)

Nersès : Op. Cit., p. 239.

(٢٥) على سبيل المثـال لا الحصر

William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2, p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389, Archer : The Crusades, p. 147.

(٢٦) Theodori Paldensis : Narratio Profectionis Godefridi Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.

(٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.

وهو يضيف ايضـا انها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia

(٢٨) Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.

(٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 165.

(٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.

(٣١) Theodori Poldensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالى للمدينة فهو أورفا Orfa أو Urfa(٣٢) الذى قيل أنه مستمد من اسمها الآرامى المبكر Urhai (٣٣) والواقع أنه مهما تعددت الأسماء فالشائع من اسمائها هو الرهـا العربيـة وادسـا الافرنجية واورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد أن أعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننـا نجد الرها ظلت بعـد ذلك هلينستيه الطابع وعـاصمة لمملكة اوسروين (٣٤) التى كانت المعقـل الرئيسى بين معاقل الثقافة السريانية فى زمن الامبراطورية الرومانية (٣٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسـروين على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية(٣٦) وحتى نهـاية القرن الثانى الميلادى كانت الرهـا خـارج الامبراطورية الرومانية وبالتالى داخـل النفوذ الفـارسى . وفى الحرب التى شـنها الامبراطور تراجان Trajain على الفرس قاست الرهـا كثيرا اذ دمرت ونهبت على يد القـائد الرومانى لوكيوس كيوتوس Lucius Quietus — سنة ١١٤م(٣٧) وقيل سنة ١١٦م(٣٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صـار حـكام اوسروين الضـعفاء بين شـقى الرحى بين

---

(٣٢) Grousset : وحاشيه لدولورييه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239 Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.

(٣٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruha)
ويذكر الاخير أنه تحريف للرها العربية

(٣٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888. p. 519
وكانت هـذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة يحدهـا نهر الفـرات والخابور وانها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصـارت مملكة مستقلة عاصمتها الرهـا .
(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).

(٣٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).

(٣٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

(٣٧) يذكر أن ذلك القـائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقهما فى هذه السنة .

(٣٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فأكرهتهم على الخضوع لتبعيتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما فى اخلاصهم وولائهم لها ، فاقامت الحصون فى أجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية فى بلدة نصيبين القوية ، كما أرسل أبجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا فى الأغلال الى روما ، بعد أن حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات » (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الرومانى سنة ٢١٦ (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم اذينه Odainath وزنوبيا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣م (٤٢) .

اما عن مكانة الرها فى ظل المسيحية فقد ذكر ابو الهيجاء أن الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهى احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فاشرفها بيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

---

(٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.

(٤٠) Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.

(٤١) وهى التى سماها اليونان باميرا Lammens : La Syrie p. 12, Palmyra — وهى تقع أقصى شمال دمشق فى الصحراء الكبرى فى واحة Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.
Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.

(٤٢) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995.

(٤٣) أبو الهيجاء : تاريخه ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٣٩ هـ .

(٤٤) أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الأثير : الباهر ، تحقيق طليمات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) الباب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال انه من اسباب ارتفاع مكانة مدينة الرهـا الدينية ، انها تضم رفات بعض الحواريين مثل توما وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اشار اليه ابو زيب اسقف قيصرية فى كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطاب ملكها ابجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرهـا الاولى بانها كانت مقر مطران ما بين النهرين (٤٧) وعندما قامت فى الرهـا جالية مسيحية صارت احد المراكز الاولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخذت المسيحية فيها طابعا قوميا حيث انها ظلت تتكلم السريانية واحتفظت بحكامها وتقاليدها الوطنية (٤٨) .

اما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليه السلام وابجر ، وما يرتبط بها من صورة المنديل او منديله ، ثم اشتراك الرها فى ترجمة الانجيل فكلها نقاط جديرة بالاشارة . ذلك ان ابو زيب اكد ان الملك ابجر — الذى كان مصابا بمرض مزمن لا امل فى الشفاء منه (٤٩) — ارسل الى المسيح خطابا مع حنان — Hanânya او Hannan قال فيه : « من ابجر حاكم الرها الى يسوع المخلص الصالح الذى ظهر فى نواحى اورشليم ، السلام . لقد سمعت الى امرك وما تصنعه من

---

(٤٥) انجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .

(٤٦) Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3 p. 543
William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., p, 60.

(٤٧) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 341.

(٤٨) Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11.

(٤٩) E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11
وابجر هذا هو الذى كانت كنيته الأسود
(Duval : Op. Cit., p. 83)
وهنا يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ط ٢ م ٣ ص ٥٣ — ٥٤ « ان الاسود من باب الاضداد لان مرضه كان البرص وجسمه كله ابيض » ويشير نيرسيس فى مرثيته للرها الى ابجر على انه مؤسس مدينة الرهـا (البيتين ١٧٣ — ١٧٤) فهو يقول : اذ ان الملك ابجر قد شادنى هناك لكن دولوريه يعلق على ذلك بانه Nersès : Op. Cit., p. 232
ليس المؤسس لكنه من اعتنى بتعميرها واصلاحها . والراجح ان ذلك التعليق صحيح لاننا لم نعثر على ما يؤيد راى نيرسيس ضمن مصادرنا .

الشفاء دون عقاقير وادوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغنى هذه الأمور عنك رأيت فى نفسى انك اما اله حقيقة هبط من السماء وضع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تأنف من ان تزورنا وتبرىء امراضنا ، قد سمعت ان اليهود يشناونك ويحاولون قتلك فلى مدينة جميلة وان صغيرة فتكفينى وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوبالك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان تراني فقد كتب عنى أن من يرونني لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى ان آتى اليك ولكن يلزمنى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تممت ذلك صعدت الى من ارسلنى وبعثت اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة» (٥١)

بل ان بوركيت يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن ايو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بلدك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . اما المصدر الأرمنى المتمم لتاريخ متى الرهاوى فيشير الى ان خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يدخلا ابدا تلك المدينة »(٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منحت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بأن لا يتمكن أحد الأعداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو ان هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهويين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة(٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » او « الرها المباركة » وقد سمى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

---

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .
(٥١) نفس المصدر والصفحة .
(٥٢) Burkitt : O.p Cit., p. 14.
(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.
(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15
(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

المدينة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ،فالبعض يسميها منديل المسيح(٥٦) أو منديل عيسى بن مريم(٥٧) والبعض يسميها الفيرونيكا (٥٨) أو الورنيقة (٥٩) وهنا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ أم أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لرأى بن العبرى ، يقول : « ان ابجر ملك الرها ارسل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسح المسيح وجهه فى منديل انطبعت فيه تقاطيعه وارسله اليه (٦٠) ،ويتفق مع هذا الرأى ما ذكره دولوريه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المنديل المقدس الذى لم يصنع بايدى انسان (٦٢) ». والواقع أن هناك تفسيرا آخر يقترب من ذلك الرأى وهو « انه صورة المسيح طبعت على القماش الذى تدمه له القديس فيرونيكا ليمسح حاجبه حينما حمل صليبه وهو فى طريقه الى مكان الصلب (٦٣) فى حين انفرد Bar, Bebraeus, Burkitt برأى آخر هو « ان الملك ابجر ارسل رساما يسمى حنا لابلاريوس John Labellarius فرسم صورة لوجه السيد المسيح على

---

(٥٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٠١ ويذكر لوسترانج أن المسعودى : Le Strange يسميه (منديل المسيح الناصرى) اما Op. Cit. p. 103. فيذكر انها Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تاديوس فى منشفه » .

(٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٤

(٥٨) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T. 2, p. 270 وهنا يعود (لوسترانج) فيذكر انها احد الفيرونيكات العديدة : لكن هل فيرونيكة الرها هى الموجودة الآن فى روما أو جنوا ؟ لم يستقر الرأى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104)

(٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162, حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) فى تعليق دولوريه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ فى قصيدة نيرسيس يذكر » أن ابجر ملك الرها سمع عن المسيح فارسل اليه رسالة يعبر له فيها عن اعجابه واشتياقه اليه طالبا فى الوقت نفسه رسمه . ويقال أن المسيح اتخذ منديلا وضغط به على محياه فانطبعت فيه ثم ارسله لابجر » .

(٦٢) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246

(٦٣) The American College Dictionary, p. 1351.

لوحـــة أحضرها لأبجر » (٦٤) ولو أن ابن العبرى يشترك فى الراى الأول، فربمـــا نقل الراءين فى موضـعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة فى الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقـــال ان ذلك الاثر المقـــدس ظل موجـــودا فى الرهـــا الى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م فى عهد الخليفة المتقى لله العبـــاس حين ارسل ملك الروم يطلب منـــه المنديل الذى كان موجودا فى كنيسة الرهـــا . وقد اغراه ان فعـــل ذلك باطلاق سراح عـــدد كبير من أسرى المســـلمين . فأحضر المتقى لله القضـــاه والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فقـــال بعضهم ان نسـلم وزاى الآخـــر الا تسلم قائلين : « ان هـــذ المنـــديل لم يزل من قـــديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبـــه ملك من ملوك الروم ، وفى دفعه اليهم غضاضة »(٦٦) وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقـــال : « ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه أولى من حفظ ذلك وارســـل الى الملك من يتسلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

أما دور الرهـــا فى ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينـــة مركزا لجالية

---

(٦٤) Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1 ; p. 48

(٦٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

وهنـــا يذكر المورد القاموس الانجليزى عربى ص ٦٥٢ تفسـيرا لتلك الكلمة بانها تمثال (بالاس اثينـــا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون ان سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبـــار الخلفـــاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبرى فى تاريخـــه :

« ان المتقى جمع الكتاب الموثوق فيهم وسالهم ، هل القـــانون يخول لهم مثل تلك الذريعـــة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فاجابوا ؟ « بالرغم من انه افراط فى حق لنـــا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب اعطاؤهـــا لهم لأن المسلمين يقاسون من الجوع والعرى »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل أن تتأثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب اليها (آديا(٦٩)) اوتداوس نزل عند احد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى أن (آديا) ارسل بعض المؤمنين الى بيت المقدس ليترجموا العهد القديم من العبرية الى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متمسكين بعقيدتهم ولا وثنيين وانما كانوا يهودا تحولوا الى المسيحيةJudeo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم الى السريانية عن العبرية وبوجه خاص الاسفار الخمسة الأولى منه توحى بان هذه الترجمة عمل فردى قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم الى السريانية فى الرها نفسها وليس من طريق بعض اهلها اليهود فى فلسطين أو القدس . ويؤيد Duval هذا الراى فيقول : « ان ترجمة العهد القديم تمت حوالى منتصف القرن الثانى فى الرها نفسها » (٧٤) .

وفى حوالى سنة ٢٠٠ م اعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على أسس من الاتحاد الوطيد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الامبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رآسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا أن كنيسة الرها اتخذت اتجاها غربيا (٧٥) . بعد أن كانت محافظة على طابعها وكان أن حمل ذلك الأسقف اليها ترجمة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الاناجيل الأربعة الأولى من العهد الجديد

---

(٦٨) Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour. Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

(٦٩) Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28

اما كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، حـ ١ ص ٦٣ فيسميه (يهوذا اوشاديوس اوليبادس) .

(٧٠) Burkitt : Op. Cit., p. 72.

(٧١) اما E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36. Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494 فيذكر أن الجالية اليهودية فى الرها وفى نصيبين هم الذين ترجموا العهد القديم الى السريانية .

(٧٢) E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37.

(٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 71.

(٧٤) Duval : Op. Cit., p. 110.

(٧٥) Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

=

مع سفر اعمال الرسل ورسالات بولس الانجيلية الاربعة عشر ونسخة من العهد القديم نقحت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسعت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجاه نحو التقارب من الكنيسة الشرقية قد أثار كثيرا من الاضطرابات فى الرها وهى الاضطرابات التى راح ضحيتها بعض الشهداء ، اشهرهم الأسقف برسوما — Barsamya فى منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا - Rabbûla (٤١١ — ٤٣٥م) انهى تلك الاضطرابات فى الرها (٧٧) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض الموجز اهمية الرها فى تاريخ المسيحية المبكر .

اما عن دخول الرها فى حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨هـ (٧٨) فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم وتم ذلك صلحا ، فعندما نزل عياض بباب الرها واشتبك الجانبان أرسل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على انفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفى عهد معاوية الأول أعيد بناء جزء من كنيسة الرها القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) . أما فى عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفة الأموى كنيسة للتعميد بالرها (٨١) .

= هنا يضيف اغناطيوس افرام الثانى : مقاله فى سورية ص ٢٣ (عنى السريان منذ القديم فنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التآليف اليونانية الدينية والعلمية والتاريخية والادبية وانتشرت على يدهم تصانيف الأقدمين الى العربية . واتصلت الينا كتابات شتى بالسريانية الرهاوية منقوشة بالقلم الاسطرنجيلى (نشر بعضها العالم المستشرق يونيون فى جامع الكتابات السامية Inscriptions — Sémitiques فى المائة الأولى قبل الميلاد على حجر فى جوار الرها . والخط الاسطرنجيلى هو خط المسيحيين الشرقيين .Nastorians

I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

(٧٦) Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٧) Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

(٧٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبرى : تاريخه حـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ (١٩٣٩م — ١٣٥٧هـ ولو أن الطبرى فى موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (حـ٣ ص١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨٠) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨١) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جـدران الرها المتينـة التى كانت قـد بنيت فى عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢) لكن اهـالى الرهـا اعادوا بناءها على نفقتهم فى عهد الخليفة المـأمون سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش بيزنطه (٨٦٧م ـ ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى امتدت حـوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المع فترة فى تـاريخ الامبراطورية السياسى والحضارى حتى لقـد اطلق عليها المؤرخون اسم (العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحـولوا فى القـرن العـاشر من نـاحيـة حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هـذا القرن عصر صحوة بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى اتخاذ البيزنطيين سياسـة الهجـوم فى ذلك القـرن هو رغبتهم فى اسـتعادة مستعمراتهم القديمـة فى الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها فى القرن السـابع الميلادى عندما قـام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وازدادت شدة تلك الرغبـة نتيجة لمـا شـعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العـاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ ـ ٩٥٩م) وبالتحديد سنة ٩٤٣ م استولى القـائد جنـا كوركواس — John Curcuas

---

(٨٢) فهو يذكر انه عندمـا اراد الخليفة ابو جعفر المنصـور ـ الدوانيقى ـ أن يبنى قصر فى الرقه ، ارسـل الى الرهويين يطلب بعض اعمـدة صغيرة من الرخـام من تلك التى كانت مكدسة فى الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئا وجعلوه يتـور فذهب واقـام الحصـار على تلك المدينـة ودمر هيـكل مارسرجيوس Mar Sergius وفى اثنـاء الحصـار سقط ذلك الجدار العجيب ولم يبق منـه سوى دور واحد .
Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279.

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٦ . وهنا يشير Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957) ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ج ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها فحاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان أخذ من الرهـا منديل المسيح الذى كان موجود بها منذ عهد الملك أبجر (٨٧) .

وفى سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفى سنة ٩٥٨م استولوا على سميساط(٨٨) وفى سنة ٩٦١ استولوا على عين زربه ومرعش ورعبان ودلوك (٨٩) .

اما فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م) فقد حاول هذا الامبراطور بنفسه الاستيلاء على انطاكيا سنة ٩٦٦م لكنه لم يستطع وعاد الى القسطنطينية لكن المدينة سقطت بيد قائدين بيزنطيين فى ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القائدان هما Peter Phocas وميخائيل البرجى — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابى المعالى بن سيف الدولة وذلك فى اواخر سنة ٣٥٨هـ(٩١)/٩٦٩م وبالفعل قدم الروم فى بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدته وانسحب ابو المعالى عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م . (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

---

(٨٧) Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p. 718 — 719.

(٨٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 250.

(٨٩) Ostrogorsky : Ibid., p. 252.

(٩٠) Ostrogorsky : Ibid., p. 257. كان الاستيلاء على انطاكية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ (يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ الذيل ص١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغوية قد تولى شئون حلب مع ابن استاذه ابو المعالى سعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى . وذلك فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العديم : حـ ١ ص ١٥٥ ؛ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك فى المحرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصدر السابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم: المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحى بن سعيد الانطاكى : تاريخه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعاهدة بالتفصيل فى زبدة حلب ، حـ ١ =

فى أواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى — خاصة انطاكية وحلب — للنفوذ البيزنطى (٩٥)

وفى عهد الامبراطور حنا تزيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) فى خلال الفترة الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قام هذا الامبراطور باربع حملات هامة فى الشرق الادنى ، الثلاثة الأولى منها كانت فى شمال العراق فى اقليم الجزيرة فى الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التى ارسلها الامبراطور لخليفه آشوت الثالث (٩٧) .

أما الامبراطور باسيل الثانى (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توجه مرتين الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن يحقق اى نجاح يذكر (٩٨) وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين اى احتكاكات تذكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفى عهد الامبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو أنه لم يمكن هناك اى احتكاكات ايضا أما فى عهد الامبراطور رومانوس الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George Maniaces — على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) / ٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٣٦ .

(٩٥) Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

(٩٦) Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك الحملات بالتفصيل .

(٩٧) Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 273. (1957).

(٩٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(١٠٠) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠١) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

(١٠٢) Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

ويفهم مما كتبه ميخائل السريانى مدى الحب الذى كان يكنه اهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الدينى لمسيحيى الرهـا عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون فى الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة،اخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعتين (١٠٣)، وقـد ذكر ميخائيل « انه عندما دخـل البيزنطيون الرهـا ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم اطفالهم ، كذلك هجرهـا اهلها من المسيحيين ومعهم اطفالهم ،مثلما فعل العرب . ذلك ان اهل المدينـة المسيحيين كانوا قد الفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم فى حين كانوا فى رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا اخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد ان اشعل احد العرب النار فيها فاحرقت المنـازل والكنائس وظلت المدينـة خاوية فى ايدى البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو ان الرهـا استعادت حيويتها بعـد ان دخلت فى نطاق دولة فيلاريتوس الأرمنى سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتـاريخ الرهـا حتى عصر الحروب الصليبية ان تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيـارات السياسية والحضـارية فى العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر فى ذلك الى موقعها الهـام فى اقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هـاما فى الهلال الخصيب بحضاراته فى العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى التى عرفها العالم القديم مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانيـة . فاذا اضفنا الى ذلك كله خصوبة الأرض التى تقع الرهـا وسـطها بين عـدة انهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، ادركنا السر فى نشاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت اهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، فى عصر

---

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف فى مجمع خلقدونيه (٤٥١ م) .
Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2, p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles, p.p. 42 - 43, R.P. Janin : Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.

(١٠٤) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٥) اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort) Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت فى الرها أولى الامارات الصليبية فى الشرق ، وهى الامـــارة التى شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصـــل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (١٠٦) ذلك ان امارة الرهـــا الصليبية لم تكن تسيطر على اهم الطرق التى تصل بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضـــا اقرب من أية امـــارة صليبية أخرى الى عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد (١٠٧) هذا الى انها قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة فى العراق وفى فارس من ناحية وبين الصليبيين فى بلاد الشـــام من ناحية اخرى (١٠٨) ، وبذلك تحملت الرهـــا شرقى الفرات وتل باشر غربيه مشقة عبء الدفـــاع عن الجبهة الشرقيـــة للوجود الصليبى فى الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا عن الصدمات التى تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين وديار بكر (١١٠)

وارتبط بتوسع السلاجقة فى آسيا الصغرى فى القرن الحادى عشر ، دخول أعـــداد كبيرة من الأرمن الى الرهـــا . ذلك أن حركة انتشـــار السلاجقة فى آسيا الصغرى اتخـــذت اتجـــاها افقيـــا من الشرق الى الغرب ، عبر أرمينيا وكبادوكيا وفريجيـــا وايونيـــا ، حتى شملت جميع الجهات الشمالية والوسطى من شـــبه الجزيرة . أما الاقاليم الجنوبيـــة والشرقيـــة من آسيا الصـــغرى — حول طوروس وملطيـــة ثم الرهـــا وانطاكية — فلم يتجه اليها السلاجقة فى اول الأمر مما ادى الى عزل تلك

---

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٤ (عن — Stevenson)
، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن — Daussaud) .

(١٠٧) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478,
وهنا يذكر بريية انها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية
Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

(١٠٨) J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209.
(Duval : Op. Cit., p. 279).
هنا يشير دوفال أنها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

(١٠٩) Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69,
Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

(١١٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

المنطقة من بقية بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم وقوعها بين شقى الرحى فى الصراع القائم بين البيزنطيين والسلاجقة فى آسيا الصغرى . وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا وأمرائها ضياعا واسعة فى اقليم كابادوكيا . مما ترتب عليه هجرة أعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الاقليم فى شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى كابادوكيا واستقرارهم فى ذلك الاقليم ، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن ماوى جديد ، فاتجهوا نحو اقليم قيليقية الجبلى فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولما كانت الرها قد غدت مدينة أرمينية بحكم الأرمن الذين نزحوا اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن فى منطقة الشرق الأدنى فى القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة، اعنى القرن العاشر للميلاد .

اما عن موقع أرمينيا الجغرافى فيقول ياقوت : « أرمينيا الكبرى خلاط ونواحيها ، وأرمينيه الصغرى تفليس ونواحيها » . ويضيف انها « سميت أرمينية بأرمينا بن لنطا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهى فى العصر الحاضر احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى (١١٤) .

---

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٧ عن (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٨ عن (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ١٦٠ .
وخلاط هى البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة.وهى من فتوح عياض بن غنم وهى قصبة أرمينية الوسطى.وبحيرة خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٨٠ — ٣٨١) .
وتفليس بلد بأرمينيا الأولى (الأصلية) وبعض يقول بأران ، وهى مدينة قديمة أزلية افتتحها المسلمون فى أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب بن مسلمة وظلت بأيدى المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم أغار عليها جيل من النصارى من جبل ابخاز هم الكرج منتهزين الخلافات بين حكامها السلاجقة فملكوها عنوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣هـ ولكن الكرج عادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهالى ولكنهم خافوا من عودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٥ — ٣٦) .

(١١٤) احمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، مجلد ١ (١٣٨٣ — ١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر انها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبل =

وللتعرف على أحوال أرمينيا الكبرى فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة فى أرمينيا، لكن يبدو أن أمرائها كانوا متنافسين باستمرار مما أضعف قوتهم واطمع فيهم كلا من العرب والبيزنطيين(١١٥) وكان أن أصبحت أرمينيا عند نهاية القرن العاشر فى حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام بأية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين او الأتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية فى عام ١٠٠٠م/٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الارمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكريم Senek'erim الارمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ — ١٠٢٢م/٤١٢ — ٤١٣هـ ؛ للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس فى آسيا الصغرى واقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م — ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك I Gag الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبرطور البيزنطى ايضا وعوض عنه أرضا فى داخل كابادوكيا . هذا بالاضافة الى جاجك صاحب قرس Kars الذى تنازل هو الآخر عن املاكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/٤٥٧هـ ومنح فى مقابلها منطقة فى كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الأرمنية الصغيرة

=ارارات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية اريفان وعاصمتها أريفان بقرا

Armenia - Armenie - Ecrivain.

(١١٥) Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine Empire, p. 9.

(١١٦) Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ص ٦٤٧ تحت مادة (أرمينية) : فى عهد آشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فاصبحت مقر ملكه ، واصبحت درة الشرق . وحكم سمباط الثانى (٩٧٧ — ٩٨٨) واخوة جاجيق الأول (٩٩٠ — ١٠٢٠م) حكما سعيدا موفقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من أرمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام امير قيخ صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج — مملون احد امراء المسلمين بالقرب من زمبو . ولما توفى جاجيق الأول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد فى تجرح الحالة تدخل أهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الأولى فى ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين) فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى موقعة مانزكرت قرب بحيرة فان سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ وهى الموقعة التى أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ — ١٠٧١م) .

وقد نقل (جروسيه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى كره الأرمن لبيزنطه وشماتتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة فى ما نزكرت ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون عن استقلالهم أمام الضغط الاسلامى ، اذا بالإمبراطورية البيزنطية اليوم تتصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها الهارت أمام الضربة الأولى من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة ... ان الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية أفدح من أن يستطيع أحد روايتها .. آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخلفون ... انها الدولة البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت عرشنا القومى ، واسقطت ذلك الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربينا الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف أجبر البيزنطيون أعدادا كبيرة من الأرمن على الهجرة الى كابادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حاول البيزنطيون أن ينسوا أولئك الأرمن مسالتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، ولجأوا من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

---

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173 (Mattieu)

أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1 فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستفدت منه لذا أخذته عن جروسيه .

(١١٩) Grousset : L'Empire ... p. 174.
وهنا يظهر مدى حنق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى وصفهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصرت جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقية للأرمن وهى العقيدة التى قامت على اساس المذهب المونوفيزيتى او الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد فى الشرق من الرجال الأرمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء فى الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الأرمينية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات اخرى من الأرمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اقليم طوروس وقيليقية ، امام ضغط الأتراك السلاجقة المتدفقين بشدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، فى الأقاليم الواقعة شرقى آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الأصلية فى ارمينيا الكبرى الى الأقاليم الواقعة غربى الفرات وشماليه ليستقروا فى جهات كان بعض اخوانهم الأرمن قد سبقوا اليها واسسو فيها جاليات فى عصور سابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعة مانزكرت السابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الأرمن من موطنهم الأصلى القديم حول بحيرة فان Van فى اواخر القرن الحادى عشر امام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالى انطاكية فى جبال طوروس وسفوح تلالها الجنوبية حيث كونوا العديد من الامارات الأرمينية (١٢٢) .وهناك انقسم المهاجرون الأرمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطه وقسم اعلن استقلاله عنها .

---

(١٢٠) وهنا يشير جروسيه فى Grousset : L'Empire, p.p. 174 - 175. نفس الصفحة الأخيرة فى سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى احيانا . فمثلا جاجك فى مناطق نفوذه الجديدة فى كابادوكيا كان على سوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos للذى انزعج من اطلاق الهجرة الأرمينية وركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبه اسم Armen مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الأسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ص ١٣٦ عن (Iorga) فقد تحركت الهجرة الأرمنية الى الاقليم الوحيد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال سوريا . حقيقة أن أرمينيا الجديدة فى المنفى كانت تكوينا غير طبيعيا لكنها فى الواقع عاشت مدة اطول من اى دولة فرنجية فى الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628).

(١٢٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 371.

أما عن القسم الأول فيذكر Pasdermadjian — « أنه منذ أواسط القرن الحادى عشر قدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى اقليم طوروس . ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة الى قيليقية — بوصفها احدى الأقاليم التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضايق (١٢٣) . فقد فكر الأباطرة فى تقوية أقاليم دولتهم الواقعة على حدود قيليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدى نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) .

أما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية فهم العناصر التى اتجهت نيانها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن أمثلة النوع الأول — والذى لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريتوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الأرثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللعنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما أيضا من جانب مواطنيه من المؤرخين الأرمن » (١٢٦) وقد عمل فيلاريتوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور وأسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١م ٤٦٤هـ . وعندئذ رفض الأعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas — (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن اخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول مرعش ورعبان والابلستين حيث اقام امارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطية (١٢٨) .

---

(١٢٣) Pasdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198. من (J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien).

(١٢٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12. فانه عندما تبين للأباطرة أن الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولتهم ، فكروا مختارين أو مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٧ عن (Ostrogersky)

(١٢٥) Pasdermadjiant : Op. Cit., p. 198.

(١٢٦) Grousset : L'Empire, p. 177 عن (Mattieu)

(١٢٧) Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177.

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريتوس هذا أن استطاع أن يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقة كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين فضلا عن ثمانية آلاف فرنجي (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس وأتراك» (١٣٠).

وقد تمكن فيلاريتوس بفضل هذه القوة أن يبسط سيطرته على كثير من المعاقل في اقليم قيليقية . فلما سمع الامبراطور البيزنطي بذلك أرسل اليه الهبات وذهب فيلاريتوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم واعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل واعطوه السلطة على قيليقية لكي يقاوم الأتراك (١٣٢) .

والواقع أن فيلاريتوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين أرسل احد ضباطه وهو باسل بن أبي خاب الى الرها ليحكمها ويدير شئونها ، فصده حاكمها من قبل بيزنطة ، لكن الأهالي ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لممثل فيلاريتوس (١٣٣).

وقد ظل فيلاريتوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرها حتى سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشام لمحاربة الارتقة الذين قتلوا سليمان بن قطلمش . فلما وصل ملكشاه الى الرها سلمها له الأهالي بسبب بغضهم لفيلاريتوس . فلما كان من فيلاريتوس الا ان لجأ الى السلطان السلجوقي « ووعده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفة والسلطان (١٣٤) » .

---

(١٢٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٣٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229.

(١٣١) Bar Hebraeus : Ibid., p. 229.

(١٣٢) Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188.

(١٣٣) أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة أرمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (عن Bréhier : Vie et Mort الجركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٩ .
Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الأرمينية ، وهو الذى كان فى عهد الامبراطور رومانوس الرابع قائدا فى الرها ونائبا عن الامبراظور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرها تافادانوس ــ حاكمها باسم الامبراطورليون ــ ولكن الأهالى ثاروا وقتلوه ووضعوا المدينة فى أيدى باسيل. (Grousset : L'Empire, p. 179. عن Mattieu).

(١٣٤) Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277
كان الخليفة آنذاك هو المقتدى العباس (١٠٧٥ ــ ١٠٩٤) .

بل قيل انه اسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير الى انه كان مستعدا فقط — اذا استلزم الأمر — لاظهار الاسلام خدمة لمصالحة (١٣٦) . لكن يبدو أنه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده الى الرها بل منحه مرعش بدلا منها ، حيث انهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريتوس هذا كان لا يعدو أن يكون مغامرا جسورا ، فلم يدخر أية وسيلة للوصول الى السلطان وفى ذلك يقول جروسيه : « اذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التى كنها له مواطنوه بسبب تحوله الى مذهب الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية ، فان فيلاريتوس يبدو بوضوح مغامرا دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب أية خيانة ليدعم ثروته وسط مظاهر الانحلال البيزنطى والغزو التركى . وهكذا اندس فيلاريتوس بين الامبراطوريتين ، فظهر أمام البيزنطيين فى صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفى نفس الوقت ، ظهر أمام الأتراك فى صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين »(١٣٩) .

وقد أقدم فيلاريتوس على التعاون مع الأتراك مرتين ، الأولى ضد احد الرؤساء الأرمن ، الذى رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريتوس مع أمير ميافارقين ضد أحد أبناء جلدته حتى قتل الأخير ، فاقتسم فيلاريتوس الغنيمة مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهى التى سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه الى الرها وعندئذ أظهر فيلاريتوس خضوعه لارادة السلطان السلجوقى . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرض كلا الجانبين فى الوقت

---

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن (Michel Le Syrien :

١٣٧ Bar Hebraeus ; Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277

(١٣٨) Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٤٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦

Grousset : Ibid., p. 177.

واسم الرئيس الأرمنى الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم فى ساسون .

المناسب،مما جعله يحكم فى وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيما وراء الفرات حتى المصيصه (١٤٢) وعين زربة وطرسوس فى قيليقية ، ماريين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التى وضع اسسها فيلاريتوس فى سنواته الأخيرة هو الحدث الذى جاء بين كارثة مانزكرت ومجىء الحملة الصليبية الأولى التى الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت فى الوقت الذى اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما راينا — فان هذا لا يعنى انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التى كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة فى الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفى هنا بالاشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث اننا سنتعرض للرها فى موضع آخر .

اما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الأرمن ، ادى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان،اخلاقه كانت ثمة تقارب مع اخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه،عندما دعت الحاجة الى استرضاء الاتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تاييد الخليفة العباس والسلطان السلجوقى لحكمه فى ملطية » (١٤٧) .وقد ذكر ميخائيل السريانى

---

(١٤١) — Khartabirt — الارمينية الآن معروفة اكثر باسم خريوت — Kharpût وهى قلعة حصن زياد التى يشير اليها ابن خرداذبة بانها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط
(Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهى من ضمن مدن الثغور بين المسلمين والروم قيل انه كان بها خمسة من قبور الأنبياء (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، جـ ١ ق١ ، ص٥٨) .

(١٤٣) Grousset : L'Empire, p. 179 عن (Laurent : Byzance et les Seljaucides)

(١٤٤) Grousset : Ibid., p 150

(١٤٥) Michel : Op. Cit., p. 179.

Grousset : L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٤٧) Michel : Op. Cit., p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 عن وليم الصورى
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١، ص ١٧٨ (عن ميخائيل السريانى) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم ثلاث مرات بأن يسلمهم ملطيـة (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حيـاة فيلاريتوس فقد نجح الأتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قـدمت الحملة الصليبية الأولى استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حـدث فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان أن عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حـين اخذهـا منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع أن ثوروس — حاكم الرهـا والذى سنعود للكلام عنـه — وجبريل وثاتول ايضـا — نواب فيلاريتوس والذين بدأوا مثله حيـاتهم العـامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد أعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب أو بعيد .

اما النوع الثانى من حكام الأرمن الذين ظلوا بعيـدين تمامـا عن الخضـوع لبيزنطة فيمثله الأميران روبان وأوشين .

اما روبان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م/٤٧٣ — ٤٨٩هـ) فقـد استطاع بمن انضم اليه أن يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

---

(١٤٨) Michel : Ibid., p. 188

(١٤٩) Grousset : L'Empire, p. 184,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٨ — ١٧٩ من
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)
The Crusades, V. 1, p. 195.

(١٥٠) Runciman : Ibid., p. 195

(١٥١) Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p 295
وهنـا يشير Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.)
« لقبت ولاية قيليقية باسم ارمينيـا Doc. Arm. T.2, p. 373
لأنه بعد أن خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل اهل ارمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير ».

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . واتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة ارمينيا الجديدة (١٥٤) ، التى اطلق عليها اسم ارمينيا الصغرى تمييزا لها عن ارمينيا العظمى (١٥٥) او الأم .

ولم يلتمس روبان هذا الحماية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائما فى صورة تفوق بقيـة البارونات الارمن حتى مات وترك خلفـه ابنه قنسـطنطين (١٠٩٥م — ١٠٩٦م/٤٨٩ — ٤٩٣هـ) الذى « كان اول الروبانيين الذين حملوا لقب أمير أوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هيأتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها فى علاقات ود وتحالف مما شجع ارمينيا الصغرى على اتخـاذ موقف عدائى تجـاه الامبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوشين (١٠٧٢ — ١١١٠م / ٤٦٥ — ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القـلاع القديمـة فى ارمينيـا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضـغط

---

(١٥٢) وهو يضيف فى نفس الصفحة ان الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميها مصر صـغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.
Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198.

(١٥٣) Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 387 وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زربة ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) وهو يذكر ان Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303. روبان اعتمد فى الوصول الى هدفه على احد الارمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خـدع الحرب . ولمـا كان ينقض دائما فجاة على عدوه . سمى باسيل اللص Basile Voleur

(١٥٥) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٦) Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166.

(١٥٧) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٨) Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ فجاء الى قيليقيا حيث اعطاه صديقه أبو الغريب الارزرونى قلعة نمرون ((Lampron)) وهى منطقة ذات اهمية كبرى لحماية كابادوكيا وامنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne كما استطاع اوشين أن يؤسس الدولة الهيثومية — Héthomienne وهما الأسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الزعماء الأرمن كوغ باسيل أى اللص باسيل (١٦١)،وهو مغامر ارمنى بسط سيادته على كيسون ورعبان (١٦٢)، وظل فيهما منذ حوالى ١٠٨٢م — ٤٧٥ هـ حتى وفاته ١١١٢م — ٥٠٦هـ ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الأتراك (١٦٣).

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الأولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ، وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد الدولة البيزنطية من ناحية اخرى ولم يلبث أن قدم الأرمن الكثير من الخدمات للجيوش الصليبية المتهالكة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

---

(١٥٩) Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et Relig.... p. 168. Nimroun-Kalessi القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى شمال خليج طرسوس .

(١٦٠) Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر أن اوشين سيطر على مدينة اذنه) عن (Iorga) أما (ستون) فيذكر أن اوشين كان يسيطر على نصف اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ولكن احد البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الأولى استولى عليها (William : Op. Cit. V. 1, p. 181

(١٦١) Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ وقد اطلق عليه اللص لأنه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن بعده .

(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson)

(١٦٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52, Grousset : L'Empire, p. 184.

الأناضول وخلال الممرات المرتفعة فى طوروس كما قاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم اى شعب او اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين اكثر من الأرمن. الذين امدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام» (١٦٤).

والواقع أننا نؤيد ذلك الراى الذى يذكر أن « الصداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى أول الأمر انما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية اخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايعين من السكان الأرمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦). وفى مرعش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبى الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبة ايضا تنكريد ابن اخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبى ليعملا لحسابهما(١٦٨) .لكن حدث بينهما صدامان امام كل من طرسوس(١٦٩) والمصيصة (١٧٠) — سنتناولهما فيما بعد — وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبى

---

(١٦٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12.

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى،ص ١٤٣

(١٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207.

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p.298.

(١٦٨) F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

١٧٠) William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : Ibid., p. 138.

(١٧١) Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301.

الاسلى فى مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢).وبعد مضى حوالى يومين فى ١٥ أكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفاقه من جديد ليبحث عن مستقر على ارض أرمينية (١٧٣) . ذلك بعد أن أخذ بنصيحة باكراد الأرمنى — اخو كوغ باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل — بان قدره الحقيقى يرقد بعيدا فى الشرق على الفرات (١٧٤) . لأنه هناك لن يلتقى بتنكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وببداية بلدوين البولونى رحلته هذه تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخه كمؤسس لامارة الرها الصليبية وهنا يؤكد احد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجاه الى السهل القيليقى واصبح بذلك على اتصال مباشر بالقوات الأرمينية (١٧٦) » وانه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره فى قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفى كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبة السوريون الذين كونوا بقية السكان ، فكانوا اكثر شكا ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدرين ببكراد فقد بدأ فى نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر وليم الصورى أن معرفة بلدوين ببكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو أن هناك اشارة لأحد اللاتين تذكر أن « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

---

(١٧٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138.
(١٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49.
(١٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.
(١٧٥) Zoé : Op. Cit., p. 138.
(١٧٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.
(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Albert)
(١٧٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.
(١٧٩) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175.
(١٨٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 188
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١
(١٨١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 353.

هنا يوضح Ioga ان باجراد كان قد حبس كرهينة فى القسطنطينية (Iorga : L&Arménie Coliciénne, p. 92).

هل كان صادقا فى معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه ام مصلحته هو ؟

هنا نرى وليم الصورى يصف باكراد بانه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخـادعا الى درجة كبيرة ومشكوكا فى اخلاصه .. كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشاركه فى حملة على الاقاليم المجاورة وهي الاقاليم التى قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رايه فى النهاية (١٨٢) » . فى حين يـذكر رنسيمان « أن باجراد كان يود أن يضمن مساعدة بلدوين من اجـل تثبيت أركان الامارات الارمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقـاربه » (١٨٣) أما جروسيه فيقول ان باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعنـد اللزوم يسـتطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هـذه هى سياسـة فيلاريتوس تجاه منافسيه اذ نـاور بين البيزنطيين والاتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشـاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان أن اصطحب بلدوين معه حوالى مائة فارس وعـددا قليلا من المشاه وبدأ رحلته من مرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المسـاعدات التى قدمها له بعض امراء الارمن المحـليين ، وبفضـل هـذه المعونـة استولى على مدينتين هـامتين هما تل باشر

---

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54 من (Albert)

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٦ عن (Albert) أن بلدوين انشـق عن بقيـة الجيش الصليبى تحت ستار حماية ميسرة الصليبيين الزاحفين على انطاكية ليبحث لنفسه عن امارة جديدة صالحة فى البلاد الارمينيـة .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك فى عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح المدينتين مساعدة الأهالى الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحاميات التركيـة وطردها الأمر الذى سـاعد عليه ضـعف تلك الحاميات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير أرمنى آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا أنه حدث فى تلك المرحلة — أى اثناء وجود بلدوين فى تل باشر — أن استدعاه ثوروس الأرمنى حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

---

(١٨٦) Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278
وهنا ذكر دوفال انهما :
شمال غـربى حـلب . أمـا المصـادر اللاتينيـة فتـذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسـكرات بالقوة تـارة وبالحيـلة تارة أخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على افضلهم ويسمى تل باشر .
Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.

أما عن راوندان فقـد ذكر ياقوت الحموى : معجم البـلدان حـ ٩ ص ١٩ أنها قلعـة حصينة وكورة معشبة من نواحى حلب . واضاف ابن العـديم أنها قلعة صغيرة على رأس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل اليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٦٩) .

(١٨٧) Grousset : L'Empire, p. 204,
اسحاق عبيد : رومـا وبيزنطة ، ص ١٠٨
عن (Albert) . وهـو يسمـى القـلعتين (رافنـدل وتربسـل وهى ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية - Turbessel, Ravendel هنا نجد (شـالندون) يخطىء فى ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم فى فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ (
Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)
ومما لا يرجـح صحة هـذا التـاريخ أن المـدينتين سـقطتا فى أيدى الصليبيين قبل الرها التى تم دخولهم لها ١٠٩٨ م — ٤٩٢هـ .

(١٨٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

(١٨٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Crousset. Ibid., V. 1, p. 54.

(١٩٠) Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35.

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل باشر ، كتب اليـه (فير) تقريرا بأن باكراد يتـآمر ضـده فى راونـدان (١٩١) ويبـدو كما يقـول (رنسيمان) « انه ليس هناك شك فى ان (فير) كان غيورا من باجراد الذى لم يرتكب ذنبـا اكثر من الاتصـال سرا باخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العـاقبة فدفع رجاله الى رواندان وقبض على باجراد الذى عـذب ليعترف فلم يصرح سـوى بالقليل النـادر ثم هرب فورا ليحتمى باخيـه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكى يحررهم ولكن ليبنى لنفسه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوروس الذى استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلتـه الى الرهـا آمنـة ، اذ كمن له فى الطريق اتراك سميساط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قـدمها له الأرمن فى تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع أن نتصور اهمية المساعدات الأرمينية لبلدوين البولونى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين فى حـاجة الى مرشـد ولا لنجدات فى منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى فى الأماكن البعيدة جـدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرهـا (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ ان بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشـاه

---

(١٩١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(١٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 303 هنا يضيف (Runciman) من الدبس : تاريخ سوريا حـ ٦ ص ١٢ ان باكراد استحوذ على بعض الأماكن ولكن التـاريخ لم ينبئنا ما آل اليـه أمره .

(١٩٣) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena, Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.

(١٩٤) Fulcherii Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid.,) T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

(١٩٥) Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240.

١٠٨٧ : ١٠٩٤م (٤٨٠ ــ ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقى بوزان (١٩٦) .

يقول ابو شامه أنه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلمش على يد تتش ان ملك تتش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل أهل القلعة الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النميرى كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها . وكان أن سار ملكشاه اليها فحاصرها وفتحها واقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذى وعد الاهالى الأرمن فى الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا(١٩٨).

وكان ان ظل بوزان هذا حاكما للمدينة الى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما قتل فى الحرب بين تتش وعمه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى احد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيثوم على الرها بوصفه تابعا لفيلاريتوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته فى التارجح بين أرضاء

---

(١٩٦) Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.

وهنا يعدد لنا دفريمبرى اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .

(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٠

(١٩٨) Grousset : L'Empire, p. 183.

١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ١٥ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ــ ٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٩ ص ٧٦/٧٧ . وهنا يرجع الحسينى : أخبار الدولة السلوجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان الى عدم اسراع بركياروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله مع اتابكة الأمير الاسفسهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك ببيت للصدر عماد الدين يوضح ذلك فيقول :

قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى لم نفكر فى سنقر وبوزان

(٢٠٠) The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628.

كل من الاتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحيـة أخرى « فقد تحـاشى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا لملاحظة جيوبرت النوجنتى ، حفظ الرهـا من هجمـات الأتراك بالمفاوضات ودفـع الجزية فى الوقت المناسب ، لابالسلاح (٢٠١) » . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعـل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للامبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هـذا فكان هو حاكم الرهـا عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت أحس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وانها لم تظل على قيـد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياسـة المهادنة التى اتبعها تجـاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ محاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعـذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصـة كان يتمناها (٢٠٣) .

---

(٢٠١) سعيد عاشور
الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.
(فقد اثره تنتشى اخر السـلطان ملكشاه فى حكم الرهـا سنة ١٠٩٤م)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٠١ ،
(٢٠٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.
(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel) Cruasades, p. 60.

الباب الأول

قيام امارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الأتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمنى بمعجزة فى المحافظة على ذلك الحصن المسيحى البارز على أرض اسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركى على امارته (١) . وجاء ذلك فى الوقت الذى كانت شهرة بلدوين البولونى قد بلغت آفاقا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته فى حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس فى طلب المساعدة من بلدوين البولونى ولكنه فى نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه أى بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفصح عن نيته هذه لأحد حتى أشد المقربين اليه بدليل ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تنكشف سياسته لبلدوين ولأهالى الرها أنفسهم .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين فى تل باشر يتوسل اليه أن يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين «الذين أقلقوه كثيرا(٦)»

---

(١) Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56.

(٢) Fulcharii : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, T. 3, p. 337.

(٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 352.

(٤) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54.

(٥) C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée p. 56, L'Empire, p. 204.

(٦) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد أحد المصادر اللاتينية بقوله أن ثوروس استدعى بلدوين « ليسكت معارضيه فى الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من أسقف المدينة يرافقه اثنى عشر كبيرا من كبار الامارة ، فطلبوا من بلدوين الحضور الى مدينتهم لحمايتهم من الأتراك (٨). ويقال انه من أسباب تلك الاستغاثة أو ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من أن كربوغا اتابك الموصل كان يعد فى ذلك الوقت جيشا عظيما ليتجه لنجدة انطاكية ، مما أثار المخاوف من أن يستولى فى طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم أن استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وانه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة أخرى فانه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس فى استخدام بلدوين كأجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الأتراك ، وان كان بعض المؤرخين ذكروا أن استغاثة ثوروس كانت تتضمن مؤازرة بلدوين لثوروس ضد الأتراك مقابل أجر مجز (١٠). والراجح أن بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو فى راوندان، وانما اكتشفها بعد أن وصل الى الرها ذاتها (١١) .

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض النصوص المعاصرة من أن بلدوين لم يكن يعلم شيئا عن الرها حتى وصوله اليها مصحبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالنهب والسلب (١٢) . اذ لا يعقل أن بلدوين قام بعمليات أسر ونهب فى منطقة أرمينية .. مع أن مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلا عما فى هذا الراى من تعارض مع ما ذكره وليم الصورى من تقرب الأرمن

---

(٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 352.

(٨) Alberti : Ibid., p. 352.

(٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Runciman: Op. Cit., V. 1, p. 203. (Albert of Aix) عن سعيد عاشور و الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٨١

(١٠) C. Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١١) C. Cahen : Ibid., p. 210.

(١٢) Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما ان عبرنا امام الارمن واتضح اننا نتقدم ونحمل الصلبان والاعلام معلنين حبنا المتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا اقدامنا وثيابنا المزقة ، لانهم سمعوا اننا في سبيلنا لحمايتهم من الاتراك (١٤) » .

ومهما يكن من امر فان بلدوين لم يكد يتلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها في الحال لما رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد في المسير فورا ليعبر الفرات في نحو ثمانين فارسا فقط ، في حين ترك بقية اتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها في فبراير ١٠٩٨م(١٦) (٤٩٢هـ) استقبل استقبالا رائعا صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما اثار شعور الغيرة والحسد في نفس ثوروس الذي اخذ يحس ان زمام الأمور سوف يفلت من يديه امام

---

(١٣) William : Op. Cit., V. 1, p.. 188 - 189.

(١٤) Fulcherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 337.

(١٥) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. اما متى الرهاوي فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا . (Mattieu : Op. Cit., p. 36) في حين يشير مصدر لاتيني آخر انهم كانوا ثمانون . Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

(١٦) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman Op. Cit., V. 1, p. 24 عن (Albert) ذكر المرجعان ان ذلك كان في بداية فبراير اما اسحاق هبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا في العشرين من فبراير ١٠٩٨م » . عن (Hagenmeyer : Chronologie)

(١٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191, Miehaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وامام حب الاهالى الجارف له (١٨).ويروى بعض المؤرخين المعاصرين ان ثورس « حسد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . فى حين يذكر وليم الصورى أن ثوروس « بدأ يفكر فى التخلى عن الترتيبات التى اقحم نفسه فيها . فعندما استنجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه ايرادات المدينة ، على ان ينفرد بلدوين بكل شىء بعد وفاة ثوروس . ولكن الاخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير فى أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة واهلها ضد ضغط الأتراك،ويحميها من عدوانهم مقابل اجر معين . وهنا اخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل أن يعمل أجيراً مقابل مكافأة سنوية »(٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكا له فى الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحميه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح فى النص اللاتينى الذى يشير الى أن ثوروس عرض « أن يقدم الى بلدوين كثيرا من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط ان يثبت له وللاهالى والجهات المواجهة لكماتن الأتراك انه سيدفع عنهم خطرهم(٢١) » . ويقول وليم الصورى « ان بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى اعطاء بلدوين اجرا مقابل خدماته كاى جندى عادى ، وبدأ يعد العدة للعودة »(٢٢) . ويشير جروسيه أن بلدوين هدد « بالتخلى عن مهمته(٢٣) » بل اشترط « اما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

---

(١٨) Cahen : Op. Cit., p. 210.
(١٩) Albert Aquensis : Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.
(٢٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 353.
(٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢٣) Grousset : L'Empire, p. 204.

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الاتراك »(٢٤) . .

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته ان ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم ان بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم ان هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها انفسهم ؟ أم رغبة اعيان البلد الممثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لتوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر ان « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب اولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه»(٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر اخرى ان بلدوين « اجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر ان هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع اهالى الرها انفسهم ، وعندما احس ثوروس بالحاحهم وافق واذعن على مضض(٢٧) .

اما عن موقف اعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال انه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث اتى « وانه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة أو بأية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وان يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة »(٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

---

(٢٤) Grousset : L'Epopée, p.p. 56 - 57.

(٢٥) Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 81.

(٢٦) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278.

(٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبنى (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبنى فى الكنيسة الأرمينية فى القرن الحادى عشر(٣٠) . وتم ذلك فى حضور سكان المدينة وفى احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين(٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « ارمنى ــ فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

---

(٢٩) Alberti : Ibid., p. 353. William : Op. Cit. V. 1, p. 191. Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,

وبحكم هذا التبنى أصبح بلدوين الوارث الوحيد لثوروس

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 149.

(٣٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56,

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢ . عن (Guibert de Nogent)

Grousset : L'Epopée, p. 57.

وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا الشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمه وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده فى ذلك

(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

(٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٣٢) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

(٣٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58.

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكانهم لم يكفهم ما حدث له ولسلطانه الذى اصبح مناصفة بينه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان عوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عديدة اولها واهمها فى نظر الأهالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الأرمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الأصلى ، فضلا عن انفصالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالمذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القاعدة .. فأصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين ارمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) .

فاذا اضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧)) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه ارهق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الأتراك ويدفع لهم الأموال (٣٩) . فضلا عما يقال من أن سخط الأهالى عليه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . ادركنا فى النهاية اسباب التآمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهاوى يعتبر ان كل تلك الأسباب الصادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سوى ، عللا وضعوها لكى يبرروا خيانتهم لثوروس وتآمرهم ضده ،

---

(٣٤) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 - 37, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. Albert) عن
(٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208
(٣٦) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139.
(٣٧) Cahen : Op. Cit., p. 210.
(٣٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)
(٣٩) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245.
(٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

حتى قتلوه وسط هيـــاج شعبى مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عـــديدة للمدينـــة ، لأنه « بسبب مهارته الحـــذرة وبعبقريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط فى قبضة المسلمين »(٤٢) . ويقال ان اهـــالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قنسطنطين حاكم كركر(٤٣) . ولكن الذى يعنينـــا ويتطلب منـــا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين فى تلك المؤامرة . او على الأقل دراســـة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، فى حين نجد متى الرهاوى ينهم بلدوين صراحة بالمشاركة فى المؤامرة (٤٤) . هـــذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احيط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض أن يشارك فيها (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعـــد عن الظهور على

---

(٤١) Mattieu : Op. Cit., p. 30.

(٤٢) Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56.

(٤٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

(٤٤) Mattieu : Ibid., p.p. 37-38, Chalandon : Hist. de la premiàre Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570.

(٤٥) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé : Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه عندما طلب أهالى الرهـــا من بلدوين مشـــاركتهم فى التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى أخـــذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى أتوسل اليكم أن تسمحوا الى ان لا الوث بموته وبدمـــه . وان تجعلوا اسمى خسيسا بين قـــادة الجيش المسيحى .

مسرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر أنهم « اجتمعوا معه وذكروا له أنهم سيجعلوه سيدا أوحدا على الرهـا اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . أى أنه « أخبر بها لكنه أبعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجمها الثوار ومعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ؛ اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شىء وترك ثوروس يلقى مصيره(٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين من طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين أن يقوم بدور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه أن يسلم خزائنه للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تآمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضدك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الاسلحة وفى هياج شديد وفى تهور واندفاع ، وهذا كله يسبب لى الالم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك أن تطلق سراح نفسك بأية وسيلة ، او بالتنازل عن كل سلطاتك ، فلن أتوان فى الاسراع اليك » . وكان أن استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، فحلف بلدوين على تلك المقدسات المبجله بالايصاب ثوروس بأذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

---

(٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, Grousset : L'Epopée, p. 57.

(٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 - 206.

(٤٨) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140.

(٤٩) Grousset : Hist. des Crois , V. ,1, p. 57, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

(٥٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل اعيان المدينة(٥١) .

وثمة رواية أخرى تقول أن ثوروس استدعى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتمسا منه التشفع لمصلحته لدى الأهالى (٥٢) » . ويصور لنا أحد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتى لا مثيل لها فى السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية »(٥٣) . ويبدو أن المتآمرين وافقوا بعد ذلك على أن يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مسلح (٥٤) . فينزح الى ملطية التى كان أميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالى وندموا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث أى تغيير للظروف او استرداد للأشياء »(٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بانه لم يوقع على الصلح الا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخترقوا القلعة فى ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من اعلى الأسوار (٥٨) »

أما وليم الصورى والبرت فيذكران انه فى حالة شعور ثوروس باليأس . حاول إن يهرب من احدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

---

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 57, L'Epopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)
هنا يذكر ميشو (انه بمجرد ان استسلم ثوروس ووعد بالتنازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب ، ع عائلته الى ملطية حتى قبول ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالى على الصليب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)
Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud . Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جسده بآلاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل انهم سحلوا جثمانه فى الشوارع وقطعوا راسه وحملوا جثمانه للتشهير به فوق الحراب خلال كثير من قرى الامارة (٦٠) . والواقع اننا نطل من وراء هذا النص على البداية المبكرة لعملية السحل والتمثيل بالجثث .

هنا يكتفى فولشر بقوله أن بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن فى استطاعتهم عمل شيء من أجله » (٦١) دون أن يشير الى المؤامرة باى شيء، وربما يرجع ذلك الى شدة قربة ببلدوين حيث كان قسيسه الخاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « أن بلدوين اشترك بالفعل فى المؤمراة زان له بدا فى مصرع ثوروس وانه اشترك مع زوجة ثوروس فى تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعد ذلك لكى يضفى على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قد يكون بعيدا عن الحقيقة فى نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده فى المصادر المعاصرة

وفى ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغم من اعتراض بلدوين ، نادى الاهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء له وقادوه فى موكب عظيم واجلال الى داخل قلعة المدينة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء الواسع الذى احتزنه حاكمهم السابق خلال سنوات عديدة ..وبهذا عاد للمدينة الأمن والطمانينة (٦٣) » .

والواقع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول انه كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو فى بداية امره كان يتطلع — شأنه شأن باقى امراء الحملة الصليبية الأولى — الى ان

---

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu Op Cit, p 38

(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia ..Hist Occid. T. 3. p. 338.

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٠٥ .

(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid T. 4 p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له امارة يحكمها فى الشرق . وعندما أراد ثوروس ان يجعل منه جنديا مرتزقا هدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه ـ وشعبه ـ لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس فى صورة الرجل المحافظ على عهوده ، ومن ناحية اخرى حتى لا يكون مثارا لشك الاهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ؛ وعرض عليه حكم الامارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تاسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الأهالى لبلدوين مكانه ، أم ان تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما اتيحت لها الفرصة ؟ .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر ابدا فى فتح كنيسة القيامة ـ يقصد بيت المقدس ـ بل كان لديه نشاط جامح لاقامة مملكة خاصة به فى الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبى منذ وقت مبكر ـ وشاركه فى ذلك تنكريد ابن اخت بوهيموند ـ ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد ان رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانفسهما فى آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب راى وحيد انفرد بالقول بان هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تاسيس امارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسة وحده لايكفى ان لم تدعمه الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها فى الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد فى اقليم الرها السكان الأرمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له ارض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكى ينجد مسيحيى

---

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Croîs. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩ .

(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ . وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الافضل ان يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الاتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التى رتب لها ، فهو لم يفكر فى قهر أرض على جانب من الأهمية بدون الاعتماد على السكان الوطنيين . وفى اقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع انها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الاتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باءت بالفشل محاولة ثوروس فى اقامة حكومة ارمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت امارة الرها التى حكمها ثوروس بمفرده بيزنطية ارمينية ، ثم أصبحت لاتينية ارمينية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئا فشيئا حتى أصبحت امارة لاتينية صرفه (٧١) .

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها : ١٠٩٨ — ١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على ان امارة الرها هى اولى الامارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق ، وان تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨م (٧٢) (٤٩٣هـ) (٧٣) وهى السنة التى انفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

(٦٨) Zoé : Op. Cit., p. 139.

(٦٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629.

(٧٠) Grousset : L'Empire, p. 297,

(٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤ : Grousset : Ibid., p. 184.

(٧٢) هنا William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. اخطأ البعض فى ذكر تاريخ تاسيس الامارة (الميلادى) فقد اشار مرجعان انها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩م وهما : Dictionnaire d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 1.
فى حين يشير مرجع آخر الى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧م Cam. Med. Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا ايضا اخطأت بعض المصادر فى ذكر التاريخ الهجرى فمثلا ابن ايبك الدوادارى كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٥٠ يذكر أن ذلك كان سنة ٤٩٠هـ . أما التاريخ المظفرى : ميكر وفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة ٤٩١هـ ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٩ فيذكران ان ذلك كان ٤٩١هـ .

وهكـذا دخلت الرهـا فى حوزة الفرنـج بعـد أن « كانت مركزا بيزنطيا فى مواجهة مركز اسلامى فى حران » (٧٤) . والواقـع انه اذا كنا قـد بينا من قبل اهمية تاسيس امارة الرهـا بالنسبة للبناء الصليبى فى الشرق ، فان بعض البـاحثين يرون أن تاسيس امـارة الرهـا يعتبر سـابقة خطيرة ، لانه شجع بقية امراء الحملة الصليبية الأولى على أن يحذوا حذو بلدوين فى تكوين امارات لانفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبى فى الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا فى الشـام أربع امارات صليبية اختلفت اهدافها باختلاف اصول مؤسسيها . وفى ذلك يقول (بروييـه — Prawer) أن امارة الرها كانت امارة ارمينية لورينية،(٧٦)ثم امارة انطاكية التى اسسها بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التى شيدت على الأسس التى وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية Provençale ومملكـة بيت المقدس ، امـارة لورينيـة وفرنسية شمالية (٧٧) .

وقـد اختلفت امارة الرهـا من بقية الامارات الصليبية بانها اخـذت ولم تقهر (٧٨) او بمعنى آخر تحولت السلطـة فيهـا من رئيس ارمنى الى رئيس فرنجى (٧٩) .

امـا عن شخصية مؤسس امـارة الرهـا الصليبية ، وهو بلدوين البولونى او بلدوين دى بوايون (٨٠) الـذى حكم الرهـا من ١٠٩٨ —

---

(٧٤) Cahen : Op. Cit., p. 111.

(٧٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) سـار على راس احـد الجيوش الصليبية ، الذى جند من فالونيا وفـلاند واللورين ، قـادة فرنسـيين هـم : جـود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon واخويـه بلـدوين وايوسـتاش وابن خـاله بلـدوين دى بـورح . (F. Charles — Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 15).

(٧٧) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 249.

(٧٨) J. Prawer : Ibid., p. 249.

(٧٩) Cahen : Op. Cit., p. 225.

(٨٠) وبوايون Bouillon هى مدينـة فى بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج =

١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) (٨١) فالمعروف انه كان أخا لجود فرى دى بوايون وكان يصغر أخاه بسنة او اثنتين . (٨٢) جمعته هو وأخوه بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) ، كذلك تشابها فى الغطرسة والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين فى طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحى المدنية والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة العظيمة ، اذ تربى تربية أميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس فى طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحية اخرى كان ذكيا طماعا ، صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شديدا كما كان رجل سياسة ورجل دولة (٨٧) .

والواقع أن بلدوين عرف منذ البداية انه لايستطيع أبدا الاعتماد الا على خاصته ولكن بالرغم من انه لم تكن له شعبية مثل اخيه جود فرى او مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما ، مهاب الجانب ، فشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

شمال فرنسا . وكانت بوايون فى القرن الحادى عشر الميلادى تحت حكم أمراء الأردن Ardennes والذين تولى خمسة منهم فيما بين ١٠١٢ — ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان . ولما كانت بوايون هى قلعتهم الرئيسية فقد اصبح من المألوف أن يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم أن بوايون نفسها لم تكن دوقية . والى بوايون هذه ينسب أميرنا الصليبى بلدوين .

Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

(٨١) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٨٢) Zoé : Op. Cit., p. 116.

(٨٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.

ويضيف المرجع الأخير بأن بلدوين كان المحارب الأكثر ضراوة ، الأكثر شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقا (ص ١١٧) ذو السلاح جيد وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

(٨٤) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.). Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1. p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

(٨٥) Zoé : Ibid., p. 135.

(٨٦) Zoé : Ibid., p. 117.

(٨٧) Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الأصدقاء (٨٨) وربما يرجع السبب في ذلك الى أنه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حينا والتهديد بالقوة احيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الاقوال في ذكر صفاته الا انها في مجموعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تفخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع أن يصل بعد أن كان اميرا لامارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم امارة الرها ، وضع نصب عينيه ان يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول في الصرح اللاتيني في المشرق ، من طريق تدعيم الجبهة الداخلية للامارة وعن طريق التوسع الخارجي .

ان ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لامارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقته الكاملة في اهالي الامارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالاضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور في خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع أن المشكلة الأولى التي واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الحظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا في حصار انطاكية سئموا طول الحصار بعد أن ضاقت بهم الحال فاتجهوا الى الرها ينشدون حياة افضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض انه اغراهم على

---

(٨٨) Zoé : Ibid., p. 141.
يقصد هنا بخاصته (فرسان بطانته وذوى قرباه والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به عن طريق بعض الهبات)
(٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.
(٩٠) William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.
(٩١) ولو ان (آرتشية) يذكر هنا أنه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.
(٩٢) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 465.

القدوم الى امارته لأنه كان فى حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من امام انطاكية الى الامير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يأمل فى الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالى ينشد الاستقرار فى الرها . وفريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الأصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراما كبيرا ثم اعادهم الى اخوانهم بالشام فى حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا أن الصليبيين تدفقوا فى أعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى أصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين فى اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة فى الامارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التى وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمهما لأخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصارها فى اغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جود فرى الذى غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكسب بلدوين ود الأرمن ويقربهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية فى نظر السكان المحليين (١٠٠) . فانه اسرع بعد وفاة

---

(٩٣) Zoé : Op. Cit., p. ...

(٩٤) Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234.

(٩٥) William : Op. Cit., p.p. 301 - 305.

(٩٦) William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 248.

(٩٧) Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٩٨) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1, p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 - 234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

(١٠٠) Grousset : L'Epopée, p. 58.

زوجته الأولى بالزواج من أميرة ارمينية اسمها اردا Arda (١٠١) . وكانت ابنة احد كبار النبلاء الأرمن ، وأنها تنحدر من نسل روبان على قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهذه الزيجة أن يكسب ود الأرمن داخل الرها ؛ فنظروا اليه فى البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا مستعدين للحرب حتى الموت من أجل سعادته ومجده (١٠٣) هذا الى انه حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد جزء من ديونه . ويقال ان هذا الصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت يضاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضه بعد وفاته وان يؤمنه ضد الأتراك وان يحميه من خشونة الأرمن فى قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهوين ويرجع ذلك فى الواقع الى تدفق المسيحيين الغربيين الى الرها باعداد هائلة والذين لم يلبثوا أن سببوا مضايقات للأهالى الأصليين رغم ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فمنذ السنة الأولى لحكم بلدوين فى الرها تكونت ارستقراطية فرنجية اتصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت الأرمن والسريان باحتقار وعنف واعتبرتهم اجناسا اقل منهم فى المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالى الرها من المسيحيين الغربيين — سكان الرها الجدد — على بلدوين نفسه فانه لم يحسن انتقاء

---

(١٠١) Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 433, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(١٠٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 نقلا عن (Dulaurier)

(١٠٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٠٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 361. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman : Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.

(١٠٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٦) Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

العناصر الصليبية الغربيـــة الوافدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصورى يسهبون فى وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا فى المدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كاصدقاء ، اذ اساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانات (١٠٧) . وفى ذلك المجال يذكر وليم الصورى ان بلدوين قلل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرهـا الاصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مساعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعه ، وندم اهل الرها لأنهم مكنوه من السيادة عليهم وخافوا ان يسلبهم فى النهاية من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان الاثنا عشر زعيما لدولة الرها — الذين يكونون مجلس شيوخها — تأملوا تدفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الأماكن على مدينتهم ، انهم دفعوا بلدوين معهم فى كل عمل ولكنه اهمل قراراتهم بصورة مفاجأة فاستشاطوا غضبا ضده وندموا كثيرا لأنهم عينوا بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكذا لم يلبث ان تآمر اهل الرها مع بعض امراء الأتراك المجاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، او على الاقل طرده من مدينتهم — (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتغلب عليها بلدوين بوسائله العنيفة المعروفة عنه (١١١) ، فقبض على المتآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف فى الدولة البيزنطية بسبل اعينهم وقطع انوفهم واياديهم واقدامهم (١١٢) . أما الذين اشتبه فى امرهم فقد طردهم من المدينة وصادر ممتلكاتهم ، فى حين عاقب من سمح لهم بالبقاء فى الرها ، بمصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة بثراء خزانته واشباع

---

(١٠٧) Zoé : Ibid., p. 141.

(١٠٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٩) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., T. 4, p. 442.

(١١٠) Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306.

(١١١) Grousset : L'Empire, p. 297.

(١١٢) Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(١١٣) Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306.

اتباعه من الصليبيين عن طريق المصادرات التى شملت كميات كبيرة من الذهب تقدر بحوالى عشرين الف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الأموال التى طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتى تراوحت بين عشرين او ثلاثين الف بيزانت وستين الف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر أن بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية التى واجهته بطرق مختلفة اشرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته والمصادرات والفديات ، هذا الى جانب الأموال المكتنزة فى قلعة الرها والتى كان الكثير منها قد سك من أيام البيزنطيين والتى كان ثوروس قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

ومهما يكن من امر ، فان بلدوين بعد تغلبه على المؤامرة السابقة اصبح يشعر بأنه سيد هنليم يمتلك امارة واسعة الأطراف . استطاع ان يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بأنه يقف على أرض صلبه . وهذا كله حمله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان أن وجه بلدوين أولى ضرباته ضد الاتراك سميساط (١١٧) الذين بدأوا بمعاداته وهو فى طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له ولو انهم لم يصيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدأ بلدوين رحلته الأولى الى الرها ، سمع الأتراك المقيمين فى مدينة سميساط المنيعة الخبر فاسرعوا الى اقامة كمين له فى الطريق الذى تصوروا انه سيسير عبره . لكن احد الأرمن استضافه وجماعته ، فاختفى فى ذلك المكان حوالى يومين ، حتى مرت الأزمة بسلام (١١٨) .

وما أن تم تبنى ثوروس لبلدوين — كما رأينا — واصبح الأخير شريكا للأول فى حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحمى المدينة من اتراك

---

(١١٤) Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306.

(١١٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١١٦) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208.

(١١٧) مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٥٨) .

(١١٨) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

سميساط وعلى راسهم الامير بلك بن الدانشمند (١١٩) . يوصفه اشد الأعداء قربا وعنادا وخطرا على الرهـا (١٢٠) .

كـان بلك وفقا لما ذكره وليم الصـورى والبرت محاربا شجاعا ، ماكرا شريرا ، سبب لأهالى الرهـا مضايقات عـديدة عن طريق فرض الاتاوات على حقولهم وارهاقهم بالخـدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا بمثابة رهائن لديه (١٢١) لذلك توسل اهل الرهـا بامبرهم بلدوين لكى يحميهم من طغيان بلك حـاكم سميساط (١٢٢) . الأمر الـذى جعل بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) على راس حملة ضـد سميساط مصطحبا معـه فرسـانه الفرنج وجموع من أهل الرهـا انفسهم ، فضلا من المسـاعدات التى حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) . وبهـذا الجيش الكبير سـار بلدوين نحو سميساط حتى قارب اسوارها ونهب رجالـه ضواحيها فى الوقت الـذى كان الاتراك واثقين من قوة تحصينات المدينـة ولذا قاوموا بشـدة (١٢٤) . ومـع ان كفة بلدوين واتباعه كانت راجحة فى البداية ، الا ان انصرافهم الى الغنائم لاقتسـامها بينهم (١٢٥) . اتـاحت فرصـة للعدو فهاجمهم ثلثمائـة فارس تركى وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فولوا الادبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك الغزوة حوالى الفا او الفين من الرجـال (١٢٧) . من بينهم سـتة من

---

(١١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 55, 61.

(١٢٠) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٢) William : Ibid., V. 1, p. 192.

(١٢٣) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher), Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٥) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 55.

(١٢٦) Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37.

(١٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢

فرسان بلدوين الاشداء ، لذلك ساد الحزن العميق وانتشر العويل في كافة انحاء الامارة (١٢٨) .

ولما راى بلدوين انه يصعب التغلب على حامية سميساط عاد الى الرها بعد أن ترك حامية في حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعي أمامي يحول دون تهديد اتراك سميساط للرها . ويبدو أن هذا الاجراء خفف من الرها فعلا ضغط الاتراك مما حقق لبلدوين قسطا من الشعبية والثقة داخل الرها ذاتها (١٢٩) .

وقد سبق ان رأينا كيف انه بعد حملة سميساط السابقة الذكر دبرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان اخذ بلدوين بعد انفراده بحكم الرها يعد من جديد للاستيلاء على سميساط الامر الذى افزع بلك ، وكان ان ارسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصورى ان بلدوين وافق بعد تفكير وروية على ذلك العرض ، اذ وجد أنه من الصعب اخذ سميساط بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . أما (البرت) فيقول ان بلدوين لم يستجب اولا لعرض بلك ، لانه كان يعتقد أن الاخير استولى على سميساط من المسيحيين دون وجه حق . وما ان احس بلك بنوايا بلدوين وجفوته ، حتى عقد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من اهل الرها ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض المقدم اليه من بلك (١٣٢) .

ولم يعجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سميساط اذ كان في الخزائن التى تركها ثوروس كثير من الأموال المكدسة (١٣٣) .

---

(١٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 354.

(١٢٩) Alberti : Ibid., p. 354; William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 (Albert - Mattieu). عن

(١٣٠) Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4. p. 355, Runciman : Op. Cit., V. 1. 1, p. 208 عن (Albert).

(١٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٣٢) Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355.

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصورى) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط واصبح بلك منذ ذلك اليوم تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد فى قلعتها رهائن عديدين كان بلك قد اخذهم من الرها ، فردهم بلدوين الى ذويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة فى الرها (١٣٦) .

ومع ذلك فان بلدوين كان يتشكك فى اخلاص بلك له وهو الأمر الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية فى حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته فهى ضم مدينة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجارية كبيرة ، بسبب ضاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قدوم الصليبيين هو الأمير التركى نور الدولة بلك بن بهرام الأرتقى (١٣٩) . وبلك هذا هو الذى سماه كل من البرت ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين فى الرها حتى بدا بلك الأرتقى يشعر بقلق زائد حيث كان تأسيس امارة الرها الصليبية يمثل كارثة حقيقية لاقاربه من

---

(١٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer : Op. Cit. p. 62. عن (Albert.)

(١٣٥) Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194.

(١٣٦) William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على مثل صلح الرها فى أيام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢١٦) وكانت تقع الى الجنوب الغربى من الرها .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

(١٣٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869.

(١٣٩) Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - Mattieu) Runciman : Op. Cit.. V. 1, p. 209. عن (Albert)

(١٤٠) Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ فقدوا فلسطين يعملون على جعل الرها مركزا لممتلكاتهم فى الشمال . لذلك حاول بلك فى بادىء الأمر الدخول فى علاقات ودية مع بلدوين (١٤١) . ويقال أن بلك حاول من وراء ذلك أن يستعين ببلدوين والفرنج لتحقيق مصالحه الخاصة وظن أن بلدوين لا يعدو أحد المغامرين (١٤٢) .

وفى مكان آخر يذكر وليم أن الأمير (بالاس) كان يضايق باستمرار مدينة الرها ، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليه الأهالى أن يجمع جيشا ويتحرك ضدها . ولكنه عندما توجه اليها وحاصرها وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان فى مقابل تسليم المدينة (١٤٣) . وما أن سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم يفكر اطلاق فى تركها تحت حكم بلك (١٤٤) . لذا فرض ضريبة على اهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية أرمينية تحت قيادة أحد الرجال الذين تولوا المفاوضات بينه وبين بلك (١٤٥) هو فولشر دى شارتر (١٤٦) وهو غير سميه قسيس حملة بلدوين الذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذى يعتبر أحد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . وانما كان فولشر هذا رجلا له تجارب كثيرة فى الحرب (١٤٧) وكان « فارسا ذو شجاعة عظيمة وذو سلوك

---

(١٤١) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., p.306

(١٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 عن (Albert) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٦ عن البرت ايضا .

(١٤٣) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195.

(١٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63.

(١٤٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 195.

(١٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4, p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869

عن (L'Anonyme) المصدر الأخير يسميه Foucher de Chartres — Putshir أما متى الرهاوى فيسميه

فى حين يسميه وليم الصورى Fulcher - Folkert أما البرت فمره يقول Folbertus Carnotensis واخرى Folkerum Carnotensis

(١٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 308.

حميد ، (١٤٨) تركَ بلدوين مولشر فى قلعة سروج مع مائه من أمهر الجنود المتمرسين على القتال (١٤٩) . ومجهزين تجهيزا جيدا للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج فى ذلك الوقت أهمية كبيرة بالنسبة للرها لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين أنطاكية (١٥١) .

ويبدو أن بلك لم يحافظ على علاقاته الودية مع بلدوين ، مما أدى الى فقد الأخير ثقته فى الأتراك وأدى بالتالى الى تخلصه من بلك الدانشمندى حاكم سميساط السابق — كما سنرى — والذى كان حتى ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت وراليم الصورى فى بيان أسباب ذلك فيقولا أنه عندما لاحظ (بالاس) أن عاطفة بلدوين تجاهه فترت دفعته مشاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منه أن يحضر شخصيا لتسلم القلعة الوحيدة التى بقيت فى يديه وأنه سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته وأولاده رهينة الى الرها وتظاهر بأنه فى خوف عظيم من الأهالى لأنه أصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣). ويذكر البرت « أن الغرض الحقيقى الذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليه لتسليم القلعة توجه بلدوين مع مائتين من فرسانه الى المكان حيث كان بلك قد سبقه وقوى دفاعها بأن وضع بها مائة فارس مسلحين تسليحا رائعا . اختفت تلك القوة عند وصول بلدوين . عندئذ طلب بلك من بلدوين الا يدخل الا بقوة صغيرة فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتموا رائحة الخيانة منعوه بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر أن يدخل المكان اثنا عشر فارسا على أن يبقى بلدوين وبقية قوته عن قرب لمشاهدة ما يحدث . وما أن

---

(١٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(١٤٩) Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446.
(١٥٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 308.
(١٥١) William : Ibid., p. 195.
(١٥٢) Alberti : Op. Cit,, Liber III, T. 4, p. 355.
(١٥٣) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443-444, Williad : Op. Cit., V. 1, p.p. 306-307.
(١٥٤) Alberti : Ibid., p. 444.
(١٥٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 307.
(١٥٦) Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : Ibid., p. 307.

دخـل فرسـان بلدوين حتى وقعوا فى الكمين التركى المدبر لهم . عندئذ اقترب بلدوين من المكـان وحاول أن يذكر بلك بالميين الذى تعهـد به وطلب منه اعادة فرسـانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابـة على طلبه هو الأخر واقسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرسـانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصـانة القلعة وانه من الصعب الاستيلاء عليها عـاد الى الرهـا وهو فى شـدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضـايق فولشر حاكم قلعة سروج — ايضـا مما حـدث وصمم على الانتقـام من بلك ورجاله عن طريق الخديعـة . فوضـع كمينا بالقرب من القلعة ثم تقـدم مع بعض حرسـه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطعان ماشية هنا تتبعته حامية بلك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انقض رجاله على الاتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الأخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعـد فترة تبادل فولشر هؤلاء الستة بستة من رجالهم المأسورين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعـة آخرون الهرب من قبضـة الاتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١) . ومنذ ذلك الوقت فصـاعدا كره بلدوين الأتراك بشدة واسقط تحالفاته معهم (١٦٢) .

ولمـا كان اهالى سروج واثقين من أن بلدوين سيعود اليهم من جـديد للانتقـام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسـلوا الى بلك الـدانشمندى الموجود فى الرهـا والى بعض القوى التركيـة القريبـة يطلبون منهم

---

(١٥٧) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., V. 1, p. 307.

(١٥٨) Alberti : Ibid., p. 445.

(١٥٩) Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307

(١٦٠) Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308.

(١٦١) Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف البرت أن الأثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ، Piscello اجمل وانبل جند — Wizan .

(١٦٢) Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308.

(١٦٣) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356.

الحضور لاستلام المدينة . وهنا يبدو أن بلك طمع فى الاستيلاء على سروج ، عسى أن يكون فى ذلك تعويضا عما لحقه من خسارة بضياع سميساط من يده ، ولذلك أخذ يستعد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤).

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجه الى سروج وما أن علم أهالى سروج بذلك حتى انتابهم الذعر وأرسلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينة فى سلام مع تعهدهم بدفع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك بلك الخوف الشديد فقصد بلدوين ليعلن له أنه انما كان يقصد سروج ليخضعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير أن يسلمه زوجته وأطفاله رهائن . ولما ماطل بلك فى ذلك قبض عليه بلدوين وقطع رأسه (١٦٧) سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سميساط وسروج الى الرها وبذلك « استطاع بلدوين أن يجعل من الرها ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سميساط وسروج » (١٦٩) .

وفى سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهى مركز استراتجى هام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

---

(١٦٤) Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 62.

(١٦٥) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63. عن (Alberti)

(١٦٦) Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63,
(رنسيمان وجروسيه عن البرت)
ويفسر جروسيه ذلك بقوله « اسرع بلك الى الرها ورمى بنفسه على أقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يات الى سروج الا لكى يعث الأهالى على تسليم المكان » .

(١٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

(١٦٨) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445.

(١٦٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

الى عينتاب (١٧٠) . وبعد أن استولى بلدوين على المدينة تركها فى يد أحد الرؤساء الأرمن المحليين واسمه ابو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت امارة الرها نموا واسعا على عهد بلدوين البولونى حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد ان اكمل بلدوين البولونى تحقيق امنيته (الخاصة) واقام امارة لاتينية لا يشاركه احد فى حكمها .. وبعد أن ضمن لامارته قدرا من الاستقرار الداخلى والخارجى . بدا يفكر فى زيارة بيت المقدس هو والامير بوهيموند امير انطاكية (١٧٣) حيث انهما حتى ذلك الوقت « لم يريا تلك المدينة التى خرجا من الغرب من اجلها(١٧٤) » وهنا يحرص فولشر المؤرخ اللاتينى المعاصر — وقسيس حملة بلدوين الخاص — على الدفاع عن بلدوين وتبرير عدم مصاحبته للجيش الصليبى الكبير فى زحفه على بيت المقدس ، فيقول ان بلدوين كان مشغولا فى ذلك الدور بتأمين الجناح الشرقى للصليبيين ضد الأتراك على جبهة الفرات . ويشارك فولشر فى هذا الراى المؤرخ وليم الصورى(١٧٥) . ومهما يكن من أمر فقد قام بلدوين وبوهيموند امير انطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرا من المتاعب والأخطار التى يفصلها فولشر(١٧٦) . وسنتعرض لتلك الزيارة بالتفصيل فى باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقدس .

---

(١٧٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, (Ray Colonies Franques), L'Empire, p. 204, (Grousset) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٦ . عن

(١٧١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64.

(١٧٢) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

(١٧٣) Gesta Tancredi in Expedione ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 704.

(١٧٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261.

(١٧٥) Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بدأت تلك الرحلة — كما ذكر فولشر ص ٣٦٥ فى نوفمبر سنة ١٠٩٩م وانتهت فى مارس ١١٠٠م كما حددتها الجستا Fulcherii : Ibid., p. 364 - 366
Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى أن نشير الآن الى أن بلدوين وبوهيموند استقبلا فى بيت المقدس من جودفرى ورجال الدين والاهالى استقبالا طيبا وزاروا الاماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه فى الماضى عن طريق الأخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للأرمن فى ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للامارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك أن جبريل قصد بوهيموند فى انطاكية فى شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعلن خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله أحاطت به كمائن التركمان من بنى دانشمند واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند أرسل الى بلدوين طالبا نجدته ولكى يتاكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على أن يرسل خصلة من شعره الذهبى الى بلدوين مع الرسول الأرمنى(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا اسيرهم بوهيموند وقروا بسرعة(١٨٢)

---

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١٧٨) William Ibid. V. 1, p. 421.

(١٧٩) R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia). وتسمى ملطية هنا

(١٨٠) Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519, Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, pp. 551-552, Balduni III ; Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.) T. 5, Part 1, p. 177.

اما جروسيه فينقل لنا راى المؤلف السورى المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « أن بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التى قدم والدها يدها اليه لكنه أسر »

عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٨١) Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

(١٨٢) Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae ... Hist. Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعـــة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاســـود(١٨٤) .

وعندما يئس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥) ليستولى عليها بالاتفـاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكدته المصـــادر اللاتينيـــة(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الراى الارجح او ان بلدوين هو الذى توجه بنفسه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة ام اخضعت له تلقائيـــا فقـــد ظل جبريل حاكما عليها وتابعا لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرهـــا بعد ذلك ، حتى وافاه الحظ مرة اخرى ليصبح الرجـــل الأول بين امراء الصليبيين فى بلاد الشـــام . وذلك انه حـــدث فى شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (٤٩٤هـ) بعد عودة بلدوين الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، اعلن له موت جودفرى فى الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطالبه بالحضور فورا ليحل محل اخيه فى حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح ان انتخاب بلدوين خلفا لاخيـــه الشقيق اثار خلافا عظيما واشعل نـــار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسالة لم تكن من السهولة بمكان ما ذكره وليم الصـــورى من أن عرش بيت المقـــدس ظل خاليـــا

---

(١٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

(١٨٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٢

(١٨٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. Occid., T. 3, p. 519.

(١٨٦) Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525, Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552. Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap.. LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(١٨٧) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae... Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85-86, Zoé : Op. Cit., p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

(١٨٨) Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706.

حوالى ثلاثة اشهر حتى استدعى بلدوين ليخلف اخاه فى الغناية بشئون الملكة(١٨٩) .

والواقع ان دايمبرت ، بطريرك القدس كان يطمع حتى فى حياة جودفرى فى اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصل الضيق بجودفرى فى احدى المرات الى القول بأن دايمبرت « كان اكثر ازعاجا له من المسلمين » ، بل لقد وعد بالتخلى عن حكم بيت المقدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها فى الاهمية مثل القاهرة او دمشق(١٩٠). بل وقيل ان جودفرى اوصى قبل وفاته بأن يخلفه البطرق دايمبرت فى حكم بيت المقدس ، وذلك فى حالة عدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه(١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هذه الوصية كان يعنى تحويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على أن قيام حكومة ثيوقراطية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيا وراثيا ، كان امر صعب التحقيق . ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقدس كانت كافية لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس . هذا فضلا عن ان ارنولف مالكورن — البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت — كان له انصاره من رجال الدين وهؤلاء شايعوا فكرة قيام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس ، لا لشىء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه اطماعه وآماله(١٩٢) .

ولم يلبث ان تكون حزب معارض للبطريرك دايمبرت « وامتلكوا برج داود واعلنوا انهم لا يعترفون بسيد عليهم الا اخ او قريب لسيدهم الراحل »(١٩٣) . وكان من الطبيعى أن يتجه رفاق جودفرى واتباعه تلقائيا الى بلدوين فقد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعامة جودفرى انه ليس من الأمانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر(١٩٤) .

---

(١٨٩) William : Op. Cit. V. 1, p. 415.

(١٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 179.

(١٩١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ س ٢٨٠ عن (Albert)

(١٩٣) Zoé : Op. Cit., p. 180.

(١٩٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526.
William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.
وسوف نذكر فى الملاحق نص الرسالة الشفوية التى حملها اتباع جودفرى لاخيه بلدوين .

وعندما احس دايمبرت بالمعارضة الشديدة ضده فكر فى أن يجعل الحكم لتنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هذا الراى صادف معارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايمبرت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند فى انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايمبرت الى بوهيموند لم يصل اليه فقد احتجزه اتباع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفى نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا فى قبضة بنى داشنمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنا(١٩٧) .

وهكذا تبدد آخر امل امام دايمبرت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين فى ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى ديار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع انه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجل امارته فقط حتى انه هجر القضية الصليبية من اجلها ،لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقدس فانه لم يتردد أبدا فى ترك الامارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان أن رتب بلدوين أمور الرها ، وأثقل كاهل اهلها بكافة انواع الضرائب كما اغتصب منهم اموالا كثيرة ليستعين بها فى نفقات سفره (٢٠٠).ثم اتخذ اهبته واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة فى رعاية احد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها فى ٢ أكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

---

(١٩٥) Charles — Joseph Hefele ; Histoire de Conciles. T.V, Part 1, p. 484. (Albert) من

(١٩٦) Zoé : Op. Cit., p. 181.

(١٩٧) Zoé : Ibid., p.p. 182-183.

(١٩٨) Grousset : L'Epopée, p. 59.

(١٩٩) Grousset : Ibid., p. 59.

(٢٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 52. Setton : Op. Cit. V. 1, p. 381.

(٢٠١) Mattieu ; Ibid., p. 52, William : Op. Cit. V. 1, p. 422,

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII ... Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(٢٠٢) Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 543, William : Ibid.. V. 1, p. 422.

(٢٠٣) William : Ibid. p. 421, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher). Grousset : L'Epopée, p. 60.

مائتين من الفرسان وسبعمائة من المشاه(٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الأميرة الأرمنية(٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوفا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتى فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان ينصف دائما بالحذر فاستطاع أن يعبر البلاد دون أن يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وابلغه عن كمين وضعه المسلمون فى طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع أن يتحاشى تلك العقبة(٢٠٨).

اخيرا وصل بلدوين الى القدس فى ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م(٢٠٩)، بعد عدة مصاعب فى الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية(٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالى مدى الصعاب التى تجشمها « وكان أن خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الاناجيل وهم ينشدون التراتيل والاناشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه فى حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايمبرت عندئذ ؟ والواقع أن (اولدنبرج) يشير الى ان الحماسة الجارفة التى قوبل بها بلدوين جعلت دايمبرت يلوذ

---

(٢٠٤) Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher)

فى حين يذكر وليم الصورى أن المشاه كانوا ثمانمائة
(William : Op. Cit., V. I, p. 421)
اما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان اربعمائة وعدد المشاه كان الفا .
(Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

(٢٠٥) Zoé : Op. Cit., p. 183.

Zoé : Ibid., p. 183.

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩

(٢٠٨) Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520, Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٢٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٢١٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ — ١٣٩
William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٤٠
William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة فى جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله « أن دايمبرت الذى توقع شرا من مجىء بلدوين انسحب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافة الخلافات ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشارك فى تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الأهالى(٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريرك دايمبرت بالقتل وبانه حنث فى يمينه ، لأنه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان فى طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو الكردينال موريس دى بورتو فاوقف البطريرك حتى يبت فى امره(٢١٤) .

على أنه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريرك وبلدوين(٢١٥) وكان ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء - مما ادى الى تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس فى كنيسة العذراء ببيت لحم فى ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م(٢١٦) وبيد دايمبرت نفسه(٢١٧) .

---

(٢١٢) Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185.

(٢١٣) William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426.

(٢١٤) Aeblrti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 484

(٢١٥) Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484.

(٢١٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Brehier : l'Eglise..., p. 86, عن (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1, p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 326 عن (Fuacher) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨٧ عن (Stevenson)

(٢١٧) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو أن العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايمبرت وبلدوين فقد ذكر البرت انه فى سنة ١١٠٢م ارسل (البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) مندوبا عنه مرة اخرى الى بيت المقدس هو الأسقف موريس ، للبت فى امرد أيمبرت ولتصحيح الأمور الخاصة بالكنيسة الشرقية . ويظهر من كلام البرت أن الخلاف بين بلدوين والبطريرك فى هذه المرة كان بسبب ما يخفيه البطريرك من نقود تحت الأرض . وانتهى الأمر بتنحيه دايمبرت من جديد عن منصبه

(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك فى أن تتويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا فى تاريخ الصليبيين بالشـــام لأن اخـــاه جود فرى لم يتوج ولم يحمـــل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حـــاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولأنه فى ذلك المكان « ليس عيسى المسيح تاجـــا من الأشـــواك » ولكن قـــدر لبلدوين دى بولون أن يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب فى بيت المقدس (٢٢٠) .

امـــارة بلدوين دى بورج على الرهـــا : ١١٠٠ ـ ١١١٨م (٢٢١) (٤٩٤ ـ ٥١٢هـ) .

اما عن امارة الرهـــا بعـــد أن وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بولون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عنـــد حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان «رجلا جديرا بالتقدير فى كل علاقاته» فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشـــاط عظيم ، جعلت الأعـــداء المحيطين به ينظرون اليـــه نظرة احترام ورهبـــة (٢٢٢) » . فاذا اردنـــا أن نقارن بين الأميرين الأولين للرهـــا نجـــد ان دمـــاثة خلق الثـــانى بالمقارنة بشراســـة الأول مكنت بلدوين دى بورج من أن يستحوذ على مشـــاعر الأرمن الوديـــة (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان أمير الرهـــا الســـابق مكروها من الأرمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طاغيـــة فظا جشعا ، أما بلدوين دى بورج فقـــد استحوذ على مشـــاعر الأهالى الصـــادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصـــل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الـــذى يقول : « كان هذا الأمير احـــد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالميـــة ، كما كان محـــاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئـــة ، يفيض رقـــة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شـــاب هـــذه الصفات الطيبة جشعة ، فهو ماهر فى الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

---

(٢١٨) Bréhier : L'Eglise... p. 86 عن (Hagenmeyer).

(٢١٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. T. 4, p. 526.

(٢٢٠) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Fracos, (R.H.C.) Hist., Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

(٢٢١) G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3.

(٢٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٣) Grosset : L'Empire, p. 298.

(٢٢٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

نتيجة شراهته فى المـــال فضـــلا عن بخله وامساكه . اما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جـــدا محافظا فى سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت اولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذى كانت غالبيته من الأرمن ، هو الزواج من الأميرة الأرمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتى سبق ان ذكرنا ان والدها كان قـــد توجـــه لطلب النجـــدة من بلدوين ضـــد الأتراك الذين أسروا بوهيموند وهو فى طريقـــه لنجدته وللزواج من ابنته هـــذه .

وكانت هـــذه فرصـــة امام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن ان يتزوج من ابنة جبريل ، حيث انه لم يكن له زوجـــة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صـــداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح ان جبريل كان يمتلك ثروة خرافيـــة لأن ابنتـــه حملت هديـــة زواج بلغت ٥٠٫٠٠٠ بيزانت ذهبيـــا ، بل انه ســـاعد بلدوين فى عـــدة مناسبات بعـــد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد افادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقـــة فعالة . ومن ناحيـــة اخرى ، فانـــه على الرغم من انه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعـــة الا انـــه كان الزواج الوحيـــد الذى شـــارك فى شعائره الأمراء الاقطـــاعيون وقوبل بسرور كبير ، فضـــلا عن ان بلدوين يعتبر مثاليـــا بين الأزواج (٢٣٠) . بل ان بلدوين فى زواجـــه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركيـــة الأرمينية ، باسيل الاول الـــذى قـــدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧هـ) . من آنى (٢٣١) الى الرها ، فاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

---

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230.
Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cohen : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٨) William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٢٩) William : Ibid., p. 450.

(٢٣٠) Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٣١) كانت آنى فى نظر الشـــاعر الأرمنى نيرسيس شـــنورهالى الـــذى رثى الرهـــا بعد سقوطها هى (عاصمة المشرق)
Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,
= Op. Cit., p. 236 اما الناشر دولوبيه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦)

وقـدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا » (٢٣٢).

والواقـع أن قدوم هـذا الخبر من آنى ذات الاهمية الدينية الكبير لدى الأرمن يشهد باهمية تلك الزيجة . هـذا فضلا عن اهمية مركز كل من جبريل وبلدوين دى بورج فى نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هى احـدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التى اكدت الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلـدوين أن يثبت اولى دعائم حكمـه فى الرهـا .

أمـا عن مـدى انتفـاع جبريل من تلك الزيجـة فان بلدوين استطاع ان يحميـه من العـديد من هجمات بنى دانشمند ، وان لم يستطـع ان يمنـع سقوط ملطية فى أيديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التاليـة لتدعيم حكم بلدوين دى بورج الداخلى فى الرهـا وهى انه اختـار مسـاعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) أو بعدها بقليل (٢٣٥) . ولمـا كان جوسلين « لا يملك مـالا ولا اى مصـدر آخر من مصـادر الثروة فقـد اغـدق عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة العيش . وشـملت تلك الهبـة قورس (٢٣٦) . ودلـوك (٢٣٧) .

= « كانت آنى من اشـهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهى تقع فى منطقة كباخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة فخمة وقد تعرضت للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م والمغول ١٢٣٩ . وفى ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مـدمر حولهـا الى خرائب واطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

(٢٣٣) Grousset : L'Empire, p. 185.

(٢٣٤) Grousset : Ibid., p. 298.

(٢٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.

وقورس كما ذكرهـا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤١٢ هى «مدينة ازليةبـها آثار قديمة وكورة من نواحى حلب».

(٢٣٧) بليدة من نواحى حلب ، بالعواصم (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٨ ص ٤٦١) وهى قديمـة لها ذكر ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة قيل ان مقـام دود عليـه السـلام كان بها (ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ — ٣٠٧).

وعين تـاب (٢٣٨) . وقلعـة تل باشر المترامية الأطراف (٢٣٩) . والشديدة للخصوبة ورلوندان ومدنـا اخرى واحتفظ الامير لنفسه بالاقليم الواقـع غربى الفرات لقريـة من ممتلكات العـدو واستبقى فقط احدى المـدن فى الجزيرة وهى سميساط » (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوسـلين لكى يستطيع أن يتفرغ كليـة لممتلكاته شرقى الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل . ومن تل باشر استطاع جوسلين منـذ نهاية ١١٠٣م أن يقطـع طرق الاتصـال بين حلب والفرات ، بينمـا غزا بلدوين دى بورج الامتدادات الشرقيـة لنفس تلك الطرق حتى حـدود قلعـة جعبر والرقة ، وتتابعت غزواتـه حتى اقليم ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوسـلين دى كورتناى الرجل الثانى فى امارة الرهـا بعـد بلدوين دى بورج وشـاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقـع ان جوسلين هـذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على الاطلاق لـذا كان سندا قويا لبلدوين دى بورج ولحكمه فى الرهـا .

ولم تلبث الأحـداث ان شدت بلدوين دى بورج الى سروج ، اذ حدث فى يناير ١١٠١م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . ان توجـه سقمان بن ارتق ـ عم بلك حاكم سروج السـابق الى سروج لها جمتها وكان بصحبة جمـع كبير من التركمان (٢٤٤) . وقـام بالعـديد من الغارات على كل الاقاليم المجاورة (٢٤٥) . فتوجـه بلدوين دى بورج لمحاربته مع فوشيه حاكم

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطـاع تل باشر يمتد من الفرات الى حـدود انطاكيـة (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(٢٤٠) (R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٢٤١) (حاشية عن وليم الصورى) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٤٢) سـعيد عاشـور : الحركـة الصليبيـة حـ ١ ص ٤٣٩ (عن (Setton

(٢٤٣) Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crols, V. 1, p. 63. العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلانس : الذيل ص ١٣٨ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٢٠٤

(٢٤٥) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

سروج (٢٤٦) . وبمؤازرة العديد من السكان الذين ضغط عليهم فوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصومهم واهمالهم ادى الى هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع فى كمين الا انه افلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والاتراك هزم فيها الفرنج(٢٥٠).واستطاع الأرانقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة التى التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتينى Babios او enoit الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . أما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير من الأهالى فى حين وقع عدد كبير فى الاسر (٢٥٢) . لكن بلدوين أرسل الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل بلدوين ومعه ستمائة فارس وسبعمائة من المشاه (٢٥٤) ، وفجأة فى الفجر اشعلوا بعض المشاعل على اسنة الرماح وباغتوا المعسكر التركى ومن ناحية اخرى مساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين فهزم الأتراك وفروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) ». وكان ذلك فى أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجى

---

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869 عن (L'Anonyme Syriaque).

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (L'Anonyme)

(٢٥٠) ابن دقماق : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١ تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270 عن (L'Anonyme)

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث ٥٠٠ — ٥٣٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ، ص ١٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (Mattieu)

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلدوين فان المصدر العربى يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فضعفت نفس سكمان وانهزم (٢٥٨) » . وبذلك استولى الفرنج على سروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هذا الانتصار بلدوين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للأراتقة ومن ذلك ما قام به فى سبتمبر واكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) من هجمات على الأراتقة حول ماردين فاسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحى التى استولى عليها « تل موزن (٢٦١) . وتل قراد (٢٦٢) . فى شمال شرق شبختان بالقرب جدا من ماردين (٢٦٣) » .

وهكذا استطاع بلدوين دى بورج ان يقضى على الخطر الأرتقى فى سروج عن طريق الامدادات التى زودته بها انطاكية . ولا شك ان هذه الخطوة شجعته على ان يخطو خطوة اكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقى من الرها ، والتى كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ، التى لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكتمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلدوين دى بورج فى تدبير فدية

---

(٢٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ .

(٢٥٩) الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية، حـ ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على أن ضم سروج لامارة الرها كان فى ٤٩٤هـ — يناير ١١٠١م فان ابن ابيك يذكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ابيك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ المظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٩٤هـ فيذكر أنه كان ٥٩٤هـ . والراجح ان ذلك راجع الى الخطأ فى ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى) Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(٢٦٣) Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

(٢٦٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871.

بوهيموند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . أثره فى تعاون أميرى انطاكية والرها فى هذا العمل .

أوضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعة حران (١١٠٤م – ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشيء من التفصيل يجدر بنا ان نعطى صورة واضحة عن الوضع فى الحقل الاسلامى المحيط بها بل والوضع الداخلى فيها والذى شجع الفرنج على التوجه اليها .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجة الحرب الأهلية بين السلطان السلجوقى باركياروق واخيه محمد . والتى امتدت منذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م – يناير ١١٠٤م) . ففى سنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السلطان بركياروق بغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسى بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف أن دب من جديد فى نمس السنة بين الأخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الأخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الأخوان من جديد فانهزم السلطان محمد ولكن عندما دخل بركياروق بغداد اساء السيرة فى أهلها ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه اخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة العباسى من سوء سيرة اخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا أن رحل الى واسط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاتل السلطان بركياروق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها

---

(٢٦٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212.

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابع عشر رجب (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين ٤٩٦هـ — ١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا انه يجب عليهم أن يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم بعد أن طمع العدو فى الاطراف لذلك بداوا التشاور لعقد الصلح فارسل السلطان بركياروق رسولين الى اخيه لتقرير قواعد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عدو الاسلام فى اطراف الأرض » . فأجابه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢). لذا لم يكن لدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضد العدو المشترك (٢٧٣) .

وفى الجزيرة نفسها اثار موت اتابك الموصل كربوغا حربا اهلية ، فقد فشل سقمان الأرتقى امير ماردين فى الاحتفاظ بالحكم المرشح له مما اوقعه فى حالة حرب مع الاتابك الجديد جكرمش الذى اختير بواسطة محمد السلجوقى (٢٧٤) .

اما حران فقد كانت لملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه ، فناب عنه فى حكمها محمد الأصفهانى وهو الذى تخلص من قراجه بواسطة الأهالى الذين ظلمهم قراجه . ثم تخلص الأصفهتى من اصحاب قراجه فيما عدا غلام واحد يسمى جاولى ، الذى اتفق مع احد خدم الأصفهانى فقتله وهو سكران (٢٧٥) .

والواقع أن حران الى جانب ذلك الأضطراب السياسى فى حكمها ، كانت تعانى من اضطراب اقتصادى ايضا بسبب سياسة بلدوان

---

(٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل . ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثير : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40 - 41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٥م ، ٣ ص ٥٦٨ (عن تاريخ بيبرس) .

دى بورج نفسه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاولة الزراعة فى أراضيهم ، لاعتقاده أنه يستطيع أن يؤمن جزءا وفيرا من المؤن لمواطنيه من الاقليم الواقع خلف الفرات ومن الاقليم الواقع ايضا فى المنطقة الوسطى بين الرها وذلك النهر ، ولذا وصل اهالى حران — الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليها من تلك الأرض المشتركة الى حالة شديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصادى الذى كانت تعانيه حران ، وأرادوا أن يستفيدوا من موقع تلك المدينة بوصفها مركزا اماميا فى اتجاه بغداد يمكنهم من مواجهة أية طعنة اسلامية (٢٧٧) .

وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر وتضافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بذلك جيشا كبير العدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مع تلك الجيوش ثلاثة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالنس Bernard — de Valence — بطريرك انطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس أساقفة الرها اللاتين هذا بالاضافة الى دايمبرت بطريرك القدس السابق الذكر والذى كان وقتذاك يعيش فى انطاكية منفيا لاجئا — والذى تبع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطة الصليبيين تقضى بعبور الفرات وحصار مدينة حران (٢٨١) .

---

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميهما سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ بيمند وطنكره) أما ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سمند صاحب انطاكية ونيكرى صاحب السواحل ، أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ فيقول (بيمند صاحب انطاكية وتنكرى صاحب السواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX, T. 4, p.p. 614-615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 403-404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403 عن Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42. (Alberti)

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William : Ibid. V. 1, p. 456

وفى ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة. فاتفق الأمير معين الدولة سقمان بن ارتق القبطى أمير ماردين وحصن كيفا (٢٨٢) ، مع شمس الدولة جكرمش أمير الموصل وصاحب جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافاتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا الى الرها فى ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥).

وفى ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعانى من محنة شديدة بسبب قلة الاقوات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيا فى تاريخه (٢٨٧) ولما عرف الاهالى ان المسيحيين وصلوا الى مدينتهم ارسلوا الى أمراء الشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تأخرت عليهم هذه المساعدة ووجدوا انفسهم أمام الصليبيين وجها لوجه قرروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على ان بلدوين دى بورج لم يشأ ان يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة قبل ان يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

---

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ بل ان ابن الأثير : الباهر ص ١٦ يذكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد من ٤٩٥ — ٤٩٨هـ وقد توفى ٤٩٨هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيبا وهى بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢٨٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٢٨٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبى العبر ، جـ ٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ فيذكر أن سقمان التقى بالفرنج فى حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته وقوات جكرمش .

(٢٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p: 457.

(٢٨٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٨) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William V. 1, p.p. 457-458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

منه لانقاذ حران (٢٨٩) . وكان أن دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حـــول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقـــاش حول ايهما يرفع علمـــه أولا على المدينـــة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصـــل جيش كبير من الاتراك حتى أن المســـيحيين بدأوا يشـــكون حتى فى امكانيـــة النجـــاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفى المعركـــة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرهـــا على اليســـار ليشـــغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعـــد ميل من جهـــة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقـــد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين اجـــدهما يشـــغل المسيحيين دون أى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمـــة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بامدادهم بالطعام (٢٩٤). وفى الحـــال وبعـــد طلوع النهـــار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركـــة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبى .

ويقـــال ان المسلمين خـــدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وامعن الصليبيون فى مطـــاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكـــذا حلت هزيمـــة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهـــاوى يقول أن جثث الأرمن

---

(٢٨٩) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

(٢٩٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٢٩١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset : Hist des Crois., V. 1, p. 405.

(٢٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ؛ ص ٢٢١ Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p.43.

ودمـاءهم غطت سـطح الأرض فى حيـن امتـلأت ايـدى التركمـان بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك راى فى المصـادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتنكريد لم يشتركا فى المعركـة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصـادر اللاتينية تشير الى غير ذلك وتؤكـد أن الاتراك استداروا نحو بوهيمونـد وتنكريـد واجلوهما (٢٩٩) .

ومهما يكن من امر فان المعسـكر الانطاكى لم يصب باى ضرر واخـذ قائداه بوهيموند وتنكريد « رجالهمّا الشجعان واسرعوا للبحث عن ملجـأ فى الرهـا (٣٠٠) » . أما مصير قائـدى المعسكر الرهوى فكما روى المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم مـع جماعة من قمامصتهم وخاضـوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجـاء تركمـانى من اصـحاب سقمان فاخـذهم وحمـل بردويـل الى خيم صاحبه (٣٠٢) » . أما المؤرخون اللاتين فثمة اشـارة فى الجستا الى انه « لم يسـمح لاهل الرهـا بالتطلـع الى انفسهم او حاجياتهم واسر بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك اسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » . واشـار (البـرت) الى ذلك بقولـه « هزم بلـدوين واسـر واقتيـد

---

(٢٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٩٩) Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid., T. 4, p. 615.

(٣٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بورج فى المصـادر الاسلامية بهـذا الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خـلدون : العبـر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العـينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٩ ، بل انه احيانا يذكر (برديل) فقط كما فى : عقـد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٣ واحيانا اخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ ص ٤٩٧ ؛ أما ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ سوريـة ، حـ ٦ ص ٤٥ Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

(٣٠٣) Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

بعيـــدا (٣٠٤) » . لكن لم يقتصر الأمر على اسر بلدوين وحـــده ، بل اسر معه أيضا جوسلين اعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان اسيرين (٣٠٥) .

وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) فى تلك المعركة التى تعرف باسم موقعـــة حران او البليخ (٣٠٧) . ويمكننا ان نستشف مدى عظمتهـــا بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسى ووليم الصورى فيذكر الاول « كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله وبه قويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجـــاهدة الملحـــدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) » . أما الثـــانى فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل او بعـــد ذلك الحـــدث عن معركـــة فادحة الخســـارة كهذه التى ترتب عليها مذبحـــة مروعـــة للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .

ونشعر بمدى وقـــع موقعـــة البليخ على الرهـــا نفسها من خـــلال تلك السطور التى كتبها متى الرهـــاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح والكآبة والدموع . أى منظر ذلك الذى حل بالرهـــا ؟ اننا لا نسمع فى كل مكان سوى التأوهات والصراخ والأنين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت لحزن شـــديد (٣١٠) » .

والواقـــع أن موقعة حران او البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

---

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.

(٣٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ .

(٣٠٩) William : Op. Cit.. V. 1, p. 459.

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٣١١) بينما اجمعت معظم المصـــادر على أن تلك الموقعـــة حدثت ٤٩٧هـ ـ ١١٠٤م مثل ابن الاثير: الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانس : الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احـــوادث ٤٩٧هـ . هـــذا الى جـــانب (Mattieu : Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459 فان ابن الأزرق الفارقى : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بانها كانت سنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصـــادر تقريبـــا تشير الى أن اسر

لم تترك اثرا واضحا فى حياة الرهبا السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حدا جغرافيا او حدا اقصى للتوسع اللاتينى جهة المشرق (٣١٢) . هذا الى ما ترتب على هذه الموقعة من فشل خطة الصليبيين فى عزل المسلمين فى الأناضول والعراق والشام بعضهم من بعض (٣١٣) . اما من ناحية انطاكية فقد شجعت الهزيمة التى حلت بالصليبيين فى البليخ كل من البيزنطيين والمسلمين فى حلب على غزوها (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدا يتكشف من جديد الخلاف بين قادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلما راى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون بهم من الغنيمة بغير طائل قالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوتر شفاء غيظى بشماتة الأعداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحل سقمان واخذ

بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (بريبه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقة على الفرات فى مايو ١١٠٤م . والراجح ان ذلك غير صحيح .
(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٢)

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٥ . عن (Runciman)

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,

(٣١٤)

فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية
فى حين استولى رضوان حاكم حلب على الدوعة وسرمين ومعرة مصرين .
Grousset : L'Epopée, p. 80)
(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,
(الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ .

(٣١٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر . حـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء : حـ ١ ص ٣٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيزر وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم أن اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، فى حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها فى حالة حداد عام بعد أسر أميرها بلدوين دى بورج ووقوع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى وأسرى (٣١٧) . أما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الأتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان أن أسرع بوهيموند وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للأهالى ووضعوا المدينة بسرعة فى وضع الدفاع (٣١٩) . أما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبحزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . أما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢). اى أن الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا فى

---

(٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر : حـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ . أما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المسيحية فى شيزر اولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238

(٣١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407 عن (Albert)

(٣١٨) Alberti Aquensis : Historiae ...Liber IX..., T. 4, p. 616,

(٣١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407 عن (Albert)

(٣٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.

Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3, p. 712,

Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.

(٣٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٣٢٣) Zoé . Op. Cit, p. 235.

حين عـاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضـع ممتلكات جوسلين فى تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرهـا حتى صـار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بآلاف من خيـام الاتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصمد ويستثير حماسـة الأرمن ، ممـا جعـلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الأرمن فى الرهـا تكتلوا حول زعيمهم الفرنجى ليسـدوا الطريق امام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفسـه ارسل تنكريد سرا الى انطاكيـة ليحـذر بوهيموند من أن الرهـا نفذ صبرها وانه بدون نجـدة سريعةفان العبء سيغدو ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى امارته امام غزوات حلب المتكررة ضـد انطاكيـة ، فاعد جيشـا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشـاه وسـار الى الرهـا لكنه لم يستطع ان يصـل اليها الا فى اليوم السـابع من الحصـار بعد ان اشتدت وطأة الهجمات التى شنها الاتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقـد تنكريد الأمل فى وصول معونة اليه ، وضـع خطـة فدائية مع فريق من اهل المدينـة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر احـد الأيام وباغتوا الجنـد الأتراك الذين كانوا قـد اثبتد بهم

---

(٣٢٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, Wiliam : Op. Cit., V. 1, p. 459.

ذلك لأن جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحراز اى منفعة من وراء هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 459.

(٣٢٦) Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)

هنـا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينـة بحراسـة قوية وشجع المواطنين ووعدهم بانه سيحارب اعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن ادرك المواطنين مواسـاته وانه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

(٣٢٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.

وسنذكر نص
رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنـا يذكر البرت أن سقمان اشترك فى مهاجمة الرهـا مع جكرمش . والراجح ان هذا غير صحيح .

(٣٢٨) Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408.

التعب وقيل أن بعضهم كان فى حالة من السكر ، وأخذوهم على غرة واعملوا فيهم السيف فى الوقت الذى وصل بوهيموند على رأس فرسان انطاكية ليتموا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد الى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكى ممثلا فى تنكريد . فماذا كان وضعها اثناء حكمه الذى استمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ — ٥٠٢هـ) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة فى تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه أنه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع ان الحاكم الحقيقى للرها فى تلك الفترة ، والتى قاسى فيها الأهالى كثيرا كان ريتشارد دى سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .

ذلك أن بوهيموند اضطر الى السفر الى ايطاليا فى اوخر ١١٠٤م — ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الأمبراطور البيزنطى (٣٣٤) .

---

(٣٢٩) Grousset Ibid., p. 408, L'Epopée, p. 79, Cahen : p. 238.
(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٣ .

Grousset : Ibid., p. 409

(٣٣١) Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T .4, p. 616.
(٣٣٢) Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872.

وريتشارد هذا هو الذى أسره جيش بلدوين البولونى من جيش تنكريد فى معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م
(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)
وأسر مرة اخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمنديين سنة ١١٠٠م .
Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).

(٣٣٣) Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 416, Zoé : Op. Cit., p. 235.

أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٩ فيذكران ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ماذكره الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ . والراجح ان هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التى شارك فيها بوهيموند .

(٣٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620,
Mattieu : Op. Cit., p. 73.

وعندما ابحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) ». وترك حكم انطاكية والرها فى يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره الرها فى يد ريتشارد دى برنسيبات(٣٣٧).لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من الأضرار باهالى الرهـا(٣٣٨) . ولم يتبع اسلوب بلدوين البولونى . وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرهـا (٣٣٩) . وبعبارة اخرى فان حكم ريتشارد فى الرهـا اتصف بالجشع والصلابة (٣٤٠) . وكانت تنقصه المقدرة ، لذا لم يستطع كبح طغيان وجشع اتباعه الفرنج فنفد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بانه كان طماعا ، طاغية ، صادر مواطنى الرهـا المعروفين بثرائهم ، دون ان يعنى الا باثراء نفسه قبل ان يعود الأمير الشرعى للبلاد (٣٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى ايامه للتهديد من جانب جكرمش (١١٠٥م) (٤٩٩هـ) . وقلج أرسلان (١١٠٦ – ١١٠٧م) (٥٠٠ – ٥٠١هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد للرها ١١٠٤ – ١١٠٨م تتصف بالضعف وتعرضها للخطر (٣٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السيء الذى تعرضت له الرهـا طوال اربع سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح اميرها الشرعى بلدوين دى بورج.

وكان جوسلين هو أول من اطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص رعاياه فى تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا فدية جوسلين وبقواهم انفسهم فى السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحمل

---

(٣٣٥) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,
Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٧) Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246. Zoé Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872, V. 1, p. 415.

(٣٣٨) Michel : Ibid., p. 195.

(٣٣٩) Zoé : Op. Cit., p. 293.

(٣٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 246.

(٣٤١) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 393.
اما جروسية فيقول « انه كدر العنصر الأرمنى » بسبب جشعه واخفاقه العسكرى
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.

(٣٤٢) Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque)

(٣٤٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد أن اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذى سجنوا فيه وهربوا « واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

اما للمصادر العربية فتذكر ان جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بعشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائبا على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهدا ان يغرى حكرمش باطلاق سراحه فى مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . وبعد موت الأتابك حكرمش غدا الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) . امير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاووا او سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هى اولى بوادر الأمل لاطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التونتكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

---

(٣٤٤) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 433.

(٣٤٥) Michel : Ibid, p. 195, Grousset ; Ibid., p. 433.

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (أ) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434.

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (أ) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ ويذكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٠٠هـ — ٥٠٢هـ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٢٠ (أ ، ب) ، ٢١ (أ) Michel : Op. Cit. p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . واذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . ابو الفدا المختصر حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ١٩ يذكرون ان ذلك كان فى صفر ٥٠٢هـ فان ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٣٩ يذكر « ان مودود ابى شتكين استولى على الموصل واعمالها فى المحرم ٥٠٣هـ » ولكن الراجح ان ذلك التاريخ غير صحيح استنادا لراى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بورج ليطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الأسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وماله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحددها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان أن سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى امر اطلاق سراح بلدوين دى بورج كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتناى الذى كان قد اطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحاكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لأنه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان انقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه من الأرض ليحييه ، وعندئذ انقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان ياخذ سلاحه . وعندما راى

---

(٣٥١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) Grousset : Ibid., p. 434 عن (Dussaud)

(٣٥٥) ابن الأثير الكامل : ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات: مخطوط ، حـ ١ ص ٢٢ (أ) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، اعجب به واسقط كل الفدية المطلوبة من بلدوين ، فعاد جوسلين وهو فى غاية الفرح (٣٥٧) » .

فى هذا النص يشير ميخائيل الى أن جوسلين توجه الى سلطان الموصل — ويقصد هنا جاولى — ولكن المعروف ان اطلاق سراح بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصل فلم يكن اميرا لها وقتذاك . وان اطلاق سراح بلدوين كان فى ماكسين والمفاوضات كانت فى قلعة جعبر وليست فى الموصل . كما يفهم من النص السابق ايضا أن بلدوين دى بورج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن الراجح ان جاولى اخذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقى كما سنرى .

ويذكر متى الرهاوى أن جوسلين اطلق سراح بلدوين امير الرها فى مقابل مبلغ كبير من المال (٣٥٨) . اما المصدر اللاتينى فيقول « أن بلدوين بعد ان امضى خمس سنوات فى الأسر ، وبعد ان قتلت الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن(٣٥٩) » . ويؤيد هذا الراى ما ذكره وليم الصورى من انه « فى صيف ١١٠٨م أو فى بداية ١١٠٩م ومن طريق الصدفة قتل رهائن بلدوين وجوسلين الحراس المسئولين عن الاشراف عليهم بينما كان هؤلاء الحراس فى سبات عميق اثر شربه الخمر ، ثم سافر فى الليل بواسطة بعض الطرق الجانبية الملتوية استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .

اما ابن الاثير فيذكر انه « لما وصل جوسلين الى قلعة جعبر واقام رهينة عوض القمص واطلق القمص وسار الى انطاكيه واخذ جاولى

---

(٣٥٧) Michel : Op. Cit. p.p. 195 - 196, Zoé : p. 294.
والاخير يعلق على ذلك بقوله
أن لطف جوسلين ورقته ساعدته تلقائيا على اقامة علاقات انسانية مع اعدائه ، وهو يقصد هنا جاولى(p. 295)
اما جروسيه فيعلق على ذلك النص بانه لم يكن الا صدى للاخبار المروية من آدب الفروسية : ونوع من التحالف الشخصى بين جاولى من ناحية وبلدوين دى بورج وجوسلين من ناحية اخرى .
(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

(٣٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 85.
(٣٥٩) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.
(٣٦٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخذ عوضه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه (٣٦١) » . اى انه كانت هناك فدية بالفعل . هذا تذكر المصادر العربية ان فداء بلدوين كان « خمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيراً من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصادر فى موضوع الفدية — التى يرجح وجودها من ناحية المبدأ بالفعل — فان الجميع لتفقوا على ان بلدوين اطلق سراحه وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحية وبلدوين وجوسلين من ناحية اخرى .

وتقول بعض المصادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته السابقة فى الرها ولكنه لم يستطع دخولها ، لان رجال تنكريد منعوه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح — كما ورد فى المصادر الاسلامية وغيرها ، انه توجه فور اطلاق سراحه الى انطاكية للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ، السيد الأعلى للرها وقتذاك:فاعطاه تنكريد ثلاثين الف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليه فخرج بلدوين من عنده غاضبا الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصدر تنكريد لوامره الى نائبه فى الرها ريتشارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

---

(٣٦١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٣ ، الصبيخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون العبر ، جـ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٢ ، ص ٥٦٩ ، الدمن : تاريخ سورية ، جـ ٦ ص ٤٥ ، الطباخ : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩٣ .

(٣٦٣) Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., V. 1, p.p 373; 474.

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط جـ ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ١٤١ العينى : عقد الجمان ، مخطوط جـ ١٥م ٢ ص ٦٣٨ .

Grousset : Hist des Crois.. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون المصدر والصفحة ، العينى ، جـ ١٥م ٢ ص ٦٣٩ ،

Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

(٣٦٦) Mattieu : Op. Cit p 86

والواقع ان اصرار تنكريد على التمسك بحق غير شرعى له ، ادى فى النهاية الى انقسام الصليبيين ـ بل الى انقسام المسلمين ـ على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها فى باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرها فى بعض المصادر والمراجع (٣٦٧) . وعندما وصل الأمر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرصا على الكيان الصليبى فى الشرق . فتدخل الرؤساء والنبلاء فى البلاد وذوى المكانة العالية . فقد عرموا ان قيام العداوة بين الرجلين فى مثل تلك الدرجة العالية امر بالغ الخطورة وسوف يكون مصدرا لضرر فعال للاهالى المسيحيين . وبناء على ذلك اخذوا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى ايجاد صلح بينهما (٣٦٨) . والراجح ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا فى المقام الأول الى تدخل رجال الدين فقد « توسط بينهما البطرك الذى لهم ، وهو عندهم كالأماء الذى للمسلمين ، لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيموند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب البحر والعودة الى بلاده ان يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الأسر (٣٦٩) » .

ويؤكد وليم الصورى وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غيرفكره (٣٧٠) » . وتذكر ذلك القسم الذى اقسمه بوهيموند « حتى يتجنب اى صراع فى اى مكان او اى زمان (٣٧١) » . وبذلك استعاد بلدوين امارته فى التاسع من صفر ٥٠٢هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

---

(٣٦٧) Mattieu : Ibid., p. 85 - 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, Cahen : Op. Cit. p. 249 - 251, Zoé : Op. Cit., p.p. 239 - 240, Grousset : L'Epopée, p. 83, Hist. des Crois., V. 1, p.p. 439 - 442.

(٣٦٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٣٣ (أ) ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ١٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ .
ويورد ابن خلدون نفس المعنى فى كتابه العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ مع الاشارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيموند باسم اسيد .

(٣٧٠) William : Op. Cit. V. 1. p. 474.

(٣٧١) Fulcherii : Op. Cit., T. 3 p. 410.

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) وينفرد ابن خلدون ص ذلك كان فى صفر سنة ٥٠٢هـ (ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١) .

١١٠٨م (٣٧٣) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عـاد من جـديد لامارته الا انه بدا فترة جـديدة من الصراع العنيف ضـد القوى الاسلامية ممثلة فى الاتراك الذين تعـددت هجماتهم على الرهـا ، كمـا سيأتى شرح ذلك بالتفصيل فى باب العلاقات مع جيران الرهـا من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٣م ـ (٥٠٧هـ) .

فى ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدات العلاقات تسـوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقـد انفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث فى تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن رينشارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر اولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حـدث اثنـاء وجودهم فى ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يذمون الرسـل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفى نفس الوقت تفـاخروا بثراء سـيدهم جوسلين ، وبمـا يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخمور والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صـالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة أن يبيع امـارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المـال يعود به الى فرنسـا(٣٧٤) . ويعلق جروسيه بأن جوسلين نفسـه اخطأ فى حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشترى ارض الرها من سيدها المفلس(٣٧٥) .

وكان ان عاد الرسل الى اميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله(٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

---

(٣٧٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.
(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك
كان فى ١٨ ابريل ١١٠٩م (William : Op. Cit., V. 1, p. 475)
والواقـع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ اغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩م (زامبور : معجم الأنسـاب ، جـ ٢ ص ٥٢٧) .

(٣٧٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.
(٣٧٥) Grousset : L'Epopée, p. 111.
(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

بلدوين تاثر تاثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لانه السبب فى نعمته ، وعز عليه ان يتنكر له وينسى الجميل والمعروف(٣٧٧) .

وكان ان تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر فى الحال دون ان يتسرب اى شك الى قلبه. وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين فى قلعة المدينة ، مستلقيا ، فى حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد ان ادى التحية المعتادة سأل الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تتمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتنكره له . وطالبه بان يسلم له فورا ممتلكاته التى انعم بها عليه(٣٧٨) . وفى الحال أصدر بلدوين اوامره بزج جوسلين فى السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلى عن كل المناصب والحقوق التى تلقاها على شكل هبات من بلدوين(٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وانصح عن رغبته فى العودة الى وطنه فى الغرب الأوربى وبعد أن استمع اليه الملك ، اقطعه طبرية(٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم أن جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب فى أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

---

(٣٧٧) William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٨) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه Grousset : L'Epopée, p.p. 111 - 112 :

(٣٧٩) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126. Cahen : Op. Cit., p. 265.

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57. بينما يذكر ميشو انه اخذ اقطاع طبريه يذكر أولدنبرج انه اخذ اقطاع الجليل الذى كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق Hugues de Saint-Omer ويؤيده فى هذا الراى كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265 ويجمع جروسيه بين الرأيين بقوله « اعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث اظهر فى تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودى سانت أومير (Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.126, Grousset : L'Epopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب القدس فاقطعه طبرية »(٣٨٢) .

وبعد أن تخلص بلدوين دى بورج من كل العناصر المنسوبة له وقبض بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الأرمينية ليتوسع على حسبها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش فى حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) (٣٨٣) . وسنشير الى توسع بلدوين دى بورج فى هذا الاتجاه بالتفصيل فى فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بورج الأسس التى وضعها بلدوين البولونى فى الرها واضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الأخطار الخارجية والداخلية . « فالأكثر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى فى السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من ان امارته غدت فى حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ؛ فضلا عن رغبته فى نفس الوقت فى زيارة الأماكن المقدسة(٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى يوبيست Galeran du Puiset حاكم البيرة(٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة فى اخلاصه ويقظته(٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه ان قابلته سفارة ، اخبرته أن الملك بلدوين قد مات فى مصر ، فقلق كثيرا لتلك الأخبار . ومع ذلك فانه استمر

---

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص٦٧(أ) ،

(٣٨٣) Michel : Op. Cit., p. 75.
سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٢ عن Runciman

(٣٨٤) William Op Cit., V. 1, p. 518.

(٣٨٥) Grousset L'Empire, p. 299, Hist. des Croi. V. 2, p. 91 (L'Anonyme)

(٣٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 518.

فى رحلتـــه مسرعا نحو بيت المقـدس ؛ حتى وصلها فى يوم عيد ســـعف النخيل(٣٨٧) وهو احد الشعانين(٣٨٨) وكان توافقا عجيبا انه « فى نفس الوقت الذى دخـل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب امرام كان تابوت الملك بلدوين الأول محمولا فى موكب جنائزى فى الجهة المقـابلة من جهة باب دمشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الأول ، قد خرج فى اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث ان مرض فقرر العودة بسرعة الى القـدس ، ومات فى الطريق قبل وصوله الى العريش(٣٩٠) . وذلك فى ٢ ابريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك فى ان وفاة بلدوين الأول المفاجئة ادت الى موقف صعب فى مملكة بيت المقـدس الصليبية لأنه لم يخلف اولادا (٣٩٢) . ولذا تضاربت الآراء فى كيفية ملء عرش القدس . فذكر متى الرهـاوى « انه قبـل ان يموت الملك بلـدوين مبـاشرة اوصى باستدعاء بلـدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل أخوه ايوستاش Eustache من فرنسا وأن يعطوا التـاج ذلك الأخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

أما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الأول قد « اوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرهـا (٣٩٥) » اى ان

---

(٣٨٧) William : Ibid., p. 518.

(٣٨٨) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56.

(٣٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, p. 56.

(٣٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٠ .

(٣٩١) Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

(٣٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 410.

(٣٩٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 118-119.

(٣٩٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العمـاد : شذرات الذهب ، حـ ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع .

(٣٩٥) ابن الأثير : المصدر السـابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، حـ ١ ص ١١٢ (أ) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج،وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لانه الذى تولى بعده بالفعـــل ، أما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن اخت الملك ملكا من بعـــده (٣٩٦) » والواقـــع أن بلـــدوين دى بورج لم يكن ابن اخت الملك بلدوين الأول لكنـــه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشـــير بعض المراجـــع الافرنجية الى أن الملك اختار ايوستاش اولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى أن الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى فى حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من أمر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى وصـــل فيـــه جثمان الملك الراحـــل ، قوبل من اهـــل المدينة وامرائها على أنه نوع من التدبير الالهى ، على قول متى الرهاوى ، فعهدوا اليه بالوصـــاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق أبدا على ذلك ، ووعـــد بأن ينهض بمهمة الوصـــاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها اخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش المملكة (٤٠١) .

على أن هذا الحل قوبل بمعارضة من جانب المتمسكين بمبدأ الوراثة وفق القـــانون الاقطاعى والذين راوا ضرورة انتظار وصـــول اخى الملك بلدوين من الغـــرب مهما تكن الأحـــوال (٤٠٢) . وهنـــا تدخل جوســـلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريرك ارنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك فى الحـــال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

---

(٣٩٦) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٣٨

(٣٩٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٩) Zot : Op. Cit., p. 261.

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٩٨ (عن (William)

(٤٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٤٠٣) Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

باخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن أنه من اقارب الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة فى الحرب ، ولا يمكن أن يطمع الصليبيون فى رجل آخر أفضل منه . وبناء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقاذا لموقف المملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤٠٤) » .

ولما كان الخير ما شهد به الأعداء ، فقد ادرك جميع النبلاء الحاضرين عندئذ كلمات جوسلين وأكبروا صراحته وصدقه ، لمعرفتهم بالعداء الذى كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤٠٥)

والذى سبق أن اشرنا اليه بالتفصيل . وهنا اشار بعض المؤرخين الى أن جوسلين راى فى ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما فى نفسه من رواسب الماضى (٤٠٦) . كما اشار وليم بأن هدف جوسلين الحقيقى من وراء موقفه « انه كان يهدف ان يخلف بلدوين دى بورج فى امارة الرها فى المستقبل (٤٠٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيار بلدوين دى بورج ملكا على بيت المقدس (٤٠٨) . وحدث ذلك باجماع كل الآراء والأطراف (٤٠٩) فتوج بلدوين ملكا فى ١٤ ابريل ١١١٨م وهو يوم عيد الفصح (٤١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بأمير صليبى له خبرته وتجاربه الشاقة فى محاربة المسلمين ، بل قضى بضع سنوات فى سجونهم (٤١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثانى (٤١٢) .

---

(٤٠٤) William : Ibid., p. 520.

(٤٠٥) William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159.

(٤٠٦) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٩٨

(٤٠٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 520.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٠٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 709.

(٤١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

اما ميخائيل السريانى فقد ذكر أن ذلك تم فى يوم الثلاثاء ٩ (نيسان) ابريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين فى كنيسة بيت لحم فى يوم عيد الميلاد . William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119. Iorga : Op. Cit., p. 81.

(٤١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534.

(٤١٢)

ولكى يكافىء الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى ان ينسيه القسوة التى عامله بها من قبل ، أعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد ان حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدات بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تتويجه ملكا للقدس ، في رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . وبتعيين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧) ٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمة بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد اجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فينكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الأمور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بانه

---

(٤١٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 196.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٤١٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٩ Stevenson، عن

(٤١٥) Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2. p. 874 عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما لالبيره منذ سنة ١١١٧م اى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من أبو الغريب الأرمنى .

(٤١٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874 - 875.

(٤١٧) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٤١٨) Zoé : Op. Cit., p. 294.

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . فى حين يشير اليه متى الرهاوى بانه « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو انه يفهم من كلامه انه كان قاسى الطباع قبل ان يتولى امارة الرها ، ثم تخلى عن تلك الصفة بعد ذلك « واظهر العطف والشفقة على سكان الرها وتخلى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكد جوسلين يتولى امارة الرها حتى باشر حياة نشطة وخاصة فيما يتعلق بمحاربة المسلمين ، ففى أثناء توجهه من بيت المقدس الى الرها ليتولى امرتها « اسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من جهة الشام وقتل وسبى ما يقرب من الف نفس ، واغار على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخذ كل ما وجده من دواب واسر رجالا ونساء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمان كانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله الرها وجد امامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينة . ذلك انه حدث قبل وصول جوسلين مباشرة ان راى بعض الارمن ان الاتراك قد نهبوا اقليم الرها وتقدموا حتى اسوارها فضلوا الاستسلام لهم ، وادخلوهم فى احد الابراج ، ولكن شاءت الظروف ان يسل جوسلين فى تلك اللحظة فتصدى للأتراك فى البرج وقتل منهم جماعة فى حين القى الباقون بانفسهم من البرج (٤٢٤) .

على انه يلاحظ ان جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول اتخذ من تل باشر مقرا لحكمه وفعل ذلك من بعده ابنه جوسلين الثانى (٤٢٥) . وربما يرجع ذلك الى ارتباطه الشديد بها ، فقد كانت مقر نفوذه منذ قدم من فرنسا حتى صار اميرا على الرها باكملها . وبالاضافة الى ذلك كان جوسلين محبوبا جدا من اهلها (٤٢٦) .

---

(٤٢٠) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢١) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٢٢) Mattieu : Ibid., p. 126.

(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٩٤ .

(٤٢٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢٥) Cahen : Op. Cit., p. 116.

(٤٢٦) عن Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة ارمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه فى حكم الرهـا ، أما هـذه الأميرة فكانت أخت الأمير ليون Léon الأرمنى وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، أو ابن قنسطنطين وانو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعـا من امراء ارمينيـا الصغرى (٤٢٩) .

ثم ان جوسلين تزوج بعـد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنـة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هديـة الزواج التى قدمتها لزوجها مدينة اعزاز او عزاز الواقعة على الحـدود بين الأمـارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فاذا كانت الزيجة الأولى قـد وطدت علاقاته بالأرمن فان الزيجة الثانية ، الى جانب انها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فانها اضافت الى امارة الرهـا أرضـا جديدة .

اما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخـاء ، رغم انه كان عليه ان يتابـع حربا مستمرة ضـد الأتراك ، صـادف فيهـا الانتصـار تارة وتعرض للأسر تـارة أخرى (٤٣٢) . ذلك أن مهمـة جوسلين فى حكم الامارة بعـد اتسـاع أطرافها كانت غاية فى الصعوبة ،

---

(٤٢٧) Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 عن L'Anonyme), Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87-88.

(٤٢٩) Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

روبان الأول من ١٠٨٠م الى ١٠٩٥م
قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٦م
ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م

(٤٣٠) Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291.

المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.

(٤٣١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.

يشير اليها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٣ ص ١١٨ بانها عزاز ويقول انها ربما قبلت بالالف فى أولهـا . والعزاز الأرض الصـلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب .

(٤٣٢) E.R. Hayes : Op. Cit.. p. 290.

فاقت مهمة من سبقوه فى حكمها ، اذ كان لزاما عليه أن يثبت تلك اللبنات الاساسية فى بنـاء الامـارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الأطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون أن يكون فى حالة حرب مع المسلمين ، وهـذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيد المسـلمين .

اسر جوسـلين :

حدث فى سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) — رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بلك بن بهرام ابن اخى ايلغازى (٤٣٥) ابن ارتق صاحب ميافارقين ومارديـن وحلب (٤٣٦) وامير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينـة الرهـا وبقى على حصرهـا مدة فلم يظفر بها فرحل عنهـا فجاءه أحـد التركمـان واخبره ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكبسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى فى أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتـال الفرنـج . وفى الموقعـة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمـة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه أسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

---

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقـد ذكر هذا التاريخ كل من العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقـد الجمان ، حـ ١٥م ، ص ٨١٧ . ولو ان الأخيران يعودان مرة اخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجـع الى انهما نقلا مرة كلام ابى العديم ومرة اخرى كلام ابن الأثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . وشـارك ابن الأثير فى ذلك مصـادر اخرى (ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ . اما ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(٤٣٥) (Mattieu : Op. Cit., p. 131)
ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن أخته
اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه
مثـل ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨(ب) .

(٤٣٧) (L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875

جالبران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) او كاليام (٤٤٠) وتشير اليه بانه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضع بلك جوسلين « فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبلها بلك (٤٤٢) » وهنا يورد لنا ابن العديم رد جوسلين على بلك عندما عرض عليه فداء نفسه بتسليم الرها قال : « نحن والبلاد كالجمال والحدج ، بنى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خالته وحبسهما فى قلعة خرتبرت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

---

(٤٣٨) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط جـ ٢ ص ٤٨ (ب) ، ابو الفدا : جـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : جـ ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : جـ ٥ ص ١٩٨ (كلمام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، جـ ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ، ص ٢١٦ ، ابو الفدا المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٠٦ . والحنيج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois, V. 1, p. 584
(عن متى الرهاوى) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ١٨٨ . ابو الفدا المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٨ ، كرد علي : خطط الشام ، جـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٥) Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit . p. 162.

وهكذا اصبحت امـارة الرها مرة اخرى دون امير يرعى شئونها ، وهى الامـارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الامـارات الصليبيـة فى الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس يسارع بتعيين جيوفرى الـراهب Geoffrey The Monk (٤٤٦) اميـر مرعش وعينتـاب وكيسـوم اميرا على الرها (٤٤٧) وقد وصف متى الرهاوى هذا الأمير بانه محارب مقدام لقى ورع (٤٤٨) وزاد من وقـع امر جوسلين انه جاء فى وقت سـاءت احوال الصليبيين فى الشرق بعد مقتل روجر امير انطاكية قبـل ذلك بثلاث سنوات (٤٤٩) فى حين تدهورت احـوال حكومة بيت المقدس (٤٥٠) بل ان الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس لم يلبث ان وقع اسيرا هو الآخر فى قبضة بلك فى العـام التـالى ١١٢٣م (٥١٧هـ) وكان ذلك عنـدما توجـه الملك بلدوين الى قلعـة كركر (٤٥١) لانقاذها من حصار بلك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين واسره ومعـه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعـة خرتبرت مقيدا فى الأغلال (٤٥٢) .

---

(٤٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300 (Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

(٤٤٧) Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٤٩) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI, (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

(٤٥٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(٤٥١) Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme)

هنا يذكر ان كركر كان
يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمنى فتخلى عنها تلقائيا لبلدوين الثانى وتلقى بدلا منهـا دلوك . ويذكر جروسيه رايا آخر عن ميخائيل السريانى يذكر فيه « ان ميخـائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحـالف مع الفرنج وعرض عليهم التنازل عن مدينتـه خوفـا من بلك الذى كانت غزواته لا تنتهى على اقليم ملطية لذا توجه بلك الى كركر بحملة تاديبية فى ينـاير ١١٢٣م ، حيث كان جوسلين فى ذلك الوقت للمرة الأولى بعيدا عن بلاده .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587 عن (Michel).

(٤٥٢) ابن العـديم : زبدة الحـلب ، حـ ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ، ابن الفـرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمـان ، حـ ١٥م٤ : ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .
Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 58, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا اصبح وضع الصليبيين فى بلاد الشـــام ١١٢٣م شـائكا للغاية . فبعـــد اسر الملك بلدوين الثـــانى اصبحت مملكة القـــدس وامـــارتى الرهـــا وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . اما الامارة الرابعة وهى طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعـــل لهـــا زعامة مؤقتة على بقية الامـــارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على اسرى خرتبرت حتى بدأت الجهود تتكتل لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبـــار عن كيفية تخليصهم (٤٥٤) .

والواقع ان ارمن الرهـــا كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين من اسره لانهم غدوا بعـــد اسره فى حزن عميق (٤٥٥) ذلك أن جوسلين كان محبوبا جدا من رعـــاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبـــه هو الآخـــر الشديد لهم (٤٥٧) . بل ان حب الأرمن لجوسلين تعـــدى حـــدود الرها نفسها الى خرتبرت بمن فيها من الأرمن (٤٥٨) . لذا قرر رعـــايا جوسلين الأرمن ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لانقـــاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتنكر خمســـة رجلا من ذوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

---

(٤٥٣) Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121.

(٤٥٤) تذكر المصـــادر العربيـــة أن تخليص الأسرى كان عن طريق مصانعه حراسهم وباستخدام الحيله (ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦)ب) ، ٧٧ (أ) تـــاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥١٧هـ) . اما ميخائيل السريانى فيقرل أن ذلك كان عن طريق بعض عمال قلعة خرتبرت (Michel : Op. Cit., p. 211)
اما متى الرهـــاوى فيقول ان ذلك كان بمساعدة خمســـة عشر من اهـــل بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)
اما جروسيه عن مصـــدر سريـــانى فيقـــول انه كان عن طريق عشرين شخصا من اهل كيسون
(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876

(٤٥٥) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٦) Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٥٧) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٥٨) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٩) Archer : Op. Cit., p. 162.

واخفـوا أسلحتهم تحت ثيـابهم وتوجهوا الى خرتبرت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الافرنجيـة حـول ما تم فى خرتبرت ، فالبعض يشير الى انهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربمـا يقترب هذا الرأى من رأى ميخـائيل السريانى . والبعض يذكر « انهم هربوا الى داخل المدينة واحـدا اثر الآخر ، بحذر شـديد ، ومنها الى أسوار القلعة . هناك وجدوا حـارس القلعة غـافلا يتلهى بلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للمتآمرين (٤٦٢) » .

وكان أن امتلك الملك الصليبى ورفاقه القلعة ورفعوا عامـا مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك فى ربيع الأول ٥١٧هـمايو ١١٢٣م ، وعلى اثـر سـماع ما حـدث هرب قـادة المسـلمين الموجـودين فى البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بلك فى القلعـة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشـار عليهم جوسلين بأخـذ ما فى المكان وتركه فقال « كناقد اشرفنـا على الهلاك ، والآن فقـد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغـدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا أن الملك بلدوين ظل فى القلعـة بعد استيلائه عليها . فى حين تشير بعض المصـادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان المـلك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبـدو ان الفرنج صمموا على الصمود

---

(٤٦٠) Zoé : Op. Cit., p. 297, Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : إعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخـطوط ، ص ٧٧ (أ) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) . واتفق رأيهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل نحما ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل بهم الى خرتبرت وخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان فى فجر ٦ اغسطس (٤٧٠) مصحوبا بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية ايجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وارشده فى الوصول انى الرهنا فلاح ارمنى (٤٧٣) .

لما بلك فكان بحلب عندما سمع بما حدث فى خرتبرت ، فاتى مسرعا عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الاسوار

---

(٤٦٨) Archer : Op. Cit., p. 163

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٤٩ .

Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٧٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧١) Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, p. 455

رهنا يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من الارمن من البلاد وأن جوسلين خرج متنكرا فى زى متسول يموت من الجوع والعطش (Zoé : Op. Cit., p. 298)

(٤٧٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٧٣) Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid. T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٧٤) Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543

هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بلك انزعج فى تلك اللحظة برؤية مرعبة ، فقد راى فى منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة يديه لذا قام مذعورا وارسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة . واخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير فى الحال القوات من كل مكان واسرع الى هناك .

(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الاكبر بعد أن فشلت محاولات اخذ القلعة بأسلوب التفاوض مع الملك (٤٧٥) . بل قيل انه نصب عليها اربعة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . أما المصدر العربى فيذكر « ان بلك فتح خرتبرت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى بغدوين الملك وقران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بلك ان يسيطر من جديد على خرتبرت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقدم لنجدتهم ومعه جيوفرى الراهب على رأس جيش فرنجى « سمعوا بذلك الحادث المشئوم فتوقفوا فى حزن بالغ وعادوا بقلوب داميه كل الى جهته (٤٧٩) » ويحكى ابن العديم الكثير عن اعمال الانتقام التى قام بها جوسلين ضد مسلمى حلب بالذات (٤٨٠) ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدأ مرة اخرى فى صراعه ضد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته أن يصلوا فى ١١٢٨ — ١١٢٩م (٥٢٣ —

---

(٤٧٥)
Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧٦) Michel : Op. Cit., p. 211
ويذكر ميخائيل هنا ان عدد من قتلوا كان حوالى سبعين رجلا ، أما متى الرهاوى فيذكر ان الأمير بلك ابقى على اسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسة وستون شخصا Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هنا قال ان ذلك كان فى ١٦ سبتمبر
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

(٤٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherii : Op. Cit., Hist Occid T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين وراس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرهـا يقـاتل المسـلمين فى شجاعة لا تعرف اليأس حتى كانت وفاته فى دلوك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما سنرى فى الفصـل الخاص عن علاقة الرهـا بالمسلمين .

جوسلين الثـانى : ١١٣١ — ١١٤٤ — ١١٤٦م (٥٢٦ — ٥٣٩ — ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثـانى من ام ارمينيـة هى اخت ليون الأرمنى (٤٨٣) السـابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق ، وقد اتصف جوسلين الثـانى بالبراعة الحربيـة ، مع حب اللهو والاسراف فى الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، ارملة وليم حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية (٤٨٥) . وانجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى هى آجنى Agnes التى تزوجت فيما بعـد رينـو Renaud حـاكم مرعش ثم من بعده عموري امير يافـا الذى اصبح ملك القدس .

---

(٤٨١) Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Bar Hebraeus) وآمد بلد قديم حصين على نشز دجلة . فتحت سنة عشرين من الهجرة وسـار اليها عيـاض بن غنم بعـد ما افتتح الجزيرة (يـاقوت : حـ ١ ص ٥٦) و نصيبين مدينـة بالجزيرة ايضا (ياقوت : حـ ١٩ ، ص ٢٨٨) أما راس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين جران ونصيبين ودينسر ، وفى راس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصيرنهر الخـابور (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga · Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : Ibid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية ــ وهى الصغرى ــ ارابيلا (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن ان امـــه كانت ارمينيـــة (٤٨٧) . ولكن جوســـلين كان دون شك اقـــل من والده بكثير فى المقـــدرة الحربيـــة والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع أن امارة الرها كانت عندئذ فى حاجة الى محارب فذ من طراز والده جوسلين الأول . ولكن شـــاءت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى على عرش امـــارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون فى شئون امـــارته ، وهو أمر أفـــاد منه المسلمون .

ذلك ان تهـــاون جوسلين الثـــانى ادى الى ضياع الأراضى والممتلكات التى اجهـــد والده نفسه فى الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجـــر مدينـــة الرهـــا وانسحب ليقيم فى تل باشر ، مثلما فعـــل والده ، ولكن على العكس منـــه ، اقـــام اقـــامة مترفة على شـــواطىء الفـــرات ، وهنـــاك استسلم كليـــة لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات المـــواقع ، ونسى العنـــاية بالحكومة أمـــام تهديد المســـلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشـــار اليـــه نيرسيس فى قصيدته عن رثاء الرهـــا . فهو عندما يشير الى أن زنكى هـــاجم المدينـــة اثنـــاء غيـــاب جوسلين الثانى منها يقول (٤٩١) :

اختبـــأ فى الحقـــول (يعنى زنكى)
ثم أجهز على على حين غرة

---

(٤٨٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8.
(٤٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 399.
(٤٨٨) Zoé : Ibid., p. 292.
(٤٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 53.
(٤٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102.
(٤٩١) Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246.
الأبيات من ٦٢٤ ــ ٦٣٠

فى ســـاعة لا انتظرهـــا
اذ انه ما ان تحقق وتيقن
من غيـــاب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهـــاجمنى بقـــواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جـــانب ظروف اخرى — سنذكرها فيما بعـــد عند الكلام بالتفصـــيل عن عمـــاد الدين زنكى والرهـــا — شجعت عماد الدين زنكى على التوجـــه الى الرهـــا ١١٤٤م (٥٣٩هـ) وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنـــه نور الدين فى نفس السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امـــارة الرهـــا يعتبر من ابرز الموضوعات التى يمكن بحثـــها فى عهد جوسلين الثـــانى .

وباعطاء فكرة عن جوسلين الثـــانى وعهده تكن صـــورة الوضـــع الداخلى للامارة قد اتضحت ، وســـوف تتضح معـــالمها اكثر بالكلام عن العلاقات الخارجية للامـــارة سواء مع المسلمين او الصـــليبيين او مع الارمن او البيزنطيين ، وهو ما ستتعرض له بالدراسة فى الباب الثـــانى من بحثنـــا هذا . ولكن قبـــل ان ننتقل من هـــذا الباب الى ما يليـــه ، يجدر بنا ان نوضح نقطة هـــامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضـــارية بوجـــه عـــام لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر من المصـــادر التى رجعنا اليها على مجرد اشـــارة عـــابرة عن اى نوع من المنشآت التى خلفها الصليبيون فى الرهـــا ، وربمـــا نجد تفسيرا لذلك فى ان الفترة التى عاشتها الامارة كانت اقصر من غيرها من الامارات الاخرى فى الشرق ، فهى لم تعش اكثر من نصف قرن تقريبـــا ، قضى حكامها — اذا استثنينا جوســـلين الثـــانى — معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم المتعددين . لذا لم تكن هنـــاك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطمانينة بسبب موقع الامـــارة المعرض للخطر كما راينـــا . والمعروف ان النشاط الحضارى لابد له من سياج من الاستقرار والأمن ، وهو مـــا لم يتوافر لتلك الامـــارة القصيرة العمر .

الباب الثانى

علاقة امـارة الرهـا الصليبية بجيرانها

أ ـ علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها .
ب ـ علاقتها بالامـارات الصليبية فى بلاد الشـام .
جـ ـ علاقتها بالأرمن خارجها .
د ـ علاقتها بالدولة البيزنطية .

أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع امـارة الرهـا وسط اقليم الجزيرة ، جعـل منها قلعة مسيحية وسط محيط اسلامى كبير ، أحاط بها من جميع النواحى والجـهات . ولا شـك فى أن هـذه الحقيقة تعنى أن امـارة الرهـا الصليبية كانت أكثر تعرضا من غيرها لضغط القوى الاسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثـانى عشر الميلادى فى صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

أما من تلك القوى الاسلامية التى أحاطت بامـارة الرهـا ودخلت معها فى صراع طويل ، فأولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية فى بغداد .

والى جانب تلك القوة الاسلامية الكبرى وجـد بالعراق مركز آخـر من مراكز القوى الاسلامية ممثلا فى بنى مزيد أمراء الحله (١) . وهؤلاء لعبوا دورا هـاما ـ وخاصـة أميرهم دبيس بن صدقة ـ فى مناضدة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجـد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية(٢) . أمـا فى الشمال الغربى من الرهـا ، فقـد وجـد مركز آخر للاتراك المسلمين ممثلا فى بنى دانشمند الذين استقروا فى شرق آسيا الصغرى(٣) .

---

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغـداد وكانت تسمى الجامعين (ياقـوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ـ طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسدى رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

(٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الارتقة او بنى ارتق وهم زعماء مجموعة هامة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة فى غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا فى الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا فى استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد فى حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن امارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيرانها المسلمين .

اما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فيبدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التى كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالى فقد عهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة الجهاد باسمهم ضد الصليبيين فى اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١هـ) (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على رأس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبى . وفى طريقه من الموصل الى انطاكية مر كربوغا بالرها فى مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢هـ) ، فشرع فى حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا أرسل مقدما الى الرها

---

(٤) Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٥) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قد سجن فى حمص بواسطة تاج الدولة تتش اثناء الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من المناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها ايضا وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلى - الذى استنابه بها تتش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كربوغا نحو ماردين فملكها ايضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٠٨) .

(٨) Setton :Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٩) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396.

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذى يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على انه يبدو ان فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معه تماما فى فكرة حصاره للرها (١١) . ولكن كربوغا — على قول وليم الصورى — « صمم عندئذ قبل عبور الفرات ، أن يهاجم الرها وان يأخذها بالقوة (١٢) » . وبمجرد أن تلقى بلدوين البولونى انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرها لمساعدته ، واختزن فى المدينة كميات كبيرة من الطعام والسلاح ، استعدادا لحصار طويل ، ولم يبد تاثرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان أصعب مما تصور كربوغا ، فقد ظل امام الرها حوالى ثلاثة اسابيع دون أن يحقق غرضه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض أعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستانف طريقه الى انطاكية ، على أن يعودوا الى الرها لحصارها وتاديب صاحبها بلدوين بعد الفراغ من الاستيلاء على انطاكية (١٥) . وفعلا ترك كربوغا الرها واسرع الى انطاكية لمساعدة صاحبها (١٦) ياغى سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصل بدقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجه الجميع قاصدين انطاكية (١٧) . ومن

---

(١٠) Alberti : Ibid., p. 397.

(١١) Alberti : Ibid., p. 397.

(١٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(١٣) William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246.

(١٤) Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500,
Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345,
William : Ibid., V. 1, p. 246.
(يذكر وليم انها من ٤ الى ٢٥ مايو)
Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman :
Op. Cit., V. 1, p. 210 عن (Fulcher, Mattew).

(١٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397,
William : Ibid., V. 1, p. 246.

(١٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345.

(١٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخفاق كربوغا أمامها أدى الى « رفسع مكانة بلدوين ، كما أن الصليبيين أمام انطاكية افادوا من الوقت الذى اضـــاعه كربوغا أمام الرهـــا (١٨) » . ويؤيد وليم الصورى هـــذا الرأى فيشير الى ان التاخير من جانب جيش المسلمين أمام الرهـــا انقذ الصليبيين أمام انطاكية لانه لو كان كربوغا قـــد ســـار مباشرة الى انطاكية قبل وقوعها فى قبضـــة المسيحيين ، لوقـــع الصليبيون فى مازق (١٩) .

أما (الجستا) فتشير الى أن بلدوين تعمد تعويق كربوغا وجيشـــه أمام الرهـــا رغبة منه فى مســـاعدة اخوانه الصليبيين أمام انطاكية (٢٠). ومهما يكن من أمر ، فان كربوغا لم يقدر له أن يصبح مصدر خطر على الرهـــا بعد فشله أمام الصليبيين فى الشـــام . وقـــد خلف كربوغا فى حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذى رأينا انتصـــاره على الصليبيين فى موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما اثر على الرهـــا تاثيرا شـــديدا خاصة بعـــد اسر اميرهـــا بلدوين دى بورج وجوســـلين دى كورتناى اخطر اعوانه . هـــذا الى ان جكرمش لم يكتف بأسر بلدوين بل اسرع الى الرها وحاصرها ولكنه اخفق فى الاستيلاء عليها بسبب بســـالة تنكريد فى الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عـــاد جكرمش الى الموصـــل بأسيره بلدوين (٢٣) .

ويبـــدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام اسوار الرهـــا ١١٠٤م فعـــاد الى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على راس

---

(١٨) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210 عن (Fulcher, Mattew)

(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائبا عن كربوغا بحصن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه اعيان الموصل ليسلموا اليه البلد فســـار اليها وقتل سنقرجة الذى عهد اليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتســـلم البلـــد وقـــد قتل موسى فى نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616, عن (Alberti) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينة وقت الحصاد (٢٤) . وكانت أوضاع الرها قد تبدلت فى ذلك الوقت اثناء أسر بلدوين دى بورج بسبب المظالم التى انزلها ريتشارد دى سالرنو باهالى المدينة ، مما اتاح لزوما مناسبة لجكرمش وجيوشه .

ذلك ان ريتشارد اندفع على رأس قواته المشاه ، ليشتبك مع جكرمش ، ولكن قوات الاخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت برجال ريتشارد والقت بهم داخل الخنادق المحيطة بالبلد . وخسر المسيحيون فى تلك الموقعة أربعمائة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك اضافت تلك الحملة التركية الاسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ، جرحا جديدا الى جرح العام السابق فى الرها .

وجدير بالذكر أن المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشارة الى حملة قام بها الاتراك السلاجقة اثناء اسر بلدوين وجوسلين . وفى الفترة التى حكم فيها ريتشارد دى سالرنو . وبدراسة هذا النص (٢٦) . الذى ذكره وليم الصورى نجد هناك تشابها بين احداث تلك الحملة وبين حملة مودود على الرها ١١١٠م ــ ٥٠٤هـ ؛ على انه لا يمكن ان نتصور أن وليم يقصد هنا حملة مودود لأن هذه الحملة كما سنرى فيما بعد كانت قد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن فى فترة وصاية تنكريد على الرها ، وانما حدثت فى وقت استحكم فيه الخلاف بين كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمساعدة الرها ضد حملة مودود هذه الا تحت ضغط ملك القدس سيده الأعلى . وحقيقة هذه الحملة التى اشار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصل بعد جكرمش ، جاولى سقاو الذى حكمها من ٥٠٠ ــ ٥٠٢هـ (١١٠٦ ــ ١١٠٨م) وهو الذى عصى السلطان محمد كما اشرنا ، كما اطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد ان تم اتفاق بين الجانبين بأن ينجد كل منهما الآخر وبأن يطلق بلدوين من لديه من اسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صاحب جاولى مايه

---

(٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

(٢٥) Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438.

(٢٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473.

وستين اسيرا من المسلمين بعد أن كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجيب الأشياء (٢٧) » .

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عندما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما فى هجومهما على تنكريد امير انطاكية (٢٨) . وعلل متى هذا العداء بين امراء الصليبيين بأن تنكريد انتهز فرصة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع أجزاء من اراضيهما ورفض رد تلك الأراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هذا الحدث فيقول انه « فى ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجى على حرب تنكريد صاحب انطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمده بعسكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو انه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع اراضى امارة الرها لصاحبها الشرعى بلدوين بعد اطلاق سراحه كان من الأسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مد يده لبلدوين لأنه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود — كما سبق أن اشرنا — كان يطمع فى تكوين امارة لنفسه ، ان لم يكن فى الجزيرة فليكن فى حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من ان جاولى صمم العبور الى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعها من اصحاب رضوان بن

---

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٢٨) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٩) Mattieu : Ibid., p. 86.

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ).

(٣٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠

Setton : Op. Cit., V. I, p. 394,

=

عش وقتل جماعـــة من اهلها (٣٣) . ولمـا تحقق الملك رضوان من عزم الأمير جاولى على قصـــده استنجد بتنكريد امير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لانه فى هـــذه الحالة لن يكتفى بتهديد انطاكية وحدها وانما سيهدد الصليبيين جميعا بالشـــام « والصواب ان اكون انا وانت يدا واحـــدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فاجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث ان خرج تنكريد من انطاكية فارسل اليـــه الملك رضوان باحـــد اعوانه من الأتراك ومعـــه ستمائة فارس (٣٥) .

ولمـــا علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صـــاحب الرهـــا يستدعيه الى مســـاعدته ووهب له ما بقى عليه من مال المفاداة الذى قرره عليه حين اطلقه من أسره فســـار فى عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبـــدوا ان بلدوين لم ينس أن جاولى اكرمه فى الموصل (٣٧) .

وفى تلك الأثناء وصلت الأخبار الى جاولى بأن الموصل اخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضـــاعت خزائنه وامواله فتالم لذلك (٣٨) . وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعـــة ونزل على تل باشر والتجأ الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضـــح أن احداث تلك الفترة تبدو مضطربـــة متداخلـــة فى

وسعيد عاشور . الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشـــام بين حلب والرقـــة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، حـ ٢٥ (أ) ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ، ص ٦٤٠ ، الطبـــاخ الحلبى . اعلام النبـــلاء حـ ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)
Michel : Op. Cit, p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (أ) ، العينى : حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصـــدر الســـابق نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ ـــ ٤١ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

(٣٧)
Michel : Op. Clt., p. 215.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ، ص ٢٥ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، حـ ٥ ، ص ٤١ ، الطباخ ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

المصـــادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق أن ذكرنا من ان جاولى قـــد أخرج بالفعل من الموصـــل عندما عبر الى الشـــام واستولى على بالس واستعان ببلدوين مما يتعارض مع ما ذكرتـــه بعض المصـــادر من ان أخبار استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشـــام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكـــامل على الموصل من قبل مودود بدليل مـــا ذكره ميخائيل السريانى من أن رجـــال جاولى كـــانوا متحصنين فى القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى امر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجى اسلامى ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، فى حين يضم الثـــانى تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحـــدث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذى نجح فى أن ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعـــد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى انطاكية (٤٤) ، فى حين فر بلـــدوين هاربـــا واحتمى بقلعـــة الراوندان (٤٥) ، وقيـــل بقلعـــة دلوك (٤٦) . أما جوسلين ففر الى تل باشر حيث اصبح فى مأمن (٤٧) . ولابن القرات وصف شيق لتلك المعركـــة سنذكره عندما نتناول العلاقـــة

---

(٤٠) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٤١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ .

Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 87

الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٣

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

(٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 87.

(٤٥) Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٤٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 عن (Albert),

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ عن

Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 87

أمـــا ابن الأثيـــر : الكـــامل ، حـ ٨ ، ص ٢٥٥ فيـــذكر (أن القمص وجوسلين هربا الى تل باشر)يذكر هـــذا أيضـــا ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤١ .

بانطاكية . أما عسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم بالمس من أصحاب جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه — ٤٩٩ — ٥١٢هـ/١١٠٥م — ١١١٨م (٤٩) . الذى خلف اخاه بركياروق فى حكم سلاجقة فارس — استاء من تقدم الفرنج فى الشام فعزم على تجهيز جيش قوى ليشرع فى حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته فى ديسمبر ١١٠٩م/٥٠٣هـ وأرسل الى الأمير سكمان القبطى أو سكمان بن أرتق (٥١) . صاحب أرمينيا وأخلاط وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير فى العساكر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) . وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود امير الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامى كبير زاد عدده عن مائة الف مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها فى شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنأ

---

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ .
(٤٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.
(٥٠) Zoé : Op. Cit., p. 241.
(٥١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ . يسميه كوكمان Kokman
Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.
(٥٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ ، تاريخ أبو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .
(٥٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 449.
(٥٤) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٥٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ Gibb : p. 101
(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة .
Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهـاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيش انتشر حول المدينـة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان معسكرا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المسـلمون بالمدينـة منعوا الداخل والخـارج بالمسير اليها ، مما اثر تاثيرا سيئا فى المدينـة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفى ذلك الوقت كان ملك القـدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فارسـل اليهم الأمير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب النجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشـام ، واجتمعت قوات بيت المقـدس وطرابلس وانطاكية لمحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة اخرى « اتفق الفرنـج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصـافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعـد للنفار (٦١) » . وعندما سمع طغتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج سـار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاسـلامية المحـاصرة للرهـا (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

---

(٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 91.

(٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ

Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣١ ،

Gibb : Ibid., p. 99

Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسى : الذيـل ، ص ١٦٦ Gibb : Ibid., p. 102. وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « تم الاتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .

Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، ابو المحـاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ .

Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

وملاقات خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ ـ الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا ارض حران على سبيل الخديعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث فى موقعة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج فى فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة أو من الخوف كما يفهم من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفى ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقى (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليتعقبوا المسلمين فى حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستشعروا الهلاك واسرعوا بالانسحاب الى شاطىء الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم وأتوا على عدد كبير من اتباعهم قتلا واسرا وتغريقا فى الفرات ، حتى امتلأت ايدى المسلمين من الغنائم والأسلاب والسبى والدواب (٦٧) .

وكان ان اسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الارمن للدفاع عنها وزودوها بالمؤن

---

(٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٦ ، تاريخ ابو الهيجاء حـ ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ . Gibb : Ibid., p. 103.

(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.

(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archier : Op. Cit., p. 148.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ .

(٦٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « ان الملك وتنكريد تتبعوا المسلمين الى حران كى يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا فى الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن ارهق الكثير من بلاط الملك واحتجزت الكثير من القطعان والأطعمة وحملت بعيدا

Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافيـــة (٦٨) . ويعلل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حماية ممتلكاتهم فى الشـــام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صـــاحب حلب لمـــا عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التى كان الافرنج اخذوها باعمال حلب (٦٩) » . فى حين يشير (كاهين) الى أن من اهم الأسباب التى جعلت الصليبيين يجلون عن الرهـــا وعلى رأسهم الملك بلدوين هو « انه سمع ان الفاطميين انتهزوا فرصـــة غيابه وهاجموا بيروت والقـــدس (٧٠) » .

على ان الســـكان الذين أجلوا عن الرهـــا لم يسلموا من المسلمين فقـــد باغتهم مودود وقـــامت مذبحـــة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعـــد ذلك فى كل ديـــار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالت اقامة الجيش الاسلامى حول الرهـــا اخـــذ المسلمون يعانون مشـــاكل الامـــداد والتموين ممـــا اضطرهم الى التفرق وانصرف كثيرون منهم (٧٢) . وهكـــذا تبددت الحملة الاسلامية بعـــد أن اشرفت على النجـــاح بسقوط الرها فعاد بلدوين دى بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

ومهما يكن من فشـــل هـــذه المحاولة ، فى سلســـلة الجهاد ضـــد الصليبيين فى تحقيق اهدافها ، فانها تدل فى الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقـــع أن تلك الحملـــة تركت آثارا واضحة على

---

(٦٨) ابن القلانسى : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر ان الرهـــا زودت بمحصول عـــام ، لان المواطنين كانوا فى حاجـــة اليه كثيرا بعـــد أن دمر الاتراك المنطقـــة المحيطة بالمدينـــة .
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ١٩٤ .

(٧٠) Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93-94. Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥ عن Albert .
Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرهـــا من الناحيتين الاقتصـــادية والســـكانية سنتناولهما بالتفصيل فى مكان آخر من هـــذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان الســـلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تنكريد لجـــأ الى شراء مسالمة أمير حلب بالمـــال ١١١٠م الا أنه عـــاد فى العـــام التالى وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب فى قلوب الأهالى (٧٥) . الأمر الذى جعل رضوان صـــاحب حلب يرسل مستصرخا كلا من السلطان الســـلجوقى والخليفة العباس فى بغداد (٧٦).

ويقال ان جماعـــة من أهل حلب ســـاروا الى بغـــداد « مستنفرين الناس على الفرنج فأجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصـــدوا جامـــع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعـــدهم السلطان بتجهيز العســـاكر وأرسل من دار الخليفـــة منبرا الى جامـــع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية قصـــدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغـــداد فمنعهم صـــاحب البـــاب من الدخول فغلبوا عليـــه ودخلوا الجـــامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكســـروه وبطلت الجمعـــة وأرسل الخليفـــة الى الســـلطان فى المعنى يـــأمره بالاهتمام بهـــذا الفتق (٧٧) » .

وفى ذلك الوقت كان العـــداء قـــد بلغ اشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقى يحضـــه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخى فى أمرهم واستعمال الجـــد والاجتهاد فى الفتك بهم قبل

---

(٧٥) Archer : Op. Cit., p. 148,

(٧٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦١ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤هـ ـــ ١١١٠م . بة

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٠ ـــ ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضـــال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) » . وقـــد كان وصول رسول ملك الروم الى بغـــداد فى نفس ٥٠٤هـ ١١١٠م التى وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفـــع اهالى حلب الى السلطان قائلين « انا نتقى الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك فى جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان ان يكون الكسيوس قـــد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومـــع ان هـــذا الراى قـــد خفى على المسلمين الا أن عزيمة بغـــداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١).

وادى هذا التيـــار الى استئناف حركة الجهاد ضـــد الصـــليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥هـ) حركة تعبئـــة حقيقيـــة داخـــل الدولة السلجوقية فى فارس (٨٢) ؛ وجهز الســـلطان جيشـــا كبيرا ضم « الامير مودود صـــاحب الموصـــل وسكمان القطبى صـــاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر والاميران ايلنكى وزنكى ابنا برسق حاكم همدان وخوزستان والامير احمد بك واحمديل او احمد الثـــانى الكردى (٨٣) صـــاحب مراغـــة فى آذربيجان ، وابو الهيجـــاء صـــاحب اربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

---

(٧٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٦١ عن ابن القلانسى ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الاخيران الامبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الامبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية فى طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٦ ، ســـعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦١: عن ابن الاثير Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

(٨٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، ســـبط بن الجـــوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، ابو المحاسن : النجـــوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١ ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤هـ والراجح ان ذلك غير صحيح) ، ابن خـــلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩٤

Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيـــادة مودود من جديد لمحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشـــا مودود أن يضيع الوقت ، وانمـــا رأى أن يهـــاجم بعض القلاع الصليبية فى منطقة الرها ، ونجح فى الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى اذا ما تكامل تجمع الجيوش الاســـلامية فى سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرهـــا ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليـــها (٨٨) . ذلك أن مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منـــذ العـــام السابق (٨٩) ، فى الوقت الذى كان الجيش الاسلامى يعانى من نقص المؤن ، ممـــا اضطر مودود الى التخلى عن حصـــارها (٩٠) .

وهنـــا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة١١١١م (٥٠٥هـ) هـــذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٣هـ) . فذكرت

---

(٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216.

(٨٦) ابن الاثير : البـــاهر ص ١٧ ،

Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216

ابو شـــامه : الروضـــتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر ان ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 عن (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٢ . سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦١ عن ابن الاثير .

(٨٨) ابن الاثير : البـــاهر ، ص ١٧ ،

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,

ابو شـــامه : الروضـــتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، ابو الفـــدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ .

(٨٩) Fulcherii : Op Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463, L'Epopée, p. 89.

(١٩٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

ان المسلمين عندما فشلوا فى الاستيلاء على الرهـا ٥٠٥هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرهـا وحملوا اليـها المؤن والذخـائر ثم اجـلوا الضعفاء من المدينـة ونقـلوهم الى الجـانب الشـامى (٩١) .

والواقع هو أن الجيوش الاسـلامية قضت امـام الرهـا ١١١١م (٥٠٥هـ) بضعة أيـام ثم تركتها بعـد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل أن يعبروا نهر الفرات توقفوا أمام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك فى نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥هـ) وكان بهـا عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الاتراك بأعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمسـة واربعين يوما لكنهم اخفقـوا فى الاسـتيلاء عليها (٩٤) ، فاكتفوا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفى تل باشر حـدثت بعض الظروف التى حـالت بين مودود وبين تكملة مهمته فى امـارة الرهـا ؛ اذ توفى عندئذ سكمان القطبى وحمـل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتشفى ملى الرهـاوى من موت سكمان ويعتبر ذلك « عقـابا انزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التى قـام بها فيه (٩٧) » .

---

(٩١) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، عقـد الجمـان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ (عن تـاريخ بيبرس) ، الطبـاخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ، ص ٤٠٦ .

(٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٩٤) ابو شـامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٩ . Mattieu : Op. Cit., p. 96.

(٩٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٦) الفـارقى : تاريخـه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفـارقى : تلخيـص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

(٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

كذلك كان البرسقى صاحب همذان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من اهم العقبات التى فككت وحدة الجيوش الاسلامية وقتذاك هذا بالاضافة الى ما دب فى صفوفهم من خلاف « فقد طمع احمد يل فى بلاد سكمان وهى أرمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا أدل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذى تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك انه « منذ فترة طويلة سمع احمد يل عن تمجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى اصبحا عن طريقه اخين »(١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد ان المصادر والمراجع تشير الى انه فى الوقت الذى كانت تل باشر على وشك السقوط فى أيدى المسلمين التمس جوسلين النجدة من احمد يل الكردى وحمل اليه مبلغا من المال فى مقابل قيامه بابعاد الجيش المحاصر فوافق احمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا الى أن المسلمين بالشام أرسلوا الى مودود يستنجدونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تنكريد الذى هدد شيزر وقطع عنها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واحمد الكردى وارسل يستحثهما على الاسراع اليه قائلا

---

(٩٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان . حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢
المرجعين عن (ابن العديم)، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسى) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انني قد تلفت واريد الخروج عن حلب فبادروا الى الرحيل » وعندئذ اقنع احمد الكردى الاتراك بترك حصار تل باشر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمأن جوسلين الى ابتعاد المسلمين عن قلعته خرج على راس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وباغت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى الف رجل وعاد الى تل باشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهاوى أن مودود غادر تل باشر الى شيزر (١٠٥) نجد المصادر الاخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المفروض ان يمر عليها اولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحملة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والخليفة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم امام تل باشر . ذلك انه حدث عندما اقترب الجيش الاسلامى من حلب ان خاف رضوان على امارته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لاطماع امراء المسلمين اكثر مما عمل لاطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود واحمد الكردى يخبرهم « بانه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبادر عند وصول الجيش الاسلامى

---

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .

(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.

(١٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

(١٠٦) Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 244.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفدا : حـ ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٠٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة فى وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بـــأن عاثوا فى ضـــواحى حلب و « فعـلوا اقبـــح من فعـــل الفرنج »(١١٠) .

وفى ١١١٢م (٥٠٥ ــ ٥٠٦هـ) قـــام مودود بحملتـــه الثـــالثة على الرهـــا وفى تلك المرة توجه اليـــها بمفرده (١١١) . دون ان يشاركه احد من باقى امراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التى احاطت ببقية الامراء فى ذلك الوقت وانشغالهم بخلافاتهم أو بمرض بعضهم أو وفـــاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشىء من الايجـــاز فوصفت كيف ســـار مودود صـــاحب الموصل الى الرها فى المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شان الفرنج ولم يحترز منهم ، فلم يشـــعر الا وجوســـلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المراعى فاخذ الفرنج كثيرا من العســـكر فلمـــا تاهب المسلمون للقـــائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع ان مودود ظل محاصرا للرهـــا حوالى شهرين من ابريل الى

---

(١٠٩) ســـبط بن الجـــوزى : مرآة الزمـــان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفـــدا : المختصر ، حـ ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٢١ ، كرد على خطط الشـــام ، حـ ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit., p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١١١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجـــوزى : مرآة الزمـــان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٦٧١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

بوتيه ١١١٢م (١١٣) (ذو القعدة ٥٠٥هـ ، المحرم ٥٠٦هـ)(١١٤) كما ذكر ابن القلانسى . وفى خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين(١١٥) . ويبدو ان هجومه كان مباغتا لم يتوقعه أهل الرهـــا الذين كانوا مشغولين ببعض أعيـــادهم (١١٦) .

وعندما وجـد مودود ان الرها صعبة المنـــال تحول الى سروج المركز الفرنجى الثـانى شرقى الفرات(١١٧) . وهنـــاك ترك خيوله ترعى فى المناطق المحيطة دون ان يعنى باتخاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه(١١٨) . ونسى ان جوسلين اسرع الى سروج ليعاقبه بضربة قاسية(١١٩) . ذلك ان جوسلين اسرع على راس ثلثمائة فارس ومائة من المشاه الى سروج حيث انقض على الاتراك البـــالغ عـــددهم الف وخمسمائة ، فاوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم اسرى وغنم امتعتهم ، وعندئذ اسرع من نجـــة من الاتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرهـــا . وعندما علم مودود بما حـــدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرهـــا (١٢٠) .

---

(١١٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٨١
Gibb : Op. Cit., p. 127.
والراجح ان التـــاريخ الذى حـــدده ابن القلانسى هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لتلك الاحداث وان بقية المصـــادر السابقة قد اخرت بداية تلك الحملة شـــهرا عنـــه .

(١١٥) Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٨) ابن القلانسى: الذيل ، ص ١٨١. Gibb : Op. Cit., p. 127.

(١١٩) ابن القلانسى : نفس الصفحة. Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١٢٠) Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

وبعد أن قضى مودود سبعة أيام أمام سروج عاد مرة أخرى الى الرها (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه اليها ليساعد بلدوين دى بورج (١٢٢) . ولكن حدث أن قام الأرمن بمؤامرتهم فى الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل فى فصل طبقات المجتمع . ويهمنا من امر هذه المؤامرة الآن أن بعض المراجع اشارت الى أن مودود اوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مودود لم يوفق فى حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربية الى حملة اخرى قام بها مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) بالاشتراك مع « تميرك صاحب سنجار والأمير ايلغازى بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق . وساروا جميعا الى الشام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منهم عندئذ بغدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية فى ثالث عشر المحرم فهزم الفرنج وكثر القتل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحارب عندئذ بوصفه نائبا لملك بيت المقدس . ولم يكن فى ذلك الوقت « صاحب تل باشر والرها » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينه وبين بلدوين دى بورج وبعد طرده من امارة الرها .

ويهمنا من أمر هذه الحملة انها كانت اول بادرة للاتحاد بين الأمراء

---

(١٢١) Mattieu : Ibid., p. 101.

(١٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١٢٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٢٦) ابن الأثير : البارع ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة لتلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يذكر انه كان لها تأثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧هـ) ان تقدم الأمير مودود قائد جيوش المسلمين على رأس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران فى الوقت الذى كان بلدوين أمير الرها موجودا بقواته فى مدينة تل باشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه أن حشدا من الأهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الأمير تلك الوشايات فارسل فى الحال الى أمير سروج بأن يحضر الى الرها وأمره باخراج الاهالى المشتبه فى سلوكهم . وهكذا سفكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا ذنب لهم مما ترك اثرا سيئا فى نفوس أهل الرها الارمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد احد الباطنية وذلك فى ربيع الأول (١٢٩) أكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « اقطع السلطان

---

(١٢٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

(١٢٨) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104-105.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٦٧ (أ) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الأمير مودود كان قد اذن للعسكر الاسلامى بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه فى الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طغدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغدكين الذى حاول ان يجعله يفطر فرفض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فانى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك فقيل أن الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغدكين فوضع عليه من قتله .

(١٣٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) » . ويبدو أن ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى السلطان مكانه من هو أكفأ ، ولم يلبث أن سير السلطان الأمير قسيم الدولة آقسنقر الى الموصل واعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر وتمبرك صاحب سنجار وغيرهما (١٣٣) . وكان ان زحف البرسقى على ماردين فنازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا يقدر بثلثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل الجميع الى الرها فى ذى الحجة ٥٠٨هـ (١٣٥) — ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦). وبلغ عدد جيش البرسقى فى تلك الحملة حوالى خمسة عشر الف فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

---

(١٣١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ ؛ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ٢٠٧ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit., p. 403.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم (١٣٨) » . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وايام (١٣٩) » . وقيل شهرا (١٤٠) .

وكان ان دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن آقسنقر الى رفع حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتى سميساط وسروج (١٤١) . ويقول متى الرهاوى انه وصل الى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فاجتمع كل الفرنج فى تلك الضفة الغربية من النهر ضده فعاد البرسقى الى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢). والراجح انه اشتبك وهو فى طريق عودته فى معركة مع ايلغازى بن ارتق امير ماردين لانه لم يلحق به بنفسه.(١٤٣) . فقاتله ايلغازى « والحق به الهزيمة واسر ابن السلطان ولكنه اطلقه بعد فترة (١٤٤) » . وعاد آقسنقر بعد حملته هذه الى بغداد . وترك الموصل ليقيم بها الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة اربع عشرة وخمسمائة (١٤٥).

---

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491. .

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٩ اما ابن الفرات مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر انه نزل على سروج خمسة ايام واكل العسكر غلاتها وزرعها . اما ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجار وسميساط) والراجح انه اخطأ ووضع سنجار بينهما .

(١٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ .

(١٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

اما اثر الهزيمة التى حلت بآقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هذا بالاضافة الى ان السلطان احل برسق بن برسق حاكم همذان ، محل آقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصل امام الرها ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعد أن « استراح بضعة ايام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . فى حين يشير متى الرهاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد ان استراح امام الرها ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفى تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الأولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن ارتق وطغتكين امير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة ألب ارسلان (١٥٠) . وقد اوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو ان البعض ينكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبا لم تخرج فيها حملات من قبل السلاجقة او الموصل ضد الرها ، وان كانت الرها قد تعرضت فى

---

(١٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.
(١٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٤٨) Setton : Op. Cit., p. 404.
(١٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.
(١٥١) Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.
(١٥٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

ربما يكون المفاصل هنا هو راى ابن الأثير الذى ذكر عن تلك الحملة أنه عندما توجه جيش برسق ابن برسق الى حماه للاستيلاء عليها سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه أن يساعدهم على حفظ مدينة حماه فلما بلغهم نحنها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رايهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢) » .

تلك الفترة لهجمات من جانب الارانقة كما سنرى ، وفى اثناء تلك الفترة توفى الخليفة المستظهر بالله فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفى السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١هـ (١١١٧م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفى صفر ٥١٥هـ (١١٢١م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هى ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا فى عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استنجاد اهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تمرتاش بن ايلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب فى حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

---

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .

(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ويذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧ انه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ٥١١هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك فى الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ هنا يذكر ابن الأثير فى الكامل سبب توليته فيقول « انه كان فى خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأمراء بطاعته وامره بمجاهده الفرنج واخذ البلاد منهم فسار اليها فى عساكر كثيرة وملكها واقام يدبر أمورها ويصلح احوالها » .

(١٥٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٢ ص ٨٦ ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ . العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

تناول العلاقات بينه وبين الصليبيين فى تلك الفترة — أى حملاته ضد الفرنج عامة والرها خاصه فى سنة ٥١٨هـ (١١٢٤م) ، ٥١٩هـ (١١٢٥م) ، ٥٢٠هـ (١١٢٦م) — الى الجزء الخاص بالعلاقات بين حلب والرها حتى تولى حكم حلب عماد الدين زنكى ٥٢٢هـ (١٥٨) (١١٢٨م) .

وفى سنة ٥٢٠هـ قتل آقسنقر البرسقى بالجامع العتيق بمدينة الموصل بعد صلاة الجمعة بيد الباطنية (١٥٩) . فلما توفى ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذى سار فى الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث ان توفى ٥٢١هـ (١٦٠) . (١١٢٧م) بعد ثلاثة اشهر فقط قضاها فى حكم الموصل (١٦١) .

وقد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على انرحبة (١٦٢ ، وهى التى توفى اثناء حصارها . ولم يكن لهذه الوفاة المفاجئة من نتيجة سوى ان جوسلين اسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من اهلها بخنقهم واسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعد وفاة مسعود قام اخوه الأصغر بالحكم بدلا منه وساعده فى ذلك جاولى مولى ابيه فارسل الى السلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقى وبذل الأموال الكثيرة فى ذلك (١٦٤) ». لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكى على الموصل وذلك فى رمضان

---

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٨ .
(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .
(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .
(١٦١) Michel : Op. Cit., p. 228
(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، ابو الفدا ، المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .
Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٣) Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

٥٢١هـ (١٦٥) (١١٢٧م) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دبيس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

---

(١٦٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ١١١ (ب) ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد اليافيسهانى — امير حاجب البرسقى « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه فى ذلك ، وكان يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد اليافيسهانى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين فى ان يخاطب السلطان فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه فى ذلك وضمن له كل ما أراده فوافقهما على مطلبا . وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين انوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمنذ قتل زاد طمعهم وولده طفل ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع يذب عنها ويحمى حوزتها . وقد انهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله واللوم من السلطان . فانهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فاجاب السلطان الى ذلك لما يعلمه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن خلدون ، العبر حـ ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « أن هذا أعان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكى على الموصل :

واصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكى على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب ارسلان او فروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيه وجعل زنكى اتابكه ومن ثم عرف زنكى بالاتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكى الموصل وولى الامير جاولى على الرحبة واعمالها (١٦٩) .

وفى ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار اتابك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى اتابك زنكى حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامى وعن التفكير فى الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

---

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٢ ص ١١٠ (ب) ، ١١١ (أ) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٢ ، ص ١١١ أ ، ب ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرمانى هنا أن معنى اتابك اى الذى يربى أولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ١١١ (ب) ، أبو شامية : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٤ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

الاسلامى فاننا سنجد انفسنا فى حاجة الى ان نفرد لتلك الشخصية بحثا باكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الاسلامى العظيم ضد الرها قبل سقوطها فى يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتى مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكى منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على النفوذ الصليبى فى الشرق . لكنه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشام ، وانما كان يرمى الى ابعد من ذلك . ولكى يحقق ما صمم عليه راى أن يتانى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جانب الصليبيين فى الرها وسروج والبيرة وغيرها (١٧٢) ، من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السياسة ، فارسل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له وتم الصلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هذا هو السبب فى أن ابن العديم عند كلامه عن توجه زنكى الى حلب فى تلك السنة اقتصر على القول بانه « رعى عسكره زرع الرها (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكى بمحاولة جادة ضد امارة الرها فى بداية حكمه للموصل ، وان كان هذا لم يمنعه من ارسال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين فى الرها وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ — ١١٣٠م) الفى فارس لمهاجمة سمرة محررين — وهى للفرنج — فاغارت تلك القوة على تل باشر واوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حدث حوالى ١١٣١م — ٥٢٦هـ ان

---

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ يذكر الأخير ان ذلك كان ٥٢٣هـ اما متى الرهاوى فيذكر انه كان ١١٢٨م — ٥٢٢هـ Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ .

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى أمير الموصل ضد الرها ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزموهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وامارة الرها :

المقصود هنا بسلاجقة قونيه ، سلاجقة الروم . وجد هذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة مانزيكرت افسطس (١٠٧١م — ٤٦٣هـ) التى مني فيها البيزنطيون بهزيمة منكرة(١٧٨) ، جاء سليمان بن قتلمش الى آسيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة رباعها تقريبا(١٧٩) . وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مراكزا له وهى المدينة التى اصبحت أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الأناضول حتى حلت محلها قونيه . والواقع انه فى ١٠٩٢م/٤٨٥هـ قامت سلطنة قونيه على يد قلج ارسلان الأول بن سليمان(١٨٠) .

كانت أولى احتكاكات سلاجقة قونية بامارة الرها ، فى عهد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢م الى ١١٠٧م(١٨٢)/٤٨٥ — ٥٠٠هـ (١٨٣) . ذلك انه وصل فى ٤٩٩هـ (١١٠٦م) فى عسكر كثير وقصد الرها ونزل قريبا منها فارسل اصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسلمها اليه ، فوصل اليهم وتسلمها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياما

---

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.

(١٧٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .

(١٧٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 344 (1968),
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥م) ؛
سعيد عاشور : الحركة . حـ ١ ، ص ٨٨

(١٨٩) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٩٠ .

(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(١٨١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.

(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا اوجب عـودته الى ملطيـة فى حـين اقـام اصحابه بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هـذه الحملة بانهـا كانت فى ١١٠٦م اى (٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلج ارسلان قـدم بجيش هـائل وحاصر الرهـا لبضعة ايـام مؤملا ان يصبح سيد هـذه المدينـة لكنه اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة ام عـاد الى بلاده (١٨٥) .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى أن سلطان ملطية السلجوقى كان من جملة اعضاءالتحالف الفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالف الذى كان يضم الملك بلدوين الثـانى وجوسـلين الاول ودبيس بن صـدقه وأخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنـه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ، وهـذا يعنى انه كانت هنـاك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع ملطيـة وبين الرها . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين قونيـة تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة فى ملطية (١٨٧) .

---

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٦) Mattieu : Ibid., p. 142.

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قـد عين اربعة ابناء لقلج ارسلان الاول السـابق الذكر وهم : مسـعود وملكشـاه وعرب وطغرل ارسلان . خلف الأول والده واتخذ اقامتـه فى قونيـة وترك اخويه عرب وطغرل ارسلان فى ملطية وسجن ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرم من النظر . وعلى ذلك يكون أما عرب وأما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليـه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمان فيشير الى انه حـوالى ١١١٨م (٥١٢هـ) كان الذى يحكم فى ملطيـة هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسعود تحت وصـاية امه وزوجها الثـانى بلك بن ارتق لكن ربما كـان يقصـد هنـاعرب وليس مسعود باعتبار أن الأخير كان فى قونية .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الامبراطور يوحنا =

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قام جوسلين بحملة ضد سلطان قونيه ولكن جوسلين توفى اثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيل السريانى انه بعد ان علم (ايلغازى) ــ والصحيح هو مسعود بن قلج ارسلان ١١١٦ ــ ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ ــ ٥٥١هـ(١٩٠)) ــ بوفاة جوسلين الاول اوقف المعركة وارسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقال اننى احرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفاة ملككم(١٩١) » .

ويفهم من تلك العبارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليم الصورى يشير الى أن العدو انسحب قبل ان يموت جوسلين (١٩٢) » .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبرى « أن مسعود حاكم قونيه هاجم اقليم كيسوم واستولى على القرى وحرقها(١٩٣) » . وبعد ذلك بحوالى احدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) اى بعد سقوط الرها بنحو خمس سنوات « اوغل مسعود بن قلج ارسلان جنوبا فى بلاد الشام بجيش هائل فاستولى على عديد من المدن والقلاع وحاصر تل باشر وفيها جوسلين الثانى وزوجته واطفاله . ثم ساد السلام

الثانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م ــ ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونية وما جاورها وملك غازى فى سيواس وجهاتها وطغرل ارسلان بن قلج ارسلان فى ملطية وتوابعها » (اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١٤١) .

(١٨٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101.

(١٨٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(١٩٠) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ، ص ٢١٥ .

(١٩١) Michel : Op. Cit., p. 232.

(١٩٢) William · Op. Cit., V. 2, p. 52.

(١٩٣) Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265.

بين الجانبين بعد أن اطلق الامير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا فى أسره(١٩٤) » .

علاقة الرها بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بارزا الى جانب الموصل فى العلاقات بين الرها والمسلمين ، فقد مر بنا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تتش بن الب ارسلان السلجوقى عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١هـ (١١١٧م) عندما استولى عليها الأراتقة — كما سنرى . .

والراجح انه لم يكن هناك اى احتكاك مهم بين حلب والرها فى عهد اميرها الأول بلدوين البولونى . ولكن فى بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦هـ (١١٠٢م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكى والرهوى وتوجها الى حلب « واقاموا بها اياما (١٩٦) » وبعد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على ان يدفع لهم « سبعة آلاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرها من تل باشر واغاروا على « بلد حلب الشمالى والشرقى واحرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنا ما كان من أمر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

---

(١٩٤) William : Op. Clt., V. 2, p. 200.

(١٩٥) تشير (انا كومنين) فى الالكسياذه الى أن حلب كانت تسمى بروبا Berroea او خالب Chalep
(Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)
أما ياقوت الحموى : معجم البلدان - حـ ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها اباروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى .

(١٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٠ .

(١٩٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(٤٩٧هـ) الى أن تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨م (٥٠٢هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الأسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من أصحاب الأمير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غدرا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج أطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين أسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كساهم (٢٠٠) » ، الا أنه فى نفس ١١٠٨م — ٥٠٢هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى سقاوه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلعة الجسر(٢٠١) » .

---

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢(أ) ، الطباخ الحلبى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٣هـ — ١١٠٩م ولكن الراجح انه اخطأ فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٢٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٤(ب)، ٢٥ (أ) . أما العينى عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها من حلب الى الرقة لنجدتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على مال فرحل عنها الى حلب » .

وفى سنة ٥٠٨هـ ١١١٤م توفى الملك رضـوان صاحب حلب — وهو الذى سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢هـ (١١٠٨م) — وخلفه فى حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن السـلطان ارسل برسق بن برسق على راس حملة ضد الفرنج ٥٠٩هـ — ١١١٥م ، خشى ان يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجائب الفرنجى الذى سبق ان اشرنا ان طغتكين حـاكم دمشق وايلغـازى كانا قـد انضما اليـه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب فى علاقتها مع الفرنج فى ذلك الدور كانت تنضم فى غالبيـة الأحيـان الى الجـانب الفرنجى وخاصـة امـارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحيـاد فى حركة الجهاد التى قـام بها مودود ١١١١م (٥٠٥هـ) والتى جاءت أصلا نتيجة لاستنجاد حلب بالخليفة . واخيرا أدى تخـوف رضـوان من السلاجقة اكثر الى ان «يعلن لمودود انه لا يمكنه الاتحـاد معهم لأنه اصطلح مع تنكريد وانه يحتـفظ بالحيـاد (٢٠٣) » .

وفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م) دخلت حلب فى حوزة الارانقة . وانتهت حـالة الهدنة التى كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففى هـذه السـنة « اشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقـه هواء عند ادراكه أتلفه (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالى بدمشق ولكن جوسـلين ومعه عساكر الفرنـج أوقفوا تلك النجـدة . وفى نفس الوقت استنجد أهـل حلب بالموصـل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار أحوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضـايقوها واشرفت على الأخـذ وانقطعت قلوب اهل حلب اذ لم يكن يقي حلب معونة الا من عزاز وبلدهـا وبقيـة

---

(٢٠٢) Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب فى أيدى الفرنج والشرقى خراب مجدب (٢٠٦) » لذا استنجد اهل حلب بايلغازى بن ارتق ، فحضر الى حلب وملكها من سلطان شاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ(٢٠٧) .

وهكذا اصبح ايلغازى حاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩م) ان يجعلهم يرحلون عن اعزاز مقابل اعطائهم مبلغا من المال « فلم يلتفتوا لقوة طمعهم فى امر الاسلام ، وكان ايلغازى يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد التلف(٢٠٨) » . فلما يئس أهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يسلموا للفرنج تل هراق (٢٠٩) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربا . وزرعوا اعمال عزاز وصار يدخل الى حلب ما يبتلعون به من القوت (٢١٠) .

وفى نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوى يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازى وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الاول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالى ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه امام اسوار الرها حيث توقف اربعة ايام ثم اتجه الى

---

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٣٦ اما ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٢ فينكر أن دخول ايلغازى حلب وفتح الفرنج لاعزاز كان ٥١٢هـ . فى حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « ان الفرنج استولوا على عزاز فى شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولقى اهل حلب منهم شدة عظيمة الى ان فتحها نور الدين محمود بن زنكى فى ٥٤٥هـ » والراجح أن التاريخ خطأ بدليل أن ابن العديم نفسه هو الذى ذكر انها اخذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٥ (انها من حصون حلب الغربية) .

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السريانى فيشير الى أن ايلغـازى جمع بعض القوات فى تلك السنة وغزا بلاد الرهـا واحرق المحاصيل . وعندما لم يجـد أحدا يخرج لمنـازلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخـذ معـه بعض الأسرى ثم عـاد الى بلاده (٢١٢) .

أما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازى توجـه فى ٥١٣هـ « فى عسـكر يزيد على أربعين ألفا وقطـع الفرات وامتدت عساكره فى أرض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربهـا يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قـدروا عليـه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السبـابقة من تباين فانها تشير الى الـدور الايجابى الذى قام به ايلغازى الأرتقى فى تلك السنة ضد الرهـا .

وقـد رد جوسـلين فى بدايـة حكمـه للرهـا على تلك المحـاولات العداونيـة من جانب ايلغازى بالاغارة على « منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية ، وأخـذ كل ما وجـده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) » .

وفى ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازى من جـديد حملة ضـد الفرنج وهى الحملـة التى تركت أثرا واضحا على الرهـا والتى ذكرهـا متى الرهـاوى بالتفصيل . ذلك انه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائـة

---

(٢١١) Mattlen : Op. Cit., p. 122.
ويقال أن تلك الحملة كانت فى بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit.. p. 205.
ربما تكون هذه هى الحملة التى اشار اليها
(Iorga : Bréve Hist., p. 82).
عندما ذكر أن ايلغازى قاد حملة غير ناجحة ضد الرها فى ١١١٩م .

(١١٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٠ أنها تلمسة من نواحى حلب .

(١١٤) ابن العـديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٨٧ الطبـاخ الحلبى ، جـ ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر السـابق جـ ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين الف محارب . وتوجـــه مسرعا الى أسوار الرهـــا حيث عسكر أمامها اربعة أيام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتـل ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخـــرج لمطاردة الاتراك ، وانقض عليهم وقتل الفـــا وعندئـــذ انسحب ايلغازى ليعســـكر قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج فى جانب واجتمع ايلغازى وطغتكين فى جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عقدت هدنة بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج فى انطاكية عن « المعرة وكفر طاب والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل أغدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته من جـــديد وحتى يتمكن من اضـــافة فرق جديدة الى جيشـــه ثم يعود ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجـــده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى ماردين ليجمع العساكر (١١٨) » . بعد ان ترك بحلب ابنه شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكى ابن قرناص الصوى (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين امير الرهـــا

---

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291.
ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان فى ٢٥ صفر ٥١٤هـ (ابن العديم : الزبدة ، حـ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى تلك الوقعـــة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينـــة حلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤٧٠) . وجبـــل السماق هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية (ياقوت : حـ ٥ ص ١٠٢) أما ليلون ويقال ليلول فهو جبل مطل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت حـ ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصـــدر الســـابق ص ١٩٨ — ١٩٩ .

غـــدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بانه اسر له والى منبج اسيرا وانـــه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م (١٢١) . وقتل وسبى واحرق كل ما فى النقرة والأخص ؛ ثم اخـــذ المشـــايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد الى تل باشر وخرج من جـــديد فكرر ما فعله فى المرة الســـابقة . لذلك ارسل والى حلب الى ملك بيت المقـــدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هـــذه البلاد خاليـــة من العساكر الا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجـــد جوسلين ان ايلغازى قـــد انشغل عن امر الشـــام فى ماردين بدبيس بن صـــدقة (١٢٤) ، توجـــه الى حلب « واستولى على معظمـــه (١٢٥) » ، كما اغـــار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقصة شمال حلب قرب وادى بطنان ونجح فى خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفـــع حصـــاره عنها الا بعد أن دفـــع له

---

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١١٤ أن الأخص بنواحى حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصرة وهى المدينـــة التى كان ينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٩٧
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر الســـابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه فى هـــذه السنة هرب ملك العرب دبيس بن صـــدقة الأسدى فاكرمه نجم الدولة مالك ثم ســـار الى ايلغازى الى ماردين وتزوج ابنته فاسند به واجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل اليه ايلغازى ما يفوت الاحصـــاء فاشتغل ايلغـــازى بدبيس عن العبور الى الشـــام .

(١٢٥) ابن العديم : المصـــدر الســـابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المال (١٢٦) . وفى مايو ١١٢١م (٥١٥هـ) هاجم جوسلين قلعة الأثارب الى الجنوب الشرقى من حلب واحدث مذبحة ضخمة فى اهلها من المسلمين (١٢٧) .

عندئذ « كتب ايلغازى الى ولده ونوابه يأمرهم بصلح الفرنج على ما يريدون فصالحوهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم فى رحى العربية وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الأثارب فوافق ايلغازى لكن الاهالى ناضلوا بشدة من أجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولما كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦هـ (١١٢٢م) فى عدد هائل الى عزاز لكن الهزيمة حلت بهم وقتل عدد كبير منهم (١٣٠) .

وفى نفس السنة تقدم ايلغازى من ماردين الى حلب ليقاتل الفرنج بعد أن جمع جيشا كبيرا وبعد أن وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القدس وجوسلين أمير الرها لمقاومته ولكن لم يحدث اى اشتباك بينهما وعاد كل منهما الى بلاده فى سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

---

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٠٩ من ابن العديم محمد أحمد حسين : اسامة بن منقذ، ص ٤٦ .
Setton : Ibid.. p. 416.
والأثارب قلعة معروفة بين حلب وانطاكية (ياقوت : حـ ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٩ . وهو يذكر ان جوسلين كان ممن تولوا المفاوضات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .
Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537. (١٣١)

وفى الوقت الذى دخل فيه ايلغازى حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتفى اثر الفرنج حتى تمكن كما رأينا من قبل من اسر جوسلين نفسه ومعه ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم اسر امير الرها جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرها من محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها فى شعبان ٥١٦هـ — اكتوبر ١١٢٢م « من تل باشر وكسوا تل قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب ببزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفى رمضان ٥١٦هـ — نوفمبر ١١٢٢م « توفى ايلغازى بن ارتق ابن اكسب نجم الدين التركمانى الذى كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير العطاء فولى بعده ماردين ابنه حسام الدين تمرتاش (١٣٥) » .

وقد رأينا كيف اسر الملك بلدوين الثانى نفسه مع جوسلين وجاليران ثم كيف افلت جوسلين من الأسر ٥١٧هـ (١١٢٣م) وعاد الى الرها ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) . ولكن عندما علم بعودة بلك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة اخرى ثارت ثائرته وقام بالعديد من اعمال التخريب فى اقليم حلب ٥١٧هـ (١١٢٣م)

---

(١٣٢) Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, Michel : Op. Cit., p. 201. سماه متى الرهاوى واليران

(١٣٣) قرية من قرى العواصم من اعمال حلب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ،
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبى العبر ، حـ ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الاخيران ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميافارقيين ، فى حين كانت حلب من نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

(١٣٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهى السنة التى تعتبر من اهم سنى الصراع بين الرهـا وحلب لما شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقد وضح فى كل اطوار تلك العلاقات فى هذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقد راى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حدوده الخاصة وحدود امارة انطاكية المعدومة القيادة (١٣٧) .

والواقع أن الفرنج اتفقوا على ان يخفوا فشل الحملة الموجهة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى اعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لأسر الملك مرة اخرى . فسار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادى وقاتل بزاعا واحرق بعض جدارها ثم احرق الباب وقطع شجرة واحرق ما سواه من الوادى . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحية مشهد الجف من الشمال ، وخرب المشاهد والبساتين وكسر الناس عند مشهد طرود بالقرب من بستان النقرة وقتل وسبى مقدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى فى البقعة السوداء وخرب مشاهد الجانب القبلى وبساتينه ونبش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجد فيه شيئا فالقى فيه النار (١٤٠) » . وفى رمضان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

---

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٠ وبزاعة بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضان ٥١٧هـ) .

هنا يذكر ابن العديم أنه كرد فعل لنبش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) أمر قاضى حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمى حلب أن تهدم محاريب الكنائس التى للنصارى بحلب وان تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى فى حلب سوى كنيستان (١٤٣) .

---

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمى (ت ٨٨٤هـ فيذكران أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ استنادا لرأى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، حـ ١ ق ١ ص ٤٥ يذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكلا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذى بنته هيلانه أم قسطنطين بانى القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان فى الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى أن حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

أما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر أنه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من ابراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا فى حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، فاقترحوا عليه اشياء من جملتها أن يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع فوافق . فانكر القاضى أبو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج فى ذلك فاذ نوافى وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونبشوا ما حولها من القبور فاخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، أما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطأ فى تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) أما أهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » أما الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

وفى تاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادى والنقرة والأخص واخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لايحصى وقتل وسبى وخرب ما أمكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) . ثم اغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك اغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) . وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهى قرية بين حلب وبالس فخنق اهلها بالدخان فى المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هى اكثر المناطق الاسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر وبعد أن أضاع بلك عليه الفرصة فى اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى .

وفى صفر ٥١٨هـ (١١٢٤م) توجهت مجموعة من أصحاب بلك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الاتراك واخذوا من الفرنج حوالى أربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفى نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بلك ابن ارتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية اخرى وهى التى راح ضحيتها بلك نفسه .

---

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنه : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنه ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١م (١٥٠) (٤٨٥هـ) تقريبا . وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) حدث سوء تفاهم بين حسان وبلك فانفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق (١٥١). « وتقدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا من حسان أن يخرج معهم للأغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما طلبه منهم بلك وأخذوا حسان اسيرا « حيث حبس فى حصن بالو بعد أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .

ورغم ذلك التعذيب الذى وقع بحسان ، رفض اخوه عيسى أن يسلم البلد الى اتباع بلك . بل اكثر من ذلك أرسل عيسى يستنجد بجوسلين أمير الرها قائلا : « أن وصلتنى وكشفت عنى عسكر بلك سلمت اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما راى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمع بعض القوات وسار ضد الفرنج وتوجه أولا الى حلب ومنها توجه لمهاجمة منبج (١٥٥) . فى نفس الوقت كان جوسلين قد توجه الى بيت المقدس وطرابلس

---

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ ., Setton : Op. Cit. V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا ان بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحى ارمينية بين ارزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر ايضا ان عيسى نادى بشعار جوسلين بمنبج اما متى الرهاوى فيذكر ان الاستنجاد كان بجوسلين وجيوفرى .
(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.
Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op, Cit., V. 1, p. 422.

(١٥٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138.

وبقية المراكز الصليبية بجمع القوات لحرب بلك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبى مع جيش بلك الأرتقى بالقرب من منبج فى يوم الأثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨هـ ، ٤ مايو ١١٢٤م (١٥٧) . ويصف لنا متى الرهـــازى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا . ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعـــداد الصـــليبيين الا أن كفة الصـــليبيين كانت هى الراجحة فى البداية ، فطوقوا الأتراك وأجبروهم على الفرار . ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى — ومعـــه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما سمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

أما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العســكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمســين حملــة يفتك فيهم ويخرج سالمــا ، يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لمــا جــدده على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفى اليوم التالى تجــدد القتال بعــد أن تخلص بلك من كل أسراه فى اليوم الســابق (١٦٠) ، واعطى بلك أوامره بتشــديد الهجوم « وهو فى غمرة فرحــة بنجاحــه (١٦١) » . فى اليوم الســابق . ولكن بينما

---

(١٥٦) Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422, وكان أهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوك .

Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩

Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٨) Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦١) Mattieu : Op. Cit., p. I39.

وقف بلك يدير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله فى الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جملتها حلب (١٦٤) . وعندئذ فكت قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الأرمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الأرمن لأن متى الرهاوى كان أرمنى الجنسية .

وبوفاة بلك تشجع نائبا جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان فى مايو ١١٢٤م ، أواخر ربيع الأول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فسار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخاص الذى ركب اليه فى ثلثمائة فارس فلحقه على مرج أكساس فقاتله وقتل أكثر من

---

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.

ويذكر ابن العديم (أنه قيل أن السهم كان من يد عيسى فوقع فى ترقوته اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) أما متى الرهاوى فيقول أن قاتل بلك كان احد عباد الشمس .
(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ .
Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٤ — ٨٢٥
Setton : V. 1, p. 423,

(١٦٥) Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٦٦) Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. I, p. 423,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعاد غانما وأنفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) » . لذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضى تمرتاش الى ماردين فى الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج فى شعبان ٥١٨هـ (١٧١) (أكتوبر ١١٢٤م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثانى وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسلطان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول أسبابه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التى

---

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423,

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ (عن ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة . اما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩هـ .

(١٧٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩هـ (جوسلين الرومى)

(١٧٤) Mattieu : Op. Cit., p. 141 - 142, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 452, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسبط بن العجمى (١٧٦) . بل ان الفرنج عزموا على ان يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا اهلها على التسليم لهم « حتى انهم بنوا لهم بيوتا لأجل الحر والبرد (١٧٧) ». ويقال ان الحصار استمر حوالى اربعة اشهر (١٧٨) . وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر اهل حلب فى ان يرسلوا الى تمرتاش يستنجدون به وبالفعل خرج وفد منهم الى ماردين « مستصرخين اليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم يتجدهم لأسباب اوردتها بعض المصادر الاسلامية ، فبعضها يذكر « انهم وجدوا ان اخاه سليمان ـ بن ايلغازى صاحب ميافارقين كان قد توفى فى رمضان وسار

---

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . فقد ذكر أن الفرنج « اقاموا على حلب يزاحمونها وقطعوا الشجر وخربوا المشاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطع اوساله . فربطوا فى رجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ . فقد قال : « اكل اهل البلد القطاط فى هذه الشدة ولما طال الحصار عليهم وقلت ازوادهم وقع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام حـ ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٥٧ ، اما ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتى وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٧ وكان تمرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦هـ وظل بها حتى ٥٤٧هـ . (زامبور : معجم الأنساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) » . والبعض يقول « انه قال لهم خلوهم اذا اخذوها عدت وأخفتها (١٨٢) » .

والبعض يشير الى أنـــه « ظهر لهم من صـــاحبهم تمرتاش بن ايلغازى الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون يذكرون « لم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكـــان أن اتجـــه أهـــل حلب الى طـــلب النجـــدة من آقســـنقر البرسقى (١٨٥) . الذى كان مريضـــا ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرجن من حلب الشـــدة (١٨٦) . فلما شفى توجـــه الى حلب « فلما قاربها رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وابعدوا عن المدينـــة ، فلما وصـــل ســـاق وعسكر خلفهم ســـع اهل البلد فانهزموا بين يديـــه (١٨٧) » وحفظت المدينـــة (١٨٨) . ويقال أن ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

---

(١٨١) ابن العديم : نفس المصـــدر والصفحة .
(١٨٢) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١ .
(١٨٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .
(١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ، جـ ١ ص ٣٠٤ .
(١٨٥) يسميه ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٤٩٤ ـــ ٤٩٥ (كنجاك الرشيقى) .
(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩هـ .
(١٨٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١ .
(١٨٨) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
(١٨٩) يذكر ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « اقاموا على حلب تسعة ايام فلما كان اليوم العاشر ، تشـــاور اهل حلب ، على انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعـــد العصر أرســـل الله عز وجل سيلا عظيما أخـــذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم » . اما العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ص ٨٤٠ ـــ ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كان فى ذى الحجة ٥١٨هـ يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ، يصبح مكملا للعلاقات بين ولاة الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفى ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب خلب والموصل عساكره واستولى على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التى كانت تابعة لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر فى حملته هذه طغتكين حاكم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى جيشهما « بأربعين الف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « فى اليوم التاسع جاء قد عظيم فى نهر قويق وذلك قبل العصر فاخذ خيام العدو وغرق خلق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦
Mattieu : Op. Cit., p. 142,
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٢ ص ٩٢ (ب) ؛ روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احداث ٥١٩هـ ، ابو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ ، أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

(١٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

(١٩٤) Mattieu : Ibid., p. 143.

والواقع ان غالبية المصادر العربية اكتفت بالاشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشىء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ، فى حين وصفها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان يناصفهم فى جبل السماق وغيره مما كان بايدى الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى إلى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعد أن ترك فى حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملك بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث أودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آقسنقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رفنية فاخذوها من ابنه فى صفر ٥٢٠هـ (٢٠٢) (١١٢٦م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آقسنقر مستنجدا وعندئذ جمع لبارسقى الجند وسار الى الشام فوصل الرقة فى أواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

---

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٩٢(ب) .

(١٩٧) Mattieu : Op. Cit., p.p. 143 - 144.

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ .

(١٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٩٢ (ب)

(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(٢٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به اياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على ان تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) » . فانفق على ذلك . وفى جمادى الآخره رحل البرسقى الى الأثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه ان يرحل عن الأثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١١٢٥م) ويعيدوا اليه الآثارب فصالحهم على ذلك لانه « خشى ان يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفى النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود ؛ لفترة قصيرة ثم توفى هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى فى حلب وعاد اليها الحكم الأرتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة فى حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١١٢٧م) « فصنع بمال وانصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى انه حدث فى نهاية ١١٢٧م (٥٢١هـ) أن اجتمع الأتراك والفرنج فى سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينارا سنويا فى مقابل اقرار السلام.

---

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ انه فى ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومد يده الى الأموال لا سيما التركمان وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقى الذى كان صاحبها قديما فاطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتـــراك مؤامرة لدس السم لجوســـلين ولكن محـــاولتهم باءت بالفشل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبـــا بين حلب والرهـــا وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نـــائب زنكى بحـــلب هو ســـوار بن أيتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوســـلين وقعـــة بنـــاحية حلب الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض ســـنة حتى تجمع الأتراك فى اقليم حلب فتصـــدى لهم جوســـلين ، فلمـــا علموا ذلك دخلوا اقليم تل باشر ونهبوه (٢١١) . وبعد ان ترك الأتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة الفرنج مرة أخرى ، ولكن الأتراك تربصوا لهم وأبادوا الفرنج جميعا(٢١٢). وهـــذه هى الموقعة التى أصيب فيها جوسلين الأول بكسور شديدة فى كل جسمه والتى أودت بحياته فى النهاية(٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) أوقع الأميرسيف‌الدين ســـوار بفرنج تل باشر وقتـــل منهم خلقا كثيرا(٢١٤) . وفى العام التالى ١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغـــارت فرســـان الرهـــا على شمال حلب فأوقع بهم ســـوار وحســـان صـــاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحمـــلوا الرؤوس والأسرى الى حلب(٢١٥) .

---

(٢٠٨) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٢٠٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبـــاخ : حـ ١ ص ٤٧٨ .

(٢١١) بن العـــديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,

(٢١٢) Michel : Ibid., p. 233.

(٢١٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6.

(٢١٤) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٩ .

(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ٥٣٧هـ/١١٤٢م يذكر ابن العديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سوار فردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين تماتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

أما العينى فيشير الى ان جوسلين هو الذى « اغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار(٢١٧) » .

هكذا استطعنا أن نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لديار ربيعة فى الجزيرة(٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد اهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية أولاده الى ان استولى عليها عماد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالأراتقة ، لابد وان نشير الى اراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الأرتقية للرها فى عهد أميريها الأولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها باراتقة ماردين :

أما اراتقة ماردين فقد مر بنا أيضا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠م) ان هذا الانتصار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين واسر الكثيرين .

فقد ذكر لنا متى الرهاوى انه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الأتراك فى اقليم ماردين فأبادهم واسر أميرهم (٢١٩) » .

---

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الأراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اشرنا (٥١١ – ٥١٨هـ / ١١١٧ – ١١٢٤م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين أراتقة ماردين فقط – بعد مد ولاة الموصل سلطانهم على حلب – وبين الرها .

ففي عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٣٠ م (٥٢٥هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفي بداية حكم جوسلين الثاني استمرت العلاقات العدائية بين الرها وارانقةماردين اذ حدث١١٣١م (٥٢٦هـ) « ان طلب احد الأمراء الأراتقة من حسام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجي وقتلوا الف تركي وقبضوا عليه . فأحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماماً(٢٢١) » .

علاقة الرها بأراتقة ديار بكر :

أما عن أراتقة ديار بكر فيقال أنهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن في الرها ضد السيادة الفرنجية في البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢هـ) وهي المؤامرة التي كشف أمرها بلدوين البولوني ونكل بالمشتركين فيها أو المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الأراتقة تحالف مع امراء الرها في أواخر عمر امارتهم بدليل ما ذكر من انه « في خريف ١١٤٤م هاجم زنكي قرا ارسلان الأمير الأرتقي لديار بكر ، الذي كان قد تحالف مع جوسلين فسار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمي حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكي مع حلب(٢٢٣) » .

---

(٢٢٠) Michel : Op. Cit., p. 246.

(٢٢١) Michel : Ibid., p. 233.

(٢٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

(٢٢٣) Runciman : Ibid., V. 2, p. 235.

علاقـــة الرهـــا بـــآمد :

ولمـــا كانت مدينة آمد تعتبر المدينـــة الرئيسية فى ديـــار بكر(٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرهـــا فى هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة فى عهد جوسلين الأول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينيـــة . أما عن الأولى ففى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) يشير ميخائيل السريانى الى « أن جوسلين غزا بلاد آمـــد ونهب الأتراك والأكراد وخرب القرى حتى أبواب المدينـــة لأن الأتراك غزوا اقليم الرهـــا بينـــما كان جوسلين فى انطاكية ؛ فلحقت بهم قوات آمد(٢٢٥) » .

أما فى الجـــانب الدينى فيشير ميخائيل ايضـــا الى انه فى ١١٢٩ م (٥٢٣هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعـــه فى نفس الوقت من الخروج من آمد . وفى الواقع ان حاكم ماردين أرسل اكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمـــد وقيل له : « ان هذا البطريرك رجل مسن وعن قريب سوف يموت هنا وتأخذ انت ثرونه » . ولمـــا بقى البطريرك بآمد ـــ كما لو كان فى سجن ـــ ارسل الى جوسلين حاكم الرها يطلب منـــه أن يتشفع له لدى أمير آمد . وبصورة عاجـــلة انبـــأ جوســـلين لأمير آمد هـــذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فسأخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرهـــا ليشكر جوسلين ، ومن هنا صـــعد الى دير ماربارسوما (٢٢٦) . (Mar Bar Çauma)

ولاستكمال علاقات الرها بالأراتقة نشير الى انه فى ٥٢٣هـ (١١٢٨م) « هزم جوســـلين الأول على يد صـــاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن ســـقمان الأرتقى(٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفـــا

---

(٢٢٤) Le Strange : Op. Cit., p. 86.
(٢٢٥) Michel : Op. Cit., p. 22.
(٢٢٦) Michel : Ibid., p. 228.
(٢٢٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٠ .
(٢٢٨) زامبور : معجم الانســـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢هـ ـــ ٥٣٩ هـ) .

كان احـــدى القلاع الأرتقيـــة . كان اول من ملكها منهم سقمان الارتقى نفسه اخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م).

والى جانب العلاقات الارتقيه والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات باماكن اخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة.فمثلا اخرى تركية ولكن لم يـــات ذكرهـــا الا فى ســـنة واحـــدة.او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عـــامة . فمثلا نجد انه كانت للرها علاقة بالعقيليين فى قلعـــة جعبر بدات عـــدائية ثم تحولت الى علاقـــة ودية فى عهد جوســـلين الأول امير الرهـــا . وربمـــا يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه دبيس بن صدقة بينهما .« ففى ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) اغـــار الفرنج من الرهـــا على الرقة وقلعـــة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وكانت القلعـــة والرقـــة لســـالم بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السـلطان ملكشاه ٤٧٩هـ(٢٣٠) » .

ويشير اسامه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الأول « اغار جوسلين على الرقـــة والقلعة واخذ كل ما عليها وسبى وســـاق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة فركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفـــة قديمة(٢٣١) ، ولمـــالك عليـــه جميل . وظن جوســـلين ان فى الزورق رسولا من مالك فجاءه واحـــد من الافرنج وقال « هـــذا مالك فى الزورق » فقـــال « ما هو صحيح » فاشار آخر قـــال « قـــد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى » . فقام جوسلين والتقاه واكرمه ورد عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبى(٢٣٢) » .

---

(٢٢٩) القرماني : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثـير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن الوردى تتمـــة المختصر ، حـ ٨ ص ١٤ ؛ زامبور معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة دبيس بن صدقة بمالك وتوسط الاخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبـــار ،ص ٩٠ .

كذلك اغـار جوسـلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العربـان والتركمان النازلين بصفين قربقرية جعبر على الفرات « فغنم من أموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا »(٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريانى فى ١١٣٤م (٥٢٩هـ) « انه عنـدما توجـه جوسـلين للصلاة فى القـدس نهب الأتراك بقسوة كل الاقليم وخربوا واحرقوا قرية حـارم(٢٣٤) » .

علاقـة الرهـا ببنى دانشمند :

سبق أن رأينـا انه عند قيـام امـارة الرها الصـليبية كان شرق الاناضول تحت حـكم امير تركى قـوى هـو الملك غـازى بن دانشمند حـاكم سيواس(٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه فى المصادر والمراجع بالنسبة لعلاقة الرهـا بالأتراك من بنى دانشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الاشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقـات واهمها فى المصـادر هى علاقة الرهـا ببنى دانشمند فى سميسـاط منـذ قيـام الامـارة ـ كما سـبق ان اشرنـا(٢٣٦) . يلى ذلك انه عندمـا اسر الأمير الدانشمندى ، الأمير بوهيموند كان يأمل ايضا ان يأسر الأمير بلدوين البولونى ومما يدل على ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الدانشمند عنـدما قال : « انى آمل فى الحصـول على بلدوين ذاته كما حصـلت على بوهيموند فى وقت قصـير(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ؛ العينى : عقد الجمـان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٦٨ ، الطبـاخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٥) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ الى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفى ١١٤١م « توفى غازى الدانشمندى (٢٣٨) فلم يمكن الاحتفاظ بوحدة ارثه اذ استقر ابنه ذى النون فى قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة المتوفى المسمى ياغى سيان احتل سيواس كما احتل أحد بنى دانشمند ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبنى دانشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقى فى قونيه والذى اتحد مع ذى النون فى مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببنى مزيد فى الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببنى مزيد فى الحلة ، فيجدر بنا ان نعطى نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية ثم موقفها من الامارة . والحلة هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة الأسدى البشيرى ، صدقه بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد سنة خمس وتسعين واربع مئة(٢٤٢) . . وساعده على ذلك انشغال سلاطين السلاجقة من أولاد ملكشاه ابن الب ارسلان بالخلافات بينهم خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة ياوى اليها السباع فنزل بها باهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق واحسنها فى حياة

---

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ هو ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفى ٥٣٧هـ) .

(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ فى سيواس زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طهران ١٩٦٥ (منشورات مكتبه الأسدى رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٢٤٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢ ص ٣٤٥ ــ ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقة فلما قتل بقيت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى ايضا الحلة السيفية (٢٤٥) او الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقة هذا يلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفى ٥٠١هـ (١١٠٧م) قتل سيف الدولة صدقة(٢٤٨) فملك العرب بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر(٢٤٩) .

وقد لعب دبيس دورا ايجابيا فى تأييد الفرنج ضد المسلمين وكانت بينه وبين الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هى التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلافه مع المسترشد بالله « اذ خرج دبيس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان ينهب القرى ويزعج البلاد (٢٥١) . وفى ٥١٢هـ (١١١٨م) طلب دبيس من السلطان محمود « أن يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم ورفع شانه (٢٥٢) » .

والواقع ان اكثر السنوات التى برز فيها التحالف بين الامير دبيس

---

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، حـ ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم، حـ٩ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصدر السابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ١٤ (أ) انه لما قتل اضاف السلطان محمد مملكته اليه وولاها اصحابه فدخلها الخبط والضياع .

(٢٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب حـ ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) ابن شاكر الكتبى : عيون التواريخ ميكروفيلم بدار الكتب حـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربى وبين امـــارة الرهـــا هى ١١٢٤ م (٥١٨هـ) اى فى عهد الأمير جوسلين دى كورتنـــاى . اذ يبدو انه تم تحـــالف سرى بين دبيس وبين الفرنـــج بعـــد الصراع الشـــديد بينـــه وبين الخليفـــة المسترشـــد ، ولذا اراد تمرتاش بن ايلغازى حـــاكم حلب أن يأمن جانب دبيس . وكان الملك بلدوين الثـــانى قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب(٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تمرتاش ، استقر الرأى فيها على ان يسلم الملك فى مقابل اطلاق سراحه « الأثارب وزردنا(٢٥٤) وكفر طاب والجزر(٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقـــة بدبيس(٢٥٦) » .

لذا كاتب دبيس قومـــا من أهل حلب وارســـل اليهم بعض الدنانير « وسلمهم تسليمها ، فكشف ذلك رئيسها فضـــائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليـــه تمرتاش بن ايلغـــازى فاخذهم وعـــذبهم وشنق بعضـــهم وصـــادر بعضـــا واحرق بعض(٢٥٧) » وبذلك فشلت محـــاولة دبيس هذه فى الاستيلاء على حلب .

---

(٢٥٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 423.

(٢٥٤) بليدة من نواحى حلب الغربية (يـــاقوت الحموى : معـــجم البلدان حـ ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (ياقوت حموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١
Setton : Op. Cit., V. 1,p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان دبيس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والعروض على ظهور المطـــايا ووفد على ســـالم بن مالك بن بدرن الى قلعـــة دوبـــر واستجار به فاجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود فى امره » .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١ ـــ ٢٢٢ ؛ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى على الشروط المتفق عليها بعد أن دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين الف دينار(٢٥٨) »، وكان القائم بالمفاوضات بين الملك وتمرتاش هو الأمير أبو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله أهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨هـ (٢٥٩) (١١٢٤م) . ولكن بمجرد أن اصبح الملك حرا تنكر للعهد الذى بينه وبين تمرتاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذى لا يمكن خلافه سألنى عما بذلت وما الذى استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى ، وأمرنى بالدفع عنها وقال أن خطيئتك تلزمنى ولا اقدر على خلافه (٢٦٠) » هنا بدأت المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور دبيس بن صدقة ملك العرب وأمير الحلة ، فاتصل بالفرنج وقدم لهم خدماته فى مقابل مساعدته هو الآخر فى تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الأولى أن دبيس « خالط جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب لدبيس والأموال والأرواح للفرنج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال أن أهلها شيعة وهم يميلون الى لأجل المذهب ، فمتى راونى سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

---

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة،الطباخ ، جـ ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ؛ الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ص ٣٠٣ — ٣٠٤

وقد اشترك فى هذا الحصار لمدينة حلب كل من الملك بلدوين الثانى ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرها (٢٦٣) . ودبيس ابن صدقة وسلطان شاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبة دبيس عيسى بن سالم بن مالك ويغى سيان بن عبد الجبار صاحب بالس (٢٦٥) ، كما يضيف اليهم متى الرهاوى ايضا سلطان ملطية (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الاتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهات اذ خرج دبيس وجوسلين من تل باشر وقصدوا ناحية الوداى فافسدوا الزرع ، ثم رحلا ونزلا مع الملك بلدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنه ويسره ، ونزل دبيس وسلطان شاه بن رضوان مما يلى جوسلين من الشرق وفى صحبة دبيس عيسى بن

---

(٢٦٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 141-142.

(٢٦٤) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : زبدة ، حـ ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى دبيس باسم (صدقة — Sadaka, Sale) ابن دبيس ، والواقع انه ربما خلط بين الأب والابن . ومما يرجح ذلك ان متى نفسه يعرفه بانه صهر ايلغازى ، وبذلك يكون دبيس وليس صدقة . اما ابن ايبك : كنز الدر ، حـ ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى دبيس خطأ بانه دبيس البرسقى سيف الدولة . والصحيح ان سيف الدولة الذى قصده هو آقسنقر البرسقى وليس دبيس . اما عن سلطان شاه فيذكر متى انه الابن الأصغر للسلطان تتش ، ولكنه فى الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تتش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

(٢٦٦) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
وهو هنا كما سبق ان اشرنا اما عرب او طغرل ارسلان بن قلج ارسلان .

(٢٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

سسالم بن مالك . ونزل يغى سيان بن عبد الجبار بن ارتق صاحب بالس مما يلى دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعد أن قاسى اهالى حلب كثيرا من قلة الأرزاق ومن كثرة الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا — التجأوا الى آقسنقر البرسقى أمير الموصل يتوسلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى كان مريضا لا يستطيع الحركة لشدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل الى دبيس من اخبره بذلك « فضرب البشارة فى عسكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض أصحابه فى اهل حلب ، قد ملت من املتم نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما اقترب منها أرسل اليهم يقول « اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها فأجبوه الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصل الى حلب فرحل الفرنج عنها بدون أى خسائر (٢٧٣) . وأراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

---

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٤ الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٦ .

(٢٦٩) Mattieu : Op. Cit., p. 142,

سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١

(٢٧٠) Mattieu : Ibid., p. 142,

ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٨ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .

(٢٧٣) Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Croix V. 2 p. 877 عن (L'Anonyme).

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧ ان البرسقى منعهم بنفسه وقال « قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتصلح حالها وتكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم » .

=

وبعد انسحاب دبيس عن حلب اتجه الى الموصل فخربها وخرب كل الاقاليم التابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان دبيس ظل بعد تلك الهزيمة على موقفه العدائى من الخلافة والمسلمين آملا ان يجد الفرصة مرة اخرى كى يجد فى الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥هـ ١١٣٠م من « ان دبيس وصل منهزما من المسترشد وخفى خبره فترة ثم ظهر بعد مدة انه وصل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السلطان عند مالك صاحبها ، وسار الى جوسلين واستنفد الى الفرنج فلم ير ما يعجبه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩هـ ١١٣٤م قتل دبيس بن صدقة وقيل ان السلطان مسعود هو الذي قتله بعد مقتل المسترشد بثمانية وعشرين يوما (٢٧٧) . وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرها بالمسلمين عامة يجدر بنا الاشارة الى علاقة الرها بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها ببيروت .

اما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ـ ٨٤٠ ، فيذكر ان سبب عدم تعقبه لهم انه « عندما طلب منه ابو الفضل بن الخشاب ان يتعقبهم قائلا : لوسلت خلفهم لختناهم باسرهم فانهم منهزمون فقال له : تعلم ان فى بلدكم ما يقوم بكم وبعسكرى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .

فقال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا ما نفعنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفع شرهم » .

(٢٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 142.

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩هـ - ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ ؛ ٥٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ . ويذكر زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٠٨ أن مقتل نور الدولة دبيس كان فى ذى الحجة ٥٢٩هـ .

ففى ٥١٣هـ ١١١٩م سار جوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفة من طى يعرفون ببنى خالد — وهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية ٢٧٨ — فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فأسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندما علم بنو ربيعة بذلك ارادوا الرحيل ، لكن أميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا الفرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من امير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة راى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين وأسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » أما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الموقعة فاتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مخذولا (٢٨١) .

أما عن علاقة الرها ببيروت فما عثرنا عليه فى المصادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بورج أمير الرها الثانى .

وفى ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعد زوال معظم ملكهم فى الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . ففى ٤٩٥هـ (١١٠١م) « وصل قمص

---

(٢٧٨) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٥٣ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

«الرهـا مقـدم الفرنج فى عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعـا فى افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) ».

وفى ٥٠٣هـ (١١١٠م) سـار جوسـلين صاحب تل باشر والتـابع الأول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليـه من الافرنج ويستنجد بهم على عسـكر مودود النازلين على الرهـا وفى شوال من السنة سقطت بيروت فى يـد الفرنج (٢٨٣) » . وقـد ذكر متى الرهاوى « ان جوسـلين سـاعد فى الاستيلاء على المدينـة وابدى شجاعة كبيرة فى ذلك (٢٨٤) » .

بهـذا امكننا اعطاء صورة مفصـلة عن علاقة امارة الرهـا الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما اسعفتنا به المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام :

نقصـد هنـا بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام ، بيت المقـدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدأ اولا بدراسـة علاقات امارة الرهـا مع الصليبيين عامـة قبل تاسيس الامارات الثلاث ثم نتلوها بالعلاقة مـع بيت المقـدس باعتبارها كانت ابرز الوحدات الصليبية فى الشرق بل كانت تمثل القيادة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعهـا بامارة انطاكيـة القريبة من امارة الرهـا والتى كانت على صلة دائمـة بهـا سواء ودية او عدائية ونتلوها اخيرا بتناول علاقة الرهـا بامارة طرابلس ، وهى كما سنرى لم تكن كبيرة .

اما عن علاقة الرها بالصليبيين فى الادور الأول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم قيام امارة الرهـا الصليبية ، حتى شـارك بلدوين البولونى بنفسـه فى الحصـار الذى فرضـه الصليبيون على انطاكية فاشـارت المصـادر اللاتينية الى انه « غادر الرهـا بعد شهرين فقط من تبنى ثوروس لـه

---

(٢٨٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام : مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث (٣٠١ — ٥٠٠هـ) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54-55,

(٢٨٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

(٢٨٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

الى انطاكيـــة (٢٨٥) » . ويؤكـد مشـــاركة بلدوين للصليبيين فى تلك المهمة ماذكرته المصـــادر الاسلامية ايضـــا من انه كان يوجـد فى انطاكية فى ذلك الوقت « الملك برديول وصنجيل وكندفرى والقمص صـــاحب الرهـــا وبيمند صـــاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقـع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للصليبيين عندئذ وكان بلدوين البولونى كما رأينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قـد أصبح (صـــاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما أصبحا عليه بعد ذلك لابحكم ما كانا عليـــه فعلا عندئذ وقت حصـــار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث ان عـــاد الى الرهـــا للاهتمام بامارتـــه الجديدة وحمايتها مما احاط بهـــا من اخطار فضلا عن الاحتفاظ للصليبيين عامـــة بركيزة أولى فى المشرق الاسلامى . ولكن بلدوين حرص فى الوقت نفســـه على الا يفقـد الارتباط بينه وبين بقيـــة الصليبيين المحـــاصرين الانطاكية فكان يتلقف أخبارهم ويتابع المصـــاعب التى واجهوها وخاصـــة فى الميرة والمؤن (٢٨٧) . ويقال أن بلـدوين أسرع بارســـال الكثير من المؤن اليهم (٢٨٨) . كما أرسل ايضـــا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول الممتازة ذات القيمة العاليـــة الى أخيه الدوق جودفرى والى روبرت فلاندر وروبرت النورماندى وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو أن تلك الهبات كانت كثيرة جـداً مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

---

(٢٨٥) Baldrici Episcopi Dolensis : Historia ... T 4, p. 81

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ٨ ص ١٨٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٠٣ .

(٢٨٧) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237-238.

(٢٨٨) Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213.

(٢٨٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنـــا يضيف (ميشو) الى قائمـــة الصـــليبيين امراء (شـــارتـرس وبلوا (Chartres, Blois ويذكر أن بلدوين نسى عن قصـــد أن يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

(٢٩٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

وفى تلك المرحلة يعطينا وليم الصورى أول صورة للانقسام بين المسلمين بسبب تباين المصالح الفردية فدب الخلاف بين رضوان امير حلب وبين حاكم مدينة عزاز (٢٩١) . واستنجد الاخير بجودفرى اخى بلدوين الذى طلب من اخيه المشاركة معه بجيشه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكان ان تم ذلك ثم عاد بلدوين الى الرها وجودفرى الى انطاكية (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملة ، قام بلدوين بدعوة اخيه جودفرى لزيارة الرها — كما سبق ان اشرنا — وكان الدافع الأول لجودفرى على الموافقة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بانطاكية بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجماعى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جودفرى معه الى الرها حاشيته وعددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرها واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر إلى اخوانهم الصليبيين فى انطاكية بعد أن افتدى عليهم بلدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان ان استولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين امارة الرها من ناحية وبيت المقدس الصليبية من ناحية اخرى

ويتبلور جزء من هذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين امير

---

(٢٩١) William : Op. Cit., V, 1, p. 301.

(٢٩٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 301.-304..

(٢٩٣) William : Ibid,- V: 1, p. 304.

(٢٩٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, William.: Op. Cit., V: 1, p. 304

(٢٩٥) Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234.

(٢٩٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304.-305.

الرهـا بوهيموند أمير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٤٩٤هـ) ويبدو أن بلدوين وبوهيموند صادفا متاعب جمة خلال رحلتهما الى المدينة المقدسـة حتى وصـلا سـالمين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفرى وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الأماكن المقدسـة فى القدس فى الوقت الذي كانت المدينـة تفوح منها رائحـة جيف المسلمين الـذين سـقطوا قتلى بحراب الصـليبيين عنـد اسـتيلائهم على بيت لمقدس (٣٠٠) .

هـذا الى أن بلدوين أمير الرها شـارك فى اختيار دايمبرت بطريركا على بيت المقـدس (٣٠١) ، وان كانت المصـادر المعاصرة لا تشير الى أن دايمبرت أعطى تفويضـا بحكم امارة الرهـا لبلدوين اسوة بالتفويض الذى حصـل عليه جودفرى وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كـل من بلـدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم توديعهما « فى فرح شامل وسعادة واشترك فى التوديـع رجـال الدين وجمهور القـادة وجودفرى نفسـه بل انهم صاحبوهم الى نهر الأردن ،

---

(٢٩٧) تذكر المصـادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت فى نوفمبر ١٠٩٩م وكـان الوصـول الى بيـت المقـدس فى مـارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
Gesta Tancrédi : Op. Cit., T. 3, p. 704.
أما المراجع الأفرنجيـة الحديثـة فتشير الى أن تلك الزيـارة كانت فى ديسمبر ١٠٩٩م .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261, Zoé : p 177.
والراجح هو ما ذكرته المصـادر اللاتينية ، خاصـة وان المؤرخ فولشر كان مصـاحبا لبلدوين فى تلك الرحلة .

(٢٩٨) Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366.
(٢٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 178.
(٣٠٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
(٣٠١) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512.
(٣٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

وهناك اغتسلوا جميعا فى النهر لينتعشوا ! ثم افترقوا (٣٠٣) » . وبذلك عاد بلدوين الى الرهـا وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣٠٤) .

ثم كان ما سبق أن ذكرناه من وفاة جودفرى حـاكم بيت المقـدس ، وحلول اخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينـة المقدسـة باسم الملك .

ومن الطبيعى أن تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقـدس فى عهد ملكها بلدوين الأول وبين امارة الرهـا بحكم ما بين بلدوين والرهـا من علاقات سـابقة ، وتتضـح هـذه العلاقة عندما اسر امير الرها بلدوين دى بورج اذ يقال ان جكرمش أرسـل الى تنكريد يعرض عليـه اطلاق سراح الأمير بلدوين مقابل اطلاق سراح اميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو ان يدفـع مقابل اطلاق سراحها خمسـة عشر الف بيزانت (٣٠٥) . هنا اسرع ملك القـدس بلدوين الأول بالكتابة الى بوهيموند أن يسـلم الأميرة ولا يفوت فرصـة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان يفضـل ان يظل الأمير بلدوين فى الحبس (٣٠٦) ؛ وسوف نتناول موقف انطاكية بالتفصيل من هـذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرهـا .

وعندما أطلق سراح بلدوين ـ كما سبق أن أوضحنا ـ واحتدم النزاع بين الرهـا وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطـاق النفوذ الانطـاعى لملك بيت المقـدس وانما كانت الرهـا هى التى تتبعه فقط « لذا احضر تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى ولم يقف الأمر فقط عند حـد اعلانه الولاء لملك القـدس ، بل اجبر على الركوع أمامه (٣٠٧) » . وبفضل تدخل الملك

---

(٣٠٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512.

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٣٠٥) Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. كانت تلك الأميرة قـد اسرها تنكريد أثنـاء تتبعـه لجكرمش عند حصـار الأخير للرهـا بعـد حران .
(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

(٣٠٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣٠٧) Zoé : Op. Cit., p. 241.

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرهـا من ناحيـة وبين طراطس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . اما عن الرهـا « فقد حصل الملك من تنكريد على تنـازل بدون مقابل عن كل ما وضـع يـده عليـه من امارة الرهـا (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) وهددهـا الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خـاف بلدوين دي بورج من تكتل القوى الاسـلامية وفي المشرق ضـده واسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الاول، فارسل اليه جوسلين دي كورتناي ليطلب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكـان الملك بلدوين في ذلك الوقت يحاصر بيروت كمـا مر بنا . فلم يستطع أن يتوجـه الى الرهـا الا بعد انتهاء حصـار بيروت وخاصـة وان المدينة كانت عندئذ على وشـك السقوط (٣١١) . وبعـد ان تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وجيشـه الى بيت المقـدس (٣١٢) .

---

(٣٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٩) Cahen : Ibid., p. 251.

اما (سيتون) فيذكر ان ذلك كان في مقابل ممتلكات اخرى فقد قال « انه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول انه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه في الرها وان يعترف باعادة بلدوين دي بورج قريب الملك اليها. وفي مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاعات طبريـة ، الناصرية وحيفا واصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

(٣١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. Cit., p. 147,

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٦ ـ ٥٧ (عن صالح بن يحى : تاريخ بيروت)

(٣١٢) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : Historiae Liber XI,. T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضع الرها (٣١٣) ، ويطلب منهم المساعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمع قواته وانضمت اليها قوات طرابلس وتوجه مع جوسلين الى الرها وبصحبتهم بعض القوات الأرمينية (٣١٥) . وكان ذلك فى بداية يونية (٣١٦) . أو فى منتصف مايو (٣١٧) .

والواقع ان الملك بلدوين استطاع ان يجمع جيشا ضخما بلغ عدده حوالى خمسة عشر الفا (٣١٨) ، ولم يلبث أن انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجى (٣١٩) . بعد أن ارسل اليه الملك يدعوه أن يتصل ببقية الفرنج وتصفية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولعل هذا ما دفع بعض المؤرخين الى القول « بأن سنة ١١١٠م شهدت وحدة صليبية بين امارتهم فى الشام (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى راسها الملك بلدوين وقد أتت لنجدته(٣٢٢) . وقد سبق ان ذكرنا

---

(٣١٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٣١٤) Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671, سياتى التفصيل فى الملاحق

(٣١٥) Mattiue : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert), سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٧ Cahen. : p. 257, Archer : p. 148

(٣١٦) Cahen : Ibid., p. 257.

(٣١٧) Setton : Op, Cit., V. 1, p. 399.

(٣١٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert), L Epopée, p. 87.

(٣١٩) Fulcherii : Op. Cit., T. 3; p. 421, Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.

(٣٢٠) Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399,

(٣٢١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٣٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert), L'Epopée, p. 87.

احداث تلك الحملة عند كلامنا عن العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الاشارة اليه هنا هو ان ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية عن الرها حتى جاءته بعض الأخبار بان الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة الى القدس (٣٢٣) .

وفى سنة ١١١٣م (٥٠٧هـ) مر بنا كيف وقع الخلاف بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى وطرد الأخير من الرها وتوجه الى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل لبستفيد من خبراته العسكرية فى محاربة المسلمين .

وكانت اول تجربة مر بها جوسلين وهو فى القدس هى موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧هـ) (٣٢٤) . (١١١٣م) بين الفرنج والمسلمين وهى الموقعة التى ذكر ابن الفرات ان الجيش الفرنجى فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس ومعه جوسلين فضلا عن امير انطاكية روجر (٣٢٥) . وفى تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « واسر ملكهم بغدوين واخذ سلاحه لكنه افلت من الاسر وغرق من الفرنج خلق كثير فى بحيرة طبرية واختلط الدم بالماء حتى امتنع الناس من شرب الماء ايام (٣٢٦) » . وتؤيد بعض المصادر الاسلامية الأخرى (٣٢٧) . رأى ابن الفرات فى ان بلدوين دى بورج لم يشارك فى تلك المعركة ، وربما شغلته امور امارته واخطار الترك المتحفزين للانقضاض عليها واخذها ، عن المشاركة فى ذلك . ويخرج عن هذا الراى اسامة

---

(٣٢٣) Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 453, سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٨

(٣٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٦٧ (أ) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ اما ابن خلدون فيخطىء فى ذكر التاريخ حيث يقول ان ذلك كان فى منتصف المحرم ٥١٠هـ .

(٣٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (أ) (سروحال) .

(٣٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٦٧ (ب) ، ٦٨ (أ) .

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده ينفرد بالقول بأن حاكم الرها شارك فى تلك المعركة (٣٢٨) . ومن الواضح أن أسامة أخطأ فى اعتبار جوسلين حاكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقب الأحداث ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرها بفضل موقف جوسلين دى كورتناى الذى تولى حكم الرها . ويعلق جروسية على وضع الرها وعلاقتها ببيت المقدس فى تلك المرحلة فيقول : « كانت امارة الرها فى أول الأمر مستقلة تماما عن القدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس عندما أصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثانى (دى بورج) ملكا على بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازى لمهاجمة الفرنج فى زردنا ، فاجتمع الملك بلدوين مع جوسلين أمير الرها وبعض البارزين من أمراء انطاكية لصده ، على أنه لم يحدث اشتباك مع المسلمين عندئذ بسبب مرض ايلغازى وحمله الى حلب حيث توفى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين فى أسر بلك الأرتقى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) . (٥١٦هـ) خدت امارة الرها فى وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضعها تحت قيادة حامية بامرة جيوفرى الراهب ، حاكم مرعش حتى يتكشف أمر جوسلين . وهكذا أدت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفرى الراهب الى المحافظة على امارة الرها ، وقام الملك بعدة اجراءات ادارية وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سليمان بن عبد الجبار حاكم حلب فى ٩ ابريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو أن الملك بلدوين الثانى تحمل عبئا جسيما فى ذلك الوقت بسبب الأوضاع الصليبية العامة التى غدا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

---

(٣٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .

(٣٢٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.

(٣٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

(٣٣١) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540.

(٣٣٢) Setton : Op. Cit., V .1, p. 419.

انطاكية قبل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها احاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين فى وقت واحد على الرها وانطاكية (٣٣٣).

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه — كما مر بنا — ١١٢٣م . وذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه لرفع حصار بلك عن قلعة كركر (٣٣٤) . فى حين ذكر البعض الآخر انه توجه ضد بلك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصورى فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله فى بلاد جوسلين للاطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى أن يقدم بعض العون لاولئك الناس الذين حرموا من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصى الأحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاه والامدادات الوافرة من الأسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه بلك فجأة في غفلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هى انطاكية والرها وبيت المقدس من حماتها الذابين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد رأينا كيف بذل الارمن سواء فى داخل خرتبرت او خارجها أو من اهل الرها نفسها اقصى ما فى وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذى اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « منقلا بالمهمة التى عهدت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة فى الرها مدة طويلة (٣٣٩)

---

(٣٣٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥١١ .
(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٣١٣
(٣٣٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872 عن (L'Anonyme)
(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 133.
(٣٣٧) William : Op. Cit., V. p. 540.
(٣٣٨) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .
(٣٣٩) William : Ibid., p. 544
Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فاتجه وفقا لنصيحة البطريرك برنارد الى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح البطريرك ولامراء المملكة ظروف الكارثة التى لحقت بالملك وروى كل التفاصيل الخاصة بالحادث ورجاهم أن يرسلوا نجدة فى الحال لان وضع الملك محفوف بالمخاطر ، لا يسمح باى تباطىء (٣٤١) » .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهالى المملكة كرجل واحد وحملوا صليب الصابوت معهم ، وبدأوا الرحيل فى الحال ثم انهم حملوا من المدن التى مروا بها على تعزيزات مما زاد من اعدادهم حتى وصلوا الى انطاكية وهناك انضمت اليهم جموع غفيرة وساروا تحت قيادة جوسلين الى تل باشر (٣٤٢) » .

أما عن الملك بلدوين الثانى فقد ظل فى حبس بلك بحران حتى توفى بلك فى موقعة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجميع الى حلب (٣٤٣) ، التى كان يحكمها آنذاك تمرتاش بن ايلغارى . ومع ذلك لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من أجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك أنه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثانى من ناحية وبين تمرتاش من ناحية اخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

---

(٣٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤١) William : Ibid, p. 545.
وهنا يذكر جروسيه أن بطريرك القدس فى ذلك الوقت كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592)
وكان القائم بالوصاية على القدس هو الكنستابل ايو ستاس جزنية
Cahen : Op. Cit., p. 298.

(٣٤٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

على أن يقدموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمسة عشر شخصا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى بعد أن دفع عشرين ألف دينار (٣٤٥) . ويعلق متى الرهاوى على اطلاق سراح الملك بان الفضل فيه يرجع الى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقد برزت جهود الملك بلدوين الثانى فى مساعدة امارة الرها بعد اطلاق سراحه عندما حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها ١١٢٥م — ٥١٩هـ وقد أوضح متى الرهاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) . وفى ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرسقى الأتراب متوجه للاقتاله ملك بيت المقدس وجوسلين دى كورتناى ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا فى علاقة الرها بحلب .

والواقع أن امارة الرها شاركت بمجهودات واسعة فى مساعدة التوسع الفرنجى الذى قاده ملك القدس ١١٢٦م على حساب المسلمين وخاصة على حساب اتابكة دمشق (٣٤٨) .

وفى ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت القدس بين كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى أمير أنطاكية والذى خلفا نشبا بينهما (٣٤٩) ، كما سنرى بعد ذلك . وفى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) ، توفى طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بورى الذى نكل بالباطنية فى دمشق ، لذا خشى الباطنية فى بانياس على أنفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

---

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثانى Mattieu : Ibid, p. 139. (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423).

(٣٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٣٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 140.

(٣٤٧) Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144.

(٣٤٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426.

(٣٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

(٣٥١) Cahen : Op. Cit., p. 348.

فى نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقاليم المحيطة بها (٣٥٢) . وكان ان ارسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة للمساعدة فى الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم عدد كبير « من الرفاق من الرجال النبلاء الى المملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء القادمين شارك كبار امراء الصليبيين فى الشرق فى القيام بتلك المهمة وعلى راسهم « فولك امير انجو وبونز Pons امير طرابلس ويوهيموند الثانى امير انطاكية وجوسلين الاول امير الرها (٣٥٤) » .

وقد وصلتهم الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها امير وتقدم الجميع نحو دمشق فى دسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣هـ) ولكن باءت المحاولة بالفشل لسببين اوضحهما وليم الصورى : الاول انشغال كل فريق بالحصول على غنائم لنفسه فقد عمدت الجيوش « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان تطالب شيئا مما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو ما شجع بورى حاكم دمشق (٣٥٧) ، على ان يدبر هجوما مفاجأ ضدهم وهم متفرقون على هذا النحو (١٥٨ :

والسبب الثانى للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالحة المسلمين فقد هبت عاصفة شديدة ممطرة مصحوبة بالضباب على الصليبيين (٣٥٩) .

---

(٣٥٢) Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 40.

(٣٥٤) William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 41.

(٣٥٧) هنا اخطأ وليم الصورى فاشار اليه بانه (طغتكين) .

(٣٥٨) William : Ibid., V. 2, p. 41.

(٣٥٩) William : Ibid., p.p. 41-42.

ثم حدث فى أواخر أيام الملك بلدوين الثانى أن توفى بوهيموند الثانى امير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . — كما سنرى — وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه ان تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعى فى الحكم ولكن بلدوين اسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الأول بأن يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها اميرا لانطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين فى الأمير جوسلين . واخيرا توفى بلدوين الثانى ملك القدس فى ٣١ اغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله فى ١٤ سبتمبر فولك الأنجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التى كان قد تزوجها فى ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع أن عهد الملك بلدوين الثانى يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها فى غالبية الظروف عندما تهدد الامارة باى خطر خارجى يهدد مصالحها ، وبالتالى مصالح الصليبيين عامة ، لأنها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرقى الواقى للامارات الصليبية عامة .

أما عن خليفة بلدوين الثانى على عرش القدس ، فانه لم يستطع فى غالبية الأحيان أن يفرض سلطانه على امراء الشمال — نعنى اميرى الرها وانطاكية — ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤هـ/١١٤٠م ان حلت الهزيمة بالملك فولك امام زنكى وطلب الملك نجدة امير الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدته (٣٦٥) . وفى ١١٤٤م (٥٣٩هـ) عندما حاصر زنكى الرها

---

(٣٦٠) Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

(٣٦١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٣٦٢) G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٣٦٣) G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4-5.

(٣٦٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٣٦٥) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثانى يستنجد بملكة بيت المقدس ارسلت الملكة ميلزاند جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين فى تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متاخرا جدا (٣٦٧) . وسوف نتناول موقف القدس بالتفصيل عند دراسة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرها .

والواقع ان علاقات الرها بالقدس كان يغلب عليها باستمرار الطابع الودى .

اما عن علاقة الرها بانطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها فى الشمال ، فانها اتصفت بالعداء وسوء التفاهم بعكس العلاقة بين الرها والقدس ، التى اتسمت غالبا بطابع الود والتحالف كما رأينا .

وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرها وانطاكية ؛ يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقد افاضت المصادر اللاتينية والافرنجية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريد ابن اخت بوهيموند امير انطاكية الأول من ناحية اخرى امام طرسوس ثم امام المصيصة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) عند مجيء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالاشارة الى ذلك بايجاز لانه وان كانت خارجة عن نطاق العلاقات بعد تاسيس الامارات ، ولكن كان لها فى نفس الوقت تأثيرها بعد ذلك .

اما عن الخلاف امام طرسوس فقد كان ذلك مبكرا فى سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى فى الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة ، وبذلك كان الأول فى الوصول الى قيلقية (٣٦٩) » . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكان فاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

---

(٣٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٣٦٧) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236.

(٣٦٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 126.

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ط۱ ص ١٧٩
William : V. 1, p. 178,

(٣٧٠) William : Ibid., V. 1, p. 180.

على المكـــان تضـــايق وطلب بقاسية تنكريـــد فى المدينـــة فرفض قائلا : «انى أرفض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعـــد جدل طويل بينهما أمر بلدوين على رأيه فاشـــار عليه تنكريد بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالقصل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن بلدوين عددهم « أن لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا عليـــه بدلا منه فسوف يســـلم المدينـــة وكل الضواحى المجاورة للتـــدمير (٣٧٣) » . لذا خشى الاهالى لأن جيش بلدوين كان الاكثر عـــددا (٣٧٤) . فرفـــع علم بلدوين مكـــان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشـــاعره وانسحب خوفا من قيـــام شـــقاق بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة أذنة (٣٧٥) » .

وبعـــد رحيل تنكريد أمر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينـــة أمـــام جنـــده ليدخلوها ، مستخدما فى ذلك مزيجـــا من التهديد والانذار ، ففتحوا الأبواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، وتخلوا له عن برجين وضعوهما تحت تصرفه فى حين احتفظ الاتراك الذين كانوا لا يزالون بالمدينـــة بملكية الأبراج الأخرى (٣٧٦) .

وفى نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد أرسل قوة من ثلثمائة نورماندى

---

(٣٧١) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ص ٤٥ هنا يذكر المؤلف المجهول أن الاهالى Harold Lamb : p. 127,
تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين بقوله «لتدخل المدينـــة بما وننهبها وليقم على حراستها من يصيب النصيب الا وفى وليحتلها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد« ما أبغض هـــذا المسلك الى نفسى وابتعدها عنه اننى لا أريد أن اسلب النصـــارى ولقد اختـــارنى رجال هـــذه المدينـــة أميرا عليهم وهم لا يريدون سواى أميرا .

(٣٧٢) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .

(٣٧٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 180.

(٣٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, المؤلف المجهول المصدر الســـابق نفس الصفحة .

(٣٧٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 182.

لمساعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلدوين السماح لهم بالدخول للمدينة فرفض واضطروا للمبيت خارج اسوار المدينة (٣٧٧) . « وفى سكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينة خلسة فى هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم واطفالهم وعبيدهم واماءهم وكل ما يملكون . فقد كانوا لا يستطيعون الشعور بالاطمئنان فى ديارهم مع الضيوف الذين وفدوا عليهم (٣٧٨) » . وفى اليوم التالى قام الفرنج فوجدوا المدينة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العدو الصامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحة احد فيها الاتراك الراحلون فى الجيش المسيحى النورماندى الذى رفض بلدوين ادخاله الى المدينة فى اليوم السابق (٣٨٠) .

والواقع ان هذا الحادث ألب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليه قتل رفاقهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والنقد حتى من اتباعه انفسهم(٣٨٢) بل لقد افتقدته الاعتبار لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحال نوعا ما الا بعد ان « اقسم بلدوين أن السبب الوحيد الذى منعه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصا بعدم السماح بدخول أى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفرى) وهكذا هدأ الناس وتم الصلح »(٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصيصة التى كان قد سبقه اليها ايضا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

---

(٣٧٧) William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٩) William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٨٠) مؤلف مجهول اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ عن William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 (Albert),, Setton : Op. Cit., p. 300.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

٣٨٣) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

ان يرد من نفس الزاوية المعاملة الشريرة التى تلقاها (٣٨٥) ؛ لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير واخذ بعض الأسرى من كلا الجانبين ، وفى اليوم التالى هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين وعاد السلم(٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلى وهناك وبخه اخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك اتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها(٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تأسيس الامارات الصليبية . يمكن أن نستشف بعض الرواسب التى اثرت فيما بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف فى صف تنكريد وتمتدح جانبه فى حين اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحب الذات .

ثم كان أن قامت امارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند(٣٨٩) امير انطاكية ووقع فى قبضة بنى دانشمند كما سبق ان اشرنا . ويهمنا هنا ان نتناول موقف أمير الرها من بنى دانشمند والى اى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

---

(٣٨٥) Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid., T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

(٣٨٦) William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٧) Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تارنت . كان بوهيموند أميرا لأنطاكية من ١٠٩٨م . وتوفى فى كانوادى بوجليا Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقـــال أن بلدوين عرف بالحـــادث « عن طريق بعض الفـــاريين الذين وصفوا له تلك الكارثة »(٣٩٠) أو أن بوهيموند نفسه هو الذى استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعـــاطف مع الأمير كما لو كان اخـــا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقـــوة » (٣٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه وبكى على ما آل اليه أمره (٣٩٣) » لذا تقـــدم بســـرعـــة لنجـــدته (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشـــاه المختارين واربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند(٣٩٥)» كما ضم اليـــه جمـــاعة من رجـــال انطاكية لمســـاعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يســـتطع تقـــديم اى عـــونٍ لبوهيموند بعـــد ان اخذه بنـــو دانشمند وانسحبوا ، وبعد أن تعقبهم بلدوين ومن معـــه لمدة ثلاثة أيـــام بدون جـــدوى عـــاد الي ملطيـــة فخضعت له ثم عـــاد الى الرهـــا . امـــا اهـــالى انطاكيـــة فقـــد تملكهم الغضب الشـــديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفى ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان أخيه جودفرى الذى ماتقبل فترة قصيرة،اتجه اولا الى انطاكية

---

(٣٩٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.

(٣٩١) Fulcherii : Op. Cit... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 525.

(٣٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٣) Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552.

(٣٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525

(٣٩٦) Gest.a Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud Op. Cit., V .1, p. 52.

(٣٩٧) Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368.

حيث استقبل استقبالا حافلا من اهلها . وبعد ان استراح فيها ثلاثة ايام استانف رحلته الى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث فى يناير ١١٠١م (٣٩٤هـ) ان خرج بلدوين دى بورج الى سروج لحمايتها من سقمان الارتقى فحلت به الهزيمة فى اول الأمر ، واضطر الى الفرار الى الرها ومنها اسرع لطلب المعونة من انطاكية(٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم الى سروج .

وفى ١١٠٢م (٤٩٦هـ) اشتركت جيوش الرها وانطاكية فى القيام ببعض الهجمات على المسلمين فى شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض اهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع اخذوها (٤٠١) » ثم توجهوا الى حلب واقاموا بالبلد عدة ايام وبعد التفاوض مع رضوان اميرها استقر الحال على ان يدفع لهم مبلغا من المال وبعض الخيول ويطلقون الاسرى المسلمين الموجودين عندهم(٤٠٢).

وفى ١١٠٣م — ٤٩٧هـ اطلق سراح بوهيموند بعد ان ساهم بلدوين دى بورج فى فديته(٤٠٣) وبعد اطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفا هجوميا ضد مسلمى حلب وفرض ضريبة على اميرها (٤٠٤) .

---

(٣٩٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 527.

(٣٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها احد عشر كيلوا مترا (ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٣ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212, Harold Lamb : p. 249.

(٤٠٤) Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١٠٤٤م (٤٩٧هـ) التى شـــارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) . كما شـــارك فيـــها بطريرك انطاكية اللاتينى برنارد دى نالنس (٤٠٦) . ومر بنـــا كيف ادى شك بلدوين فى الانطاكيين الى عدم تسليمه مفاتيح حران من اعلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايهما يرفع علمه اولا على المدينة (٤٠٨)، مما ادى الى هزيمتهم بعـــد ذلك والواقع انه اذا كان يفهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام عن موقعة حران ـــ ان الجيش الانطاكى لم يحارب فى تلك المعركة اطلاقـــا(٤٠٩) . فان المصـــادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعـــلى للانطـــاكيين فى تلك المعركة (٤١٠) . امـــا (كاهـــين) فيعتبر نجـــاح الانطاكيين غير كامل فى تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هـــذا الاختـــلاف فى مدى مشـــاركة الانطاكيين ، أن المعسكر الانطاكى لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد اسر بلدوين دى بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرهـــا اختار الاهالى تنكريد وصيا على الرهـــا الذى سد عنها هجوم

---

(٤٠٥) Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit., p. 71,

ابن القلانسى : الذيل ص ١٤٣ ؛ سـبط بن الجوزى : مرآة الزمـــان ، جـ ٨ ق ١ ص ٩ .

(٤٠٦) Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 من (Albert), Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.

(٤٠٧) Michel : Op. Cit., p. 195.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٤٠٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ٢٢١ ـــ ٢٢٢ .

(٤١٠) Gesta Tancredi : Op. Cit.... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.

(٤١١) Cahen : Op. Cit., p. 238.

(٤١٢) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

جكرمش ١١٠٤م — (٤٩٧هـ) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع انه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بانه مستعد ان يطلقه فى مقابل اطلاق تنكريد لأميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، او ان يدفع لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الأميره(٤١٣) . وبالرغم من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد الا يفوتا تلك الفرصة لأطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين سوف تقصى تنكريد بعيدا عن وصايته على الرها ، ويعود خائبى الوفاض . لذا اجابا بانه ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة المتلهفين على الموافقة على العرض لأن ذلك من شانه ان يجعل جكرمش يرفع الثمن إذا ترددوا ولكن فى نفس الوقت فانهما ربتا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى بلدوين فى الأسر (٤١٤) فقد كانت الرها « ممر عظيم جدا وذو اهمية تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط ان يكونا تابعين لامارة انطاكية فرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والاتراك من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية اخرى (٤١٧) . اما تنكريد

---

(٤١٣) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619.

(٤١٤) Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 248. نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

(٤١٥) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(٤١٦) Mattieu : Op. Cit, p. 86.

(٤١٧) Mattieu : Op. Cit,. p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op Cit., p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقد استدعى لمؤازرته رضوان حاكم حلب ، وأمير قلعة جعبر(٤١٨). وقامت بين الامارتين حرب طاحنة « كان جوسلين فيها — على وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعته كانت تقع فى ذلك الجانب من الفرات وكان بذلك قريبا من أراضى انطاكية(٤١٩) »

ولما كانت هذه الحرب تعتبر نوعا من الانقسام بين الفرنج وكانت تهدد الوجود الصليبى فى شمال الشام لذا تدخل كبار الشخصيات الصليبية(٤٢٠) ، الى جانب بطريرك انطاكية برنارد وتمكنوا من فض النزاع (٤٢١) . وعادت الرها الى أميرها الشرعى (٤٢٢) .

وما كاد أمير الرها يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جاولى ورضوان واستنجد جاولى ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد بين الامارتين . والواقع اننا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة الرها بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨م) ولكن ما نود أن نضيفه هنا هو ما ذكره ابن الفرات وأكده فولشر من أن المعركة بين الرها وانطاكية كانت حوالى ثلاثة اشتباكات متقالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حدث اصطدام بين

---

(٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.
كان أمير قلعة جعبر فى ذلك الوقت شمس الدولة سالم بن مالك بن بدران ٤٧٩ — ٥١٩هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الأنساب،جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٤٢١) ابن الأثير : الكامل،جـ ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط، جـ ١ ص ٢٣ (أ) ،
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p 438.

(٤٢٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٤ ؛ ابن الفرات مخطوط ، جـ ١ ص ٢٣ (أ) .

(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

الرهـا وانطاكية : الأول اثير بسبب تشدد تنكريد فى عدم ارجـاع الرها لبلدوين والثـانى بسبب استنجاد رضوان بتنكريد ضـد جاولى وبالتالى استنجاد جاولى ببلدوين ضـد رضوان .

ولم يمر عـام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السـلجوقى فى سياسـة الجهاد ضـد الفرنج كما مر بنـا . وهنا نجـد رايا ينفرد به منى

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦(ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثنـاء القتال بين الصفين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحـادثا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعـلم ان هـذه عـادة القوم وان العـدو يجتمع بعـدوه ويحادثه ويقرر حـاله » فخشى ان يكون الأميران الصليبيان قد اصطلحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفـان الى شىء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنـا راى جوسـلين ان الأمير جـاولى قـد اعتزل من العسـكر فوصـل اليه وقـال له : « يا مولاى هذا زينا فلا تظن غير هـذا فلم يجبـه الى قولـه وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الأولى من اشـد حملاتهم . وفى الحملـة الثانيـة « كـان جوسـلين لا يقصـد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فتطاعنا وتضـاربا بالسيوف وابلى كل واحد منهما ثم استل كل منهما رمحـا وتطاعنا فسبقت طعنـة طنكريد الى جوسلين فقنطره عن ظهر فرسـه وحمل صـاحب مرعش على طنكريد بطعنة فصرعه ايضا وظن ان جوسـلين قد قتـل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما راى اصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن فمنعته امه من الدخول وقالت « الى اين ليتنى لم اكن رزقتك » . فقـال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتأكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعـل ذهبت لتنكريد وسـألته هل قاتله ابنها حق قتـال ، فقـال لها « والله ما انهزم ولكن سـقط على الأرض كرهـا وانهزم عنـه اصحابه وقـد ضربنى فى الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » واكد كلام تنكريد جماعة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى اراد أن يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحقد ضده — ربما لهزيمة العام السابق — ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحى وهو الاستنجاد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك ويذكر « أن الأمير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك اسرع بلدوين فى ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين اثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لدحض النص السابق وتأييد القول بأن الحملة أرسلت أصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها فى بادىء الأمر لأن بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك — أى الصاق كل أمير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . لذلك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنجدته ، هى شكواه من « تنكريد عدوه المحرك للغزو التركى(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان أمير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تعهداته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الأول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

---

(٤٢٤) Mattieu : Op. Cit., p 91.

(٤٢٥) Mattieu : Ibid., p. 91.

(٤٢٦) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٦ عن (البرت).

(٤٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٤٢٨) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Ibid., p. 459.

(٤٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

شـكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقـد تردد تنكريد وقـوانه فى المشـاركة مع الصليبيين ضـد تلك الحملة التركية ، ولكنه عـاد وادرك ان عـدم تعـاونه مع اخـوانه الصليبيين فى حربهم ضـد الأتراك يسيء الى سمعته فى الحيط الصليبى بل يعتبر خيـانة فى حقهم ، لذا سـار بقـوة تقـدر بحوالى الف وخمسمائة فـارس الى الرهـا ، حيث اسـتقبل من الملك استقبالا وديـا (٤٣١) وبعـد ذلك سـاله عن سبب موقفه العـدائى من امير الرهـا فأجاب بان الرها كانت منذ عهد بعيد — ايـام الحـكم البيزنطى او التركى — ضمن نفوذ انطاكية(٤٣٢) عنـدئذ رد الملك على تنكريد قـائلا : « اخى تنكريد ان ما تطلبـه غير صحيح . انك تستند على وضع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب أن تعلم اننـا عندما رحلنا من اجـل الحـرب المقدسـة ، كان معروفـا ان ما سينتزعه كل منـا من المسـلمين سيؤول اليه .. لذا قاتلنا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احتك على صلح صـادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التآمر مع الأتراك فلن تستطيع البقـاء بيننـا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وامـام هذا الشعور العـام الذى تلى الخطبة الملكية اضـطر تنكريد للخضوع(٤٣٤)وتخلى عن مشاعر الكره والحسد(٤٣٥)أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضـغط الظروف المحيطة به فى ذلك الوقت — هنـا يجب ان نستعيد الى ذاكرتنا ما حـدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

---

(٤٣٠) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٤٣١) Alberti : Ibid., p. 672, Grousser : Ibid., p. 452, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson)

(٤٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.
هنـا يذكر البزت ان تنكريد كـان يرغب فى الحصـول على ضريبة سنوية على الرهـا .
(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Epopée, p. 88 عن (Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) Grousset : Op. Cit, V. 1, p. 453

(٤٣٥) Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلدوين وكيف رجحت كفة بلدوين ايضا ـ وفى المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين بعد ذلك نجد رايين احدهما يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب الى سميساط لأنه علم ان مؤامرة تدبر ضده هو وجماعته (٤٣٦) . والراى الثانى يشير الى انه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجى المتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندى بالانسحاب(٤٣٧).

وفى ١١١١م (٥٠٥هـ) كانت حملة مودود الثانية كما رأينا على الرها وهى التى توجهت الى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى اغلق رضوان ابواب البلد فى وجه الجيش التركى مدعيا أنه انهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هذا الجيش الى انطاكية وتوقف فى شيزر فما كان من تنكريد الا ان جمع حوله كل الفرنج فلحق به الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس وبرترام امير طرابلس وبلدوين دى بورج امير الرها(٤٣٨). واجتمعوا عند افامية أو قمامية (٤٣٩) وتقابل الفريقان بعد ذلك عند شيزر ولكن لم تحدث معركة وانسحب الجانبان كل الى بلاده(٤٤٠) . هكذا فشلت حملة مودود ١١١١م فى كل خطواتها لأن المسلمين كانوا مفتقرين الى وحدة تنظم صفوفهم فى الوقت الذى اتحد فيه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشام الى جنوب فلسطين تحت رعاية بلدوين الأول ملك بيت المقدس (٤٤١) . تلك الوحدة التى أكد (برويه) وجودها فى سنتى ١١١٠م ـ ١١١١م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلدوين الأول(٤٤٢) .

---

(٤٣٦) Mattieu : Op.Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Mattieu).

(٤٣٧) Zoé : Op. Cit, p. 242.

(٤٣٨) Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Setton) Grousset : d., p. 90.

(٤٤٠) Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ٤٦٥ عن (Ru man)

(٤٤٢) J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

وفى ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفى تنكريد أمير انطاكيا (٤٤٣) . فحل محله فى حكم امـارة انطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد(٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرهـا فترة ، اثناء اسر بلدوين دى بورج كوصى عليها من قبـل تنكريد .

ويبدو انـه قبل وفـاة تنكريد وبالتقريب فى الفترة ما بين ١١١٠م — ١١١٢م (٥٠٤ — ٥٠٦هـ) أيدت الرهـا جـانب انطاكية ضـد بيزنطـة مثلها فى ذلك مثل القـدس التى أيدت هى الأخرى انطاكية . وقـد عثرنا على نص ذكرته (آنا كومنينا) وتشير الى أن الأمبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مـع ملك بيت المقـدس ضد تنكريد ويدفع له الأمبراطور مبلغـا من المـال فى مقابل ذلك فرفض الملك ، لـذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القـدس للعبادة فى كنيسـة القيامة . فكان جوابه مشـابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجح ان تلك السـفارة ذهبت الى القـدس قبـل أن يطرد جوسلين من الرهـا وان جوسـلين فى ذلك الوقت كان يمثل التـابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفى عهد روجر تم ارتباط ودى من طريق الزواج بين امارة الرهـا وامـارة انطاكيـة ، فقـد تـزوج روجر من أخت بلـدوين دى بـورج نفسـه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٣م لأن وليم الصورى يذكر انه « فى ١١١٣م ارسـل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشـارد حاكم انطاكية ، الذى كان قـد تزوج احـدى اخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

---

(٤٤٣) Grousset : L'Epopée, p. 91.

(٤٤٤) Grousset : Hist. des Croix., V. 1, p. 482, Cahen : Op. Cit., p. 273,
يسميه ابن الأثير (روجيل) ابن الأثير الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢

(٤٤٥) Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367.
سيأتى النص كاملا فى الملاحق .

(٤٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246,
Grousset : L'Epopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 498.

ويعبر عن تلك العلاقات الوديـــة المتينـــة فى ذلك الـــدور ، ما ذكره جروسية من انه « عندما اصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت امارة انطاكية بكل تاييد الملكة الفرنجية (٤٤٨) » .

وفى ١١١٥م (٥٠٩هـ) كانت حملـة البرسقى على انطاكيـة والتى مر فيها بالرهـا (٤٤٩) ثم توجه الى انطاكية وفى نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٤٥٠) . وكـان ان استنجد الامير روجر بالملك بلدوين ملك القـدس وبلـدوين امير الرهـا (٤٥١) ، هـذا الى جـانب بونز امير طرابلس (٤٥٢) . وكان بلـدوين امير الرهـا « فى الطليعة بفرقتـه العسكرية وحالمـا وقع نظره على العدو ، حتى اندفـع عليهم غير مروع باعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضـار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الاخرى مثاله فقذفوا بانفسهم بروح مشـابهة ضـد قلب قوات العـدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٤٥٣) » . ويقال ان لؤلؤ (٤٥٤) ، اخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغتـه روجر وبعـد ان كـان متفوقـا فى البداية اضطر للهرب (٤٥٥) .

وفى بداية عهد جوسـلين دى كورتناى كامير للرهـا غزا ايلغـازى الاقليم المحيط بانطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشـق ودبيس امير الحلة العربى السـابق الذكر . عندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين ـ اخو زوجته ـ وبجوسـلين امير الرهـا وبونز امير طرابلس « وتضرع اليهم بالحاح وعجلة الا يتاخروا فى المجىء لمساعدته فى الهجوم الطارىء (٤٥٦) » .

---

(٤٤٨) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(٤٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.

(٤٥١) Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188, William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٤٥٢) Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

(٤٥٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 504.

(٤٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على ألب ارسلان بن رضوان حاكم حلب .

(٤٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 274.

(٤٥٦) William— : Op. Cit., V. 1, p. 528.

فخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لايلغازى (٤٥٧) . ومعنى ذلك انه فى عهد جوسلين الأول استمرت العلاقات قوية بين الرها وانطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتى سبق أن ذكرنا أنه تلقى عزاز مهرا لها (٤٥٨) . فى حين اشار رأى آخر انها كانت ابنه روجر نفسه وأن ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٤٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) أن حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير فى المعركة (٤٦٠).

والواقع انه بعد ذلك الدور بدأت العلاقات الرهوية الأنطاكية تدخل فى صراع مكشوف أكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ — ١١١٠م (٥٠٢هـ — ٥٠٤هـ) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كأحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مشار اليها فى علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الأول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٤٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٤٦٢) . (Bohenmond II).
تزوج بوهيموند هذا الأميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٤٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠هـ قتل البرسقى (٤٦٤) .

---

(٤٥٧) William : Ibid., p. 528.
(٤٥٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418.
(٤٥٩) Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriaque)
(٤٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24.
(٤٦١) Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
وكان وصول بوهيموند الثانى إلى بلاد الشام فى (١٨ رمضان ٥٢٠هـ) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .
(٤٦٢) Schlumberger : Op. Cit. p. 32.
وهو ابن بوهيموند الأول وكستانس (Constance)
(٤٦٣) Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist: Hist. des Crois. V. 1, p. 651.
(٤٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد أدى ذلك الى قيام فوضى بحلب فانتهزها كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والأنطاكى عداء علنى (٤٦٦) . وهنا يذكر وليم الصورى « أن لسباب هذا العداء الخطير بين بوهيموند الثانى وجوسلين الأكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح أن سبب ذلك هو أن جوسلين كان يأمل أن يعتلى عرش القدس بعد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد أن « صونع بمال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى أنطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار وليم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك واقام اسسا سابقة معيبة لاعقابه وبمساعدتهم انتقم من أراضى أنطاكية بالنار والسيف واجبروا أهلها — الخدم الحقيقيين للمسيح . على أن ينحنوا لنير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر أن جوسلين « استولى على كل شىء وجده فى اقليم انطاكية ماعدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى أنطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى فالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد « غضب البطريرك وأقفل الكنائس وأوقف القداسات والصلوات وأوقف

---

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٣٠ .

(٤٦٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٦٨) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651.

فقد كان جوسلين يأمل فى العرش لقرابته أولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم السوابق التى حصلت فكلا من بلدوين الأول والثانى ، ارتقى بعد امارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٥٣١) .

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(٤٧٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٧٢) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

الأجراس والجنازات على الموتى ، لذا اجبروا على عقد الصلح واعاد جوسلين كل الغنيمة (٤٧٤) ! .

ويبدو أن الوضع بين امارتى الرها وانطاكية عاد الى هدوئه النسبى حتى فبراير ١١٣٠م — رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدانشمندى (٤٧٥) . وعندئذ حاولت ارملته اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس صاحبة الحق الشرعى فى الحكم عن طريق تدبيرها للمكائد (٤٧٦) . فما كان من رجال انطاكية البارزين الا ان جمعوا مجلسا ثم استنجدوا بالملك بلدوين للمساعدة (٤٧٧) . ويقال ان اليس وصلت فى تحديها للانطاكيين الى درجة الاستنجاد بزنكى لمساعدتها ، ولكن لسوء حظها وقع خطاب الاستنجاد فى يد والدها وعرف بالمؤامرة (٤٧٨) . عندئذ اسرع الملك بلدوين الى انطاكية كما اتجه اليها ايضا جوسلين دى كورتناى امير الرها (٤٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا ان بعض القادة المحنيين والدينيين عصوا اوامرها وفتحوا ابواب المدينة لهم (٤٨٠) . وعندئذ اصدر الملك بلدوين مرسوما بان يتولى جوسلين الوصاية على

---

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٥) Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,

ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطىء احد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته . فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٣٠م فى حكم انطاكية :

Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(٤٧٦) اسحاق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٥٧ .

(٤٧٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٧٨) Setton : Ibid., V .1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٤٧٩) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 p. 255.

هنا يذكر ابن العبرى : أن ذلك كان سنة ١١٣١م. ولكن الراجح انه كان ١١٣٠م .

(٤٨٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op .Cit. T. 1, p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثـانى فى حكمها لأنطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م ايضـا قامت بين الرهـا وانطاكية علاقـة دينيـة ذلك أن (حنا ماديانا) عندما توجه الى مدينـة كيسوم ليتم اختياره بواسـطة مجمعها الدينى ، بطريركا يعقوبيا على انطاكيـة ، وجـد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم ـ كما سبق الذكر ـ لذا توجه ذلك البطريرك الى تل باشر حيث تمت رسـامته تحت رعاية جوسلين الأول فى كنيسـة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريركا لدير — Dovair — وبذلك خلف البطريرك اليعقوبى لأنطاكية اثناس وتم ذلك بالتصـديد فى ١٧ فبراير ١١٣٠م ، بفضل تاييد جوسـلين الأول ومسـاعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م ـ ٥٢٦هـ توفى جوسلين الأول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية مكان ابيه لكن اهالى انطاكية، والبطريرك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى أغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق أطماعها من جـديد ولكن نولك ملك بيت المقـدس الجـديد منعها من ذلك بالقـوة واجبرها على الفـرار الى اللاذقيـة ثم تمت خطبـة كونستانس لريموند دى بواتييه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقـال أن اليس استعانت فى محاولتها الأخيرة بجوسـلين امير الرهـا (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هـذا الراى وخاصـة أن جوسلين الثـانى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضـد غزو الاتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الأمر فانه بزواج ريموند دى بواتييه من كونستانس ابنه

---

(٤٨١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 7.

(٤٨٣) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٤٨٤) Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 317.

(٤٨٧) Michel : Op. Cit., p. 234.

بوهيموند الثـانى اصبح اميرا لانطاكيـة من ١١٣٦ — ١١٤٩م (٤٨٨) (٥٣١هـ — ٥٤٤هـ) مما قضى على اطماع الطامعين فى امارة انطاكيـة ومن بينهم جوسلين الثـانى نفسه .

وفى ١١٣٧ — ٥٣٢هـ جدت ظروف فى امارة انطاكية استدعت تدخل الأمير جوسلين الثـانى . وترجع جذور تلك الاحداث الى ١١٣٥م عندما توفى قنسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفـه على العرش ليو الأول اخـو ثوروس الذى انتزع من البيزنطيين ، المصيصـة وانذنـه وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شـواطىء البحر المتوسـط . وعنـدما تولى ريموند دى بواتيه امـارة انطاكية ١١٣٦م اصبحت حدوده متقاربة جدا مع حـدود ليو الأرمنى فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمنى فى كمين(٤٩٠) نصـبه له ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرعش(٤٩١) وظل ليو اسيرا داخل احـدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفـاق على اطلاق سراحه مقابل التنـازل عن بعض المـدن ودفع مبلغ من المـال وان يقدم ابنه كرهينـة ومن ناحية أخرى وعـده ريموند بمساعدته ضـد الامبراطور البيزنطى حنـا كومنين(٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم اطلاق سراح ليو حتى حنث بعهده وهاجم

---

(٤٨٨) Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
Tournebize : Ibid., p. 173. (توفى ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م)

(٤٨٩) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٩٠) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316. ولو أن الأخير يخطىء فيعتبر أن ذلك كان فى عهد بوهيموند .

(٤٩١) Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. p. 358.

(٤٩٢) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen: Op. Cit., p. 358.

اما المدن التى وعـد ليون بتسليمها فهى المصيصة وانذنه Sarovanticar وكان المبلغ حوالى ٦٠,٠٠٠ دينـار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التى كان قد تنازل عنها(٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منه بالخديعة والقسوة » (٤٩٤) لذا اشتبك الجانبان فى حرب أريقت فيها دماء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الموقف (٤٩٦) وجاء ذلك العداء كارثة على الارمن والفرنج جميعا ؛ لأن المسلمين انتهزوا الفرصة للانقضاض على الجانبين المتحاربين(٤٩٧) هذا الى جانب الأخبار التى بدأت تنذر باقتراب الجيش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين فى ذلك الوقت ، بحكم ان والده كان متزوجا من اخت الأمير ليو . وأوقف العداوات وأصلح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

فى نفس الوقت الذى وصلت فيه اخبار استعدادات الامبراطور لحملته على الشام ١١٣٧م وصلت أنباء أيضا بأن فولك ملك بيت المقدس لقى هزيمة على يد زنكى فارسل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكية . وكان وضع ريموند عندئذ حرجا للغاية فمن ناحية لم يكن يود ان يبرح امارته فى ذلك الوقت حتى لا يتمكن العدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفى نفس الوقت كان عليه ان يلبى نداء الملك ، لذا « عهد الى كل من جوسلين الثانى أمير الرها وبلدوين أمير مرعش بمهمة حماية امارته » واسرع هو ليقدم العون للملك ، وعندئذ آثر زنكى التفاوض مع فولك وبذلك عاد ريموند الى امارته(٥٠٠) .

---

(٤٩٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٤٩٤) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٥) Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٦) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٧) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٤٩٩) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit., p. 358.

ويذكر كاهين ان ذلك كان فى شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح ان جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصله استنجاد الملك به ايضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرعش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٣٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حنا كومنين الى شيزر للاستيلاء عليها وفقا لما تم عليه الاتفاق بمقتضى الحلف الفرنجى البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخر من البحث أن تقاعس جوسلين وريموند عن مساعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سخط الامبراطور عليهما ، وعندما التمس منه حاكم شيزر أن يترك حصارها مقابل مبلغ من المال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على أن الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعندئذ أرسل جوسلين الى انطاكية عناصر استثارت غضب الجماهير وحقدها . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجماهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتله وكان أن نجحت حيلته . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد أن أصيب بعض أفراد حاشيته(٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخدعة لا بدافع مصلحة أمير انطاكية فحسب بل ايضا خوفا من أن يسيطر الامبراطور البيزنطى على الرها اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصورى يشير الى تجدد العداء ١١٣٨م بين انطاكية والرها اذ يذكر أن جوسلين أرسل فى تلك السنة الى بطريرك انطاكية الذى كان موجود فى سقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فأظهر جوسلين الثانى الود تجاه البطريرك نكاية فى ريموند ودعاه للحضور ومعه بطانته الى الرها لتأييده ومناصرته . فلبى البطريرك الدعوة وحضر الى الرها حيث استقبل باحترام كبير من كل الأساقفة ورحب به الأمير جوسلين ترحيبا فائقا (٥٠٤) .

هذا راى ابن الفرات الذى ذكر أن جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك حـ ٣ ص ٩١) (أ) .

(٥٠١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96.

(٥٠٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Brêhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل أن سبب ذلك النزاع هو موافقة ريموند على اقرار بطريرك بيزنطى فى انطاكية .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit., T. 1,. p. 327).

(٥٠٤) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

وعندمـا علم الأمير ريموند بذلك أرسـل سـفارة الى الرهـا تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك(٥٠٥).

وفى ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد ـ كان العـداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية او بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند باعـذار شتى (٥٠٦) بل قيل أن ريموند لم يستطع أن يخفـى سروره وشماتته لمـا حل بجوسـلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصـورى على ذلك بانه نسى قول (هورس) « عندما يكون منزل جـارك يحترق فان منزلك يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة اخرى فانه يقال أن سبب اعتـذار ريموند فى ذلك الوقت عن نجـدة الرهـا كان مرجعه انشغاله بمنازعاته مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٢٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فان الواجب كان يملى عليه أن ينجد جوسلين اولا ثم يفكر فى مصالحه الخاصـة بعد ذلك لان مـا يهدد الرهـا سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهالى فى مرثيته عن سقوط الرهـا فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على لسان الرها :

اليك حـديثى وعتـابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه ايهـا القرينـة الحبيبة
لـم لـم تـهرعى الى
وانت فى اليسر والسـعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى ايدى الكافرين ؟
هلمى واصغى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة أضرمت فؤادى

---

(٥٠٥) William : Ibid., p. 117.
(٥٠٦) William : Ibid.. V. 2, p. 142.
(٥٠٧) William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.
(٥٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.
(٥٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

وولولى معى وانتحبى
وواسى قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدعيا « ان الحملة تخطيطها سيء »(٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكى سيهاجمه بسرعة ، الا انه لم يستطع ان يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وانطاكية بين العداء حينا والتحالف احيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وان كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع العدائى .

اما عن علاقة الرها بامارة طرابلس : فاننا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وانطاكية من ناحية اخرى ، وذلك فيما عدا الغادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارين (٥١٣) ١١٣٧م (٥٣١هـ) والغالب أن العلاقة بين امارتى

---

(٥١٠) Nersés Schnorhali : Op. Cit.. p. 231.

(٥١١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٥١٢) Runciman : Ibid., V. 2, p. 238.

(٥١٣) بارين « بليدة بين حمص والساحل تتلفظ به العامة (بعرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الاثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعرين والبعض الآخر يكتبها بارين .

فممن كتبوها بعرين (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردى حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، اما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، ابو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الاثير ذكر التسميتين فى كتابيه .

اما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير اليها باسم (Montferrand)

=

الرهـا وطرابلس كانت ذات طابع ودى فى اطار تبعية الجـانبين لمملكة بيت المقـدس وذلك منذ قيـام امـارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٩م(٥١٤) (ذى الحجة ٥٠٢هـ(٥١٥)) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرهـا كانت ودية حتى قبـل قيـام امـارة طرابلس الصليبية . ففى اوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولونى امير الرهـا متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفـاة اخيه ، سـار كما ذكرنا وسـط بلاد المسـلمين وتحمـل هو ورفاقه المشقات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التى كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار(٥١٦) . حتى استقبله امير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصـداقة بينهما وقـدم له امير طرابلس الخبز والنبيذ وأخبره أن دقاق حـاكم دمشق والقـائد جنـاح الدولة اقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حذره »(٥١٧) .

ويبدو أن موقف ابن عمار هـذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقـاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد ان اصبحت الأخيرة امـارة صليبية هو مشاركة طرابلس فى الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٠م (٥٠٤ هـ) الى الرهـا لنجـدتها من خطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها . ذلك ان برترام الصنجيل (٥١٩) توجـه لنجـدة الرهـا « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القـدس (٥٢٠) » .

ثم حـدث ١١٢٣م (٥١٧هـ) بعـد اسر الملك بلدوين الثـانى أن صارت كل من بيت المقـدس والرها وانطاكية محرومة كلها من رؤسـائها

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩ .

(٥١٧) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520

(٥١٨) Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٥١٩) هو برترام امير تولوز والابن الأصغر لريموند الصنجيل . (G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671. Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 من (Albert).

فى حـين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بـونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الامـارات كما مر بنـا(٥٢٢) .

وفى ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد بلك الارتقى سـار جوسـلين الى بيت المقـدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشـد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجـل وتقـدم الى منبج (٥٢٣) . واشترك بهم فى تلك المعركة .

كذلك حـدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) عندمـا حاصر البرسـقى عزاز ان مـار لنجدتها ملك بيت المقـدس ومعـه بقيـة الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس يونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبى فى تلك المعركة (٥٢٥) .

وفى ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت امـارة طرابلس لتهديد زنكى وحصاره اسرعت الرهـا لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

---

(٥٢١) بونز بن برترام هو امـير طرابلس من ١١١٣ — ١١٣٦م ، تزوج أرملة تنكريد بعد وفـاته .
(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٢) Grousset : L'Epopée, p.p. 120 — 121.

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٠ .
Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

(٥٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24.

(٥٢٥) William : Ibid.. V. 2, p. 24.

(٥٢٦) تشير غالبية المصـادر والمراجع الاسلامية الى ان ذلك كان ٥٣١ هـ ومنها :
ابن الأثير : الكامـل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، النويرى : نهـاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ والعينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٩٤ . فى حين ينفرد مصـدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤هـ وهما ابن الأثير : البـاهر ص ٥٩ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين فى كتابيه والراجح أن ذلك كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التى ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.
Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل فى الجزء الخاص بجهاده الاسلامى قبل اسقاطه للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها فى تلك المعركة .

ذلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لانها تشرف على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكانت عند حصار زنكى لها تابعة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها فى الجزء الشرقى من الامارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى أن طلب ريموند المعونة من القدس أولا(٥٣٠) ولكن عندما ادرك الملك تفوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتماء به فاصبحوا شبه محاصرين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفى تلك الاثناء كان قد قتل فى المعركة بينهم وبين زنكى جودفرى الأخ الأكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد أن استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بأن يستنجدوا بأميرى الرها وانطاكية ؛ وببطريرك القدس ليأتى لنجدتهم ومعه كل أهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه أحد الرسل الى الرها متوسلا بأميرها الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، ومعه أمير انطاكية فى تلك المهمة(٥٣٤). فضلا عن بطريرك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

---

(٥٢٧) J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323.

(٥٢٨) Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٥٣٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70.

(٥٣١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.
ابن القلانسى : تاريخ الدول والملوك مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، أبو شامة ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الأرب مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

(٥٣٣) William : Ibid., V. 2, p. 87.

(٥٣٤) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ؛ حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٥٣٥) J. Prawer : Op. Cit., p. 323.

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطى بعد أن استنجد الصليبيون بالروم(٥٣٦) ، اختار ان يفاوض اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم أميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتاثر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

هكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة فى علاقةالرها بطرابلس.

ثالثا : علاقة الرها بالأرمن خارجها :

سبق أن اشرنا الى الدور المهم الذى قام به الأرمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠هـ) فى ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود باكراد الأرمنى وغيره من الأرمن الذين كان لمساعدتهم الأثر الأكبر فى تسهيل مهمة بلدوين فى تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له فى الشرق .

والواقع أن علاقة امارة الرها الصليبية بالأرمن خارجها كانت اغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بأرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الأرمن ، ولكن يندر ان نجد علاقة عداء شديد بين الامارة والأرمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين .

أما عن اول امراء الرها الصليبية وهو الأمير بلدوين البولونى فانه لكى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الأرمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الأميرة (اردا) (٥٣٩)ا الأرمينية وكان أبوها

---

(٥٣٦) ابن الاثير : البداهر ، ص ٦١ ، الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ،حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (ب) .

(٥٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit.,

باتفـــاق المصـــادر ، احـــد امراء الارمن ذوى النـــفوذ والثروة فى ذلك الوقت حتى ان صداقها بلغ حوالى ستين الف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من امر هـــذا الزواج ان الكتاب الارمن اعتبروه « تحـــالفا للمصـــالح اقر بواسطة النسب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الاقطاعية الصليبية » (٥٤١) فى حين اشـــار اليه بعض الكتـــاب الاوربيين المحدثين بانه « كان زواجـــا سياســـيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع ان نقرر ان تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع ان ثراء والد الزوجة ربما اغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المـــالى لامارته الناشئة .

امـــا عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فـــان كوغ باسيل كان عند قيام امارة الرهـــا ، يحكم كيسوم ورعبان وقلعـــة الروم (٥٤٣) ؛ اما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينـــة الراونـــدان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الاميرين الارمنيين فى نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيـــما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى النـــاس من الاخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهما اثقلا كاهل الاهـــالى وعلى وجـــه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحيـــة اخرى فان هذين الاخوين ارســـلا الى الامـــير بوهيموند يستثيرانه ضـــد امير الرهـــا . ولذا ســـخط جودفري عنـــد سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غـــدر بلدوين بالامير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قـــدمها له الاخير .

كذلك تركز جانب هـــام من العلاقات بين امـــارة الرهـــا الصليبية والارمن فى عهـــد بلدوين البولونى فى علاقته بجبريل امير ملطيـــة ، وهى

= V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, L'Epopée, p.p. 104, 205.

(٥٤٠) Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64.

(٥٤١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169.

(٥٤٢) Grousset : L'Epopée, p. 104.

(٥٤٣) Groussit : L'Empire, p. 386. (Albert) عن

(٥٤٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التى سبق أن تكلمنا عنها بالتفصيل اثناء الكلام عن عهد بلدوين البولونى فى الرها وعند الكلام أيضا عن علاقة الرها بانطاكية عندما اسر بنو دانشمند بوهيموند أمير انطاكية ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بأن اعلن جبريل أمير ملطية ولاءه لبلدوين ودخل تحت طاعته فى تلك السنة (٥٤٥) .

والراجح أن جبريل كان قد عرض على بلدوين القدوم الى ملطية منذ اللحظة الأولى لتاسيس الامارة بدليل ما ذكره ميخائيل السريانى من أنه « بعد أن وصل الفرنج الى الرها وحكموها بذل جبريل جهده ليجعل الفرنج يحضروا ويستولوا على ملطية (٥٤٦) » . ويبدو أن انشغال بلدوين بتدعيم امارته فى بادىء الأمر ثم باخماد المؤامرة التى قامت ضده فى مستهل حكمه هو الذى منعه من تلبية طلب جبريل بسرعة ، لذا لجأ جبريل كما رأينا الى بوهيموند ، وانتهى الأمر الى دخول ملطية بالفعل تحت سيطرة الرها .

على أنه ما كاد بلدوين يغادر ملطية عائدا الى الرها بعد أن ترك بها حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانشمند من جديد لمحاصرة ملطية دون جدوى (٥٤٧) .

ثم كان أن شهد عهد بلدوين دى بورج نشاطا واسعا فى العلاقات بين الرها والأرمن خارجها ، من ذلك أن بلدوين دى بورج لجأ الى نفس اسلوب بلدوين البولونى لتاكيد مكانته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنه جبريل (٥٤٨) . حاكم ملطية كما سبق أن ذكرنا والتى حملت اليه صداقا كبيرا جدا (٥٤٩) ، اشبع خزانة بلدوين . ومع ذلك فان هذا التحالف لم يحل دون هجوم الأتراك من بنى دانشمند على ملطية واخذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٤٩٧هـ) ومن أهم الزيجات التى تمت أيضا

---

(٥٤٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

(٥٤٦) Michel : Op. Cit., p. 187.

(٥٤٧) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. T. 4, p. 525.

(٥٤٨) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

(٥٤٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٥٥٠) Zoé : Ibid., p. 210.

فى عهـد بلدوين دى بورج التى ربطت بين امارة الرهـا من ناحيـة وبين ارمينيا الصغرى من ناحيـة اخرى ، زواج اخت بلدوين د ى بورج من ليون الاول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرهـا بالأرمن فى ذلك العهد على المصـاهرات وانما حـدث « فيما بين سنتى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) ان سـاعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ — ١١٢٩م) (٥٥٢) . الصليبيين فى رد هجمـات البيزنطيـين عن الرهـا وانطاكيـة (٥٥٣) » . وفى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) تنازل طاطول الأرمنى صـاحب مرعش عن مدينتـه لجوسـلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقـد مر بنـا كيف اسر بلدوين دى بورج حـوالى خمس سنوات بعـد ذلك وكيف عارضت انطاكية فى رد امارته اليه بعـد ذلك مما ادى الى الخـلاف بينـه وبين تنكريد ١١٠٨م (٥٠٢هـ) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعـلان الحرب ضـد تنكريد وهى الحرب التى لستنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجـه بلدوين فى ذلك الوقت الى كوغ باسيل حـاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الـذى كان قـد

---

(٥٥١) Iorga: L'Arménie Ciliciénne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296
هنا يضيف (ايورجا) ان اخت بلدوين اسست بعد زواجهـا فى ارمينيـا ديرا لاتينيا .

(٥٥٢) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٣) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)
ويسميه ميخائيل هنا امير الأمراء ويذكر انه باع فى نفس الوقت صـورة العذراء المقدسـة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان فى مقابل مبلغ ضخم من المـال ثم رحل الى القسطنطينية .
Michel : Op. Cit., p. 75.

(٥٥٥) Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 52.
يسميه (كوسـيل) كل من ابن الأثير : الكـامل : حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) اما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ فيسميه (ابو سـيل الأرمنى) .

«جمع الجيش الأرمنى القومى فى قلعته العسكرية الحصينةفىالجزء الشرقى من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتمس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق فى مواجهة تنكريد الذى طمع فى الاستيلاء على قيليقية بأكملها ، بعد أن استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى أهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دى سالرنو الذى حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دى بورج ضد تنكريد « فأنجده بألف فارس وألف راجل (٥٥٩) » . أما متى الرهاوى فيقدر المعونة التى قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل أنه أرسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطى (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد أن بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودة امارته اليه ، حتى وصل الأمر الى حد ابتزاز امواله كما اشار وليم الصورى (٥٦٢) .

وعندما تعرضت آثرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤هـ) أسرع اليها الملك بلدوين الأول لنجدتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بعض الرؤساء الأرمن فى مؤازرة امارة الرها وعلى رأسهم كوغ

---

(٥٥٦) Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 436. من (Mattieu)

(٥٥٧) Grousset : Ibid.. p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥١ (عن البرت)
Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٢ عن (Stevenson),
Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦١) Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦٢) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سميساط (٥٦٤) » .

وفى ٥٠٦هـ (٥٦٥) (أكتوبر ١١١٢م) (٥٦٦) . توفى كوغ باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة فدبرت أمر البلاد أحسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤م (٥٠٨هـ) وعندئذ أرسلت اليه زوجة كوغ باسيل تقول « ان زوجى أوصانى بعد موته أن أخالط المسلمين وأن أجانب الفرنج وأنا من الموالين لك فأرسل الى من أجتمع به وأكون تحت أمرك ؛ فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو أن زوجها تأسى من عدوان تنكريد ١١١٢م (٥٦٩) (٥٠٦هـ) بل ان تنكريد كان يطمع فى امارته بعد موته هذا الى أنه يبدو أن بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣م (٥٠٧هـ) نزحوا الى كيسوم حيث حوضوا دفا باسيل — ابن كوغ باسيل المتبنى — (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال أن الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان ما كادوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد صريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

---

(٥٦٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257; Setton : Op Cit., V. 1, p. 299؛ سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson) Archer : Op. Cit., p. 148.

(٥٦٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 92

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ .

(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ، ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1. p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.
كانت زوجة كوغ باسيل قد أرضعته لقط .

(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٠٩هـ) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم أنه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الأمير الأرمنى ليون بن قنسطنطين بن روبان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « فدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥١٠هـ) (٥٧٦) . لذلك اشار ميخائيل السريانى الى أن بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سميساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

أما عن كركر التى كانت تابعة للأمير قنسطنطين الأرمنى الذى سبق أن ساعد بلدوين الأول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد أن ميخائيل السريانى يشير الى أن بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥١١هـ) (٥٨١) وأن بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

---

(٥٧٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

(٥٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 116.

(٥٧٦) Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu).

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (متى الرهاوى) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 408 هنا يضيف متى الرهاوى « أن باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

(٥٧٧) Michel : Op. Cit., p. 199.

(٥٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٥٧٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٨١) Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

حميميساط حتى هلك فى احد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفى ١١١٧م أيضا توجه بلدوين دى بورج ضد احد الرؤساء الارمن المشهورين هو ابو الغريب — Abelgh'arib — حاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه فى حملته هذه أمير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجى فى المكان الأول من الأهمية على مجرى الفرات على طريق الرها عينتاب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالى سنة كاملة حتى فقد ابو الغريب كل امل فسلم البيرة وكل الاقليم الى بلدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قد استولى بين سنتى ١١١٥م ، ١١١٨م على ممتلكات كل من دقا باسيل حاكم كيسوم ورعبان وقلعة الروم وأبو الغريب حاكم البيرة وقسطنطين حاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهاوى يذكر صدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ او نتجاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياسة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففى ١١١٨م توجه كما مر بنا الى القدس حيث توج ملكا . هنا يعقب او لدنبرج على سياسة بلدوين البولونى ودى بورج مع الأرمن فيقول « انه بالرغم من صلابتهما فان سياسة التحالف والامتيازات المتبادلة فرضت على الفرنج بحكم ظروف الساعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات اسرة

---

(٥٨٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., p. 494.

(٥٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 116-117.

(٥٨٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (Setton) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493

هنا يذكر جروسية انه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م الا انه تركها تتمتع بكيانها كامارة ارمينية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكدرة بين الرها وتل باشر .

(٥٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٦) Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu)

(٥٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 210

الرهـا بالأرمن خارجهـا فى ثلاثة انماط . اما زواج متبادل أو ود وتحالف أو عـداء وتوسـع بالقوة من جانب الرهـا .

وفى عهد جوسلين دى كورتناى تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ، فقد اتخذ جوسلين من اخت ليون الاول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) . (١١٢٩ ــ ١١٣٦م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الاول (٥٩٠) . أو بمعنى آخر ابنـة قنسطنطين (٥٩١) . زوجـة له ، لان ثوروس وليون كانا وندى قنسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الأرمن والرهـا فى عهد جوسلين دى كورتناى تلك المحاولة البطولية التى سـاعد بها الأرمن فى اطلاق سراح جوسلين من سجن خرتبرت كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود رعايا جوسلين الأرمن فحسب (٥٩٢) . بل تعداه الى الأرمن فى خرتبرت سـواء فى قلعتها أو فى البلد نفسها (٥٩٣) . أو فى طريق عودتـه الى الرهـا خاصـة جهود أحـد الفلاحين الأرمن الذى اسهبت المصـادر المعاصرة فى الاشـادة بجهوده فى هـذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر هرب جوسلين ووقوع القلعة ــ كما مر بنا ــ

---

(٥٨٨) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٥٨٩) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 296.

(٥٩١) Iorga : L'Arménie ciliciénne, p. 93 من (Alishan Sissouan)

(٥٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme), Archer : Op. Cit., p. 162.

(٥٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op Cit., V 1, p. 419 Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer : Op. Cit., p. 163.

(٥٩٤) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420, Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 592, L'Epopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى أسرع اليهـا واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع فى سلام بل راح ضحيتـه كل الأرمن تقريبا الذين وجـدهم بلك فى القلعة(٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا فى قبضته(٥٩٧).

وقبل أن ننتقل الى عهد جوسلين الثـانى نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر فى عهد جوسلين الأول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينـة قد ظلت تحكمها ــ بعـد أن زج بلدوين دى بورج زوجـها فى السجن ــ حتى عهد جوسلين الثـانى (٥٩٨) . وعند أسر الملك بلدوين الثانى كان يحكم كركر ١١٢٣م ــ (٥١٧هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩). وثمة نص لميخائيل السريانى يوضح علاقة كركر بامارة الرها بعـد ذلك يقول « فى عهد بلك خرج ميخائيل الأرمنى من قلعة كركر وتنـازل عنها . وبعد مقتل بلك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولمـا لم يكن قـادرا على حماية نفسـه فانه هرب فى الفرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسمائة دينار (٦٠٠) » .

وفى ١١٣٧م تمت فى عهد جوسـلين الثانى رابطة قـوية بين امارة الرها والأرمن فى أرمينيا الصغرى . ذلك أنه حدث فى تلك السنة خلاف بين ريموند الثانى أمير انطاكية من ناحية وبين ليون ملك أرمينيا من ناحية أخرى ، وبحكم قرابة الأخير من جوسلين فقد توسط بينهما واقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا قيليقيـة بين سنتى ١١٣٨ ــ ١١٤٥م ــ

---

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص٣١
Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٥٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé Op. Cit., p. 298.

(٥٩٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme)

(٦٠٠) Michel : Op. Cit., p. 244.
وهو يقصـد هنـا ميخائيل الأرمنى ، ميخائيل بن قنسطنطين

(٦٠١) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan Op. Cit., p. 172. Tournebize : Op. Cit., p. 173. Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ ــ ٥٤٠هـ وكان آخر حاكم لأرمينيا عند الغزو البيزنطى هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العلاقات بين امارة الرها الصليبية والدولة البيزنطية فى الفترة التى ندرسها ، ينبغى الرجوع الى الوراء ، أى الى ٩٤٣م (٣٣١هـ) عندما حاصر القائد البيزنطى حنا كوركاس الرها(٦٠٣) . والواقع أن هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها فى حوزة البيزنطيين ، لأن ذلك لم يتم الا بعد حوالى قرن من تلك الحملة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين فى الحصول على صورة المسيح المقدسة التى كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق ــ عند الحديث عن تلك الصورة ــ كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقى ٣٣١هـ ــ ٩٤٣م على التخلى عنها فى مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين فى القسطنطينية(٦٠٥) . وبالفعل تم نقل ذلك الأثر المقدس الى القسطنطينية فى ١٥ اغسطس ٩٤٤م وسط احتفال دينى عظيم (٦٠٦) .

---

(٦٠٢) Iorga : L'Arménie Cilicienne : p. 94, Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٣) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٤) Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 140.

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط ص ٨٠

Le Strange : Op. Cit., p. 104.

أما ابن العبرى فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م

(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

(٦٠٦) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med. Hist.: Ibid, p. 141.

ويضيف المرجع الأخير أن نقل ذلك الأثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus) لأنه بعد حوالى اربعة اشهر بالتحديد فى ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع فى جزيرة Prote حيث توفى فى ١٥ يونيه ٩٤٨م

Cam. Med. Hist., p. 143.

وفى ١٠٣٠م (٤٢٠هـ) « كان يحكم الرهـا اميران عربيان فارسـل احدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة واقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سمع حاكم حلب بذلك ارسـل الى الرها جيشـا اسـتولى عليها وهرب المسيحيون الى الكنيسـة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثـلوج وعندئذ جعلوا الشـتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا(٦٠٧) » .

وفى ١٠٣٢ (٤٢٤هـ) توجه القائد البيزنطى جورج مانياكس الى الرهـا واسـتولى عليها محققا بذلك قمة انتصـاراته(٦٠٨) . ففى تلك الحملة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الثـانى فى الرهـا وهـو خطاب المسـيح المشـهور الى ابجر ملك الرهـا السـابق الذكر واحتفل فى القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الاثر اليها(٦٠٩) . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين (٦١٠) او على الأصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقـة (٦١١) ». « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤هـ) فان مدنـا اخرى متطرفة فى الشرق مثل انطاكية بالشـام والرهـا شرقى الفرات ـ ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاميات بيزنطية وزعماء من الأرمن يعترفون بالسيادة للقسطنطينية ، وقـد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م ـ ٤٨٠هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشـاعر

---

(٦٠٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192-193.
وكان حاكم حلب آنذاك هوشبل الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذى حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩هـ (الطباخ الحلبى:اعلام النبلاء،جـ ٢ ص ٣٢٢ ؛ العينى : عقد الجمـان ، جـ ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ ـ ٨٢٨) .

(٦٠٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285
اما ابو الفضائل الحموى:التاريخ المنصورى،ص ١٥٠ فينكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣هـ ويتفق معه فى ذلك ميخائيل السريانى الذى يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م Michel : Op. Cit., p. 280. ولكن الراجح ان حملة جورج مانياكس كانت فى العام التالى وانها هى التى اكدت استيلاء البيزنطيين على الرهـا .

(٦٠٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725.

(٦١٠) Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726.

(٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ ؛ Setton : Op. Cit., V. 1. p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية : جـ ١ ص ٩٤ .

الأرمني نيرسيس في قصيدته التي رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطبه القسطنطينية فتقول .

يا مدينة العظمة والابهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آسيا الصغرى
لقد كنت ملكا لك
وجزءا منك يا أم المدائن
وبنيت على أرضى هيكلا
وسميته باسم هيكلك(٦١٣) .

فاذا انتقلنا الى علاقة امارة الرها الصليبية بعد تأسيسها بالامبراطورية البيزنطية . نجد ان « تأسيس بلدوين البولوني للامارة في حد ذاته يعتبر خروجا واضحا على الاتفاق الذى ابرم مع البيزنطيين(٦١٤). ذلك ان الرها كانت اقليما بيزنطيا وكان يجب ان تعود لبيزنطة . وهكذا ورغم ان بلدوين كان قد حلف يمين الولاء للامبراطور الكسيوس الا انه لم يقم اى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرها للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة في اهالى الرها الذين نادوا به اميرا عليهم (٦١٦) .

---

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠. Nersès : Op. Cit., p. 229. هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوريبه المقصود بالهيكل هنا : كنيسة (القديسة صوفيا) .

(٦١٤) Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 209, اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٠٩

(٦١٥) Bréhier : Ibid., p. 313. سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ عن (Runciman) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦ عن (Ostrogorsky) هذا الى جانب الغدر الذى عامل به بلدوين الأمير ثورس كان لطمة للعاهل البيزنطى ، فثوروس كان موظفا فى خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا فى الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية (اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٦١٦) J. Prawer : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فان الامبراطور الكسيوس الاول كومنين (Alexius I Commémus) (١٠٨١ — ١١١٨م (٦١٧) / ٤٧٤هـ — ٥١٢ هـ) لم يفعل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت فى ذلك الوقت حتى تحين فرصة أفضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ اقل نسبيا من مشكلة انطاكية الاكثر خطورة(٦١٨) .

واذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الامارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداء مرير فاق فى قسوته العداء مع المسلمين، الا انهم اكتفوا فى البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة فى آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم فى ذلك الدور(٦١٩) .

ويبدو أن هجمات البيزنطيين اخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) فقد سبق أن اشرنا ان ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين فى صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع أن موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة فى الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج فى حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) « فقد كان الامبراطور يراقب الموقف فى قلق فى بيزنطة ولم يأسف لسماع اخبار هزيمة الفرنج »(٦٢١) .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن هزيمة الصليبيين فى حران اضعفت مركز الصليبيين بالشام واحيت آمال كل من الامبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الامبراطور الكسيوس كرمنين بحق البيزنطيين فى انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيموند أمير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٨م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الامبراطور البيزنطى الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨م بعد هزيمة الأخير فى البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦١٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304.
(٦١٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52 - 57.
(٦٢٠) H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.
(٦٢١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44.
(٦٢٢) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58.

وجوده فى السجن الامبراطورى(٦٢٣) » وفى اثناء تلك المفاوضات ادى بوهيموند يمين الولاء من جديد للامبراطور ، والراجح انه اتفق معه فى مقابل اصراره على اخذ انطاكية منه ان يحصل فى مقابلها على أرض اخرى فى الشام وما بين النهرين ويفهم مما ذكرته (أنا كومنينا) (٦٢٤) ان الرها كانت ضمن تلك البلاد التى سيعوض بها الامبراطور الكسيوس بوهيموند عن امارته انطاكية . وربما شجع الامبراطور على ذلك التعهد خلو امارة الرها من اميرها فى ذلك الوقت . ويفهم من النص الذى ذكرته (انا) ايضا ان التعهد من جانب الامبراطور لم يقتصر على بوهيموند فحسب بل امتد الى ورثة بوهيموند بشرط خضوعهم ايضا للامبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية اذ لا يستبعد أن يكون بوهيموند قد أراد فعلا أن يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها فى انطاكية والذى ستتمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل افضل الشروط .

وعندما خلف تنكريد بوهيموند فى حكم انطاكية يبدو انه لم ينفذ ما تعهد به بوهيموند للامبراطور الكسيوس مما ادى الى تجدد الخلاف بينهما . ويدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دى بورج من الأسر ، اذ رفض تنكريد اعطاءه امارته ، مما تسبب فى قيام النزاع بين الجانبين . هنا يشير ابن القرات الى انه بعد ان استنجد بلدوين بجاولى كما مر بنا لجأ الأخير الى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجى

---

(٦٢٣) أشار جروسيه الى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر انها كانت بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند ١١٠٨م عندما كان الأخير سجينا لديه .
Grousset : Hist. des Crois.. V. 2, p. 89 عن (Chalandon)
أما برويه فقد أشار الى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيموند الامبراطور الكسيوس عند هزيمته فى البلقان سنة ١١٠٨م .
(J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك اشار ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة العريني ص ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بأن ذلك كان بعد هزيمة بوهيموند فى دورازو .

(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.

(٦٢٥) الصعوبة الوحيدة هنا ان (أنا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق
Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة .. وكان طنكريد اقوى بانطاكية وجوسلين اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما راى جوسلين ان لا طاقة له بطنكريد اومى لمن يحفظ البلاد وشحن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فاطلق له خمسة عشر الف دينارا وغادر من عنده (٦٢٦) » . وهذا النص نستشف منه : أن أولى الأمر فى الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الامبراطور وبوهيموند ، فضلا عن ان الامبراطور عندما وجد أن تنكريد غير موافق على ما تعهد بوهيموند به أراد أن يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك لم يتأخر فى تقديم المساعدة اليهم كفاتحة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثمة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكسيوس — بوهيموند هو ان انا كومنينا نفسها تعود وتذكر أن سفارة اتجهت من بيزنطة الى بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الأول عقد تحالف مع الامبراطور ضد تنكريد فى مقابل مبلغ من المال قدمه الامبراطور ، ولما رفض الملك ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى — الذى كان بالقدس عندئذ — فى نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا ان الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للامبراطور من وراء كسبه ودها ، وأنه يرمى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضته ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبيين والبيزنطيين على اشده حتى أن الامبراطور نفسه لم يلبث أن ارسل يحرض سلطان السلاجقة محمد بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ — (١١١٠م) وقد أورد كل من ابن القلانسى وابن الاثير اخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتى سبق أن اشرنا اليها بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس فى تلك السنة .

وعندما خلف الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م (٦٢٩) ٥١٢ — ٥٣٨هـ) الامبراطور الكسيوس الأول كانت أهم آمال الامبراطور

---

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٢٥ (أ) ، (ب) .

(٦٢٧) اوردنا النص مع الملاحق Anna Comnena : Op. Clt., p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسى : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon)

الجديدة هى « اعادة تاسيس القوة البيزنطية فى وادى الفرات وبدا مصمما على التدخل فى شئون مملكة بيت المقدس، ووادى الفرات (٦٣٠)» هذا يعنى ان امارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الامبراطور .

على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م — (٥٣١هـ) ففى تلك السنة توجه الامبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتاكيد حقوق الامبراطورية فى كل من الاقليمين . ذلك أنه اعتبر اعطاء امارة انطاكية لريموند دى بواتيه عن طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثانى دون الرجوع الى القسطنطينية فى ذلك الأمر خرقا لليمين الذى اقسمه الصليبيون فى القسطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلا عن حقده على أمراء أرمينيا الصغرى فى قيليقية لخروجهم عن طاعة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشعور وموقف الامبراطور البيزنطى من كل من الجانبين (٦٣٣) .

وقد راينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول امير أرمينيا الصغرى وريموند الثانى امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثانى بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الامبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليو قواته العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الامبراطور البيزنطى (٦٣٥) .

أما الأسباب التى حركت الامبراطور ضد أرمينيا الصغرى وانطاكية فى تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذى سبق أن اشرنا اليه بين ملك

---

(٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204
اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكنيه الكاهن جريجوار (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.

(٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.

(٦٣٣) Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 174.

(٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid p. 173-4.

(٦٣٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152. (Cinnamus) .

ارمينيا وامير انطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فان الامبراطور تقدم الى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكى لبارين ١١٣٧م (٥٣١هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... الى بلاد الفرنج والروم يستجدونها »(٦٣٧) . بل قيل ان القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحشدت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو ان الامبراطور لم يستطع القيام باى عمل ايجابى تجاه الصليبيين المحاصرين فى بارين بدليل ما ذكر من انه عند رجوع الامير ريموند الثانى امير انطاكية الى امارته وجدها محاصرة بواسطة الامبراطور البيزنطى (٦٣٩).وعندئذ طالب الامبراطور ريموند بأن يتخلىله عن انطاكية، وفى النهاية اصبح اهالى انطاكية انفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على انه فى مقابل دخول انطاكية تحت نفوذ الامبراطور يساعد الاخير الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المدن التى ما زالت خاضعة للمسلمين فى الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وأن تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف امير انطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجى

---

(٦٣٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. 152. هنا يسمى ابن العديم : زيدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٢ الامبراطور جنا (كاليانى) أما ليون فيسميه لاون بن روبال .

(٦٣٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٦٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325.

(٦٤٠) Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٤١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. 101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard : Op. Cit., p. 45,
يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى الباب القادم . وكل ما يهمنا هنا هو ابراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خلال هذا الحلف خاصة منذ ١١٣٨م — (٥٣٢هـ) عندما بدأ يدخل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارسل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوسلين الثانى وأمراء آخرين للسير معه لحرب المسلمين، وبالفعل جند الأميران القوات من كل مناطق نفوذهما وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقدم الامبراطور ومعه ريموند وجوسلين الثانى الى حلب ولكن بعد قتال شديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهناك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركة حامية ، تحمل الامبراطور فيها الجزء الأكبر من عبء المعركة فى الجبهة المسيحية ، بينما لم يبذل كل من جوسلين الثانى وريموند جهدا ايجابيا ملحوظا فى الحصار (٦٤٤) . وعندئذ اضطر الامبراطور الى رفع حصاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرها وانطاكية .

ثم انسحب الامبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهناك طلب الامبراطور من امير انطاكية ان يسلم قلعة المدينة اليه تنفيذا لوعده (٦٤٥) ، وقال له « انجز وعدك وكن مطيعا واظهر ولاءك واعمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفذ الالتزامات

---

(٦٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(٦٤٣) Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, Zoé : Op. Cit., p. 328,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ؛ يوسف الدبس : تاريخ سورية، حـ ٦ ص ٦٤ .

(٦٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(٦٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٨ J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362. Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقيـة علينـا (٦٤٦) » . وعندئـذ تدخل جوسـلين الثـانى لينقذ الموقف فرد على الامبراطور قائلا : « سيدى ان كلمات سموك الامبراطورى مشحونة بالفصـاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لاننـا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة امر جدير بالاعتبار هو ان طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكيـة وحـده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائـه ورأيى ورأى رعايـاه المخلصـين ولـذا يجب اعطـاءه مهلـة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الاجابة استحسانا من الامبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الأمر .

وعندئـذ اتصـل جوسـلين سرا عن طريق بعض اعوانـه بالناس ليخبرهم بمطالب الامبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسلح والثورة ولـم تلبث ان نشبت ثـورة فى المدينـة وانطلقت الجمـاهير تصـيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسـلين على فرسـه الى القصر كما لو كـانت الجماهير تطـارده ثم القى بنفسـه لاهثـا عند أقـدام الامبراطور فتعجب الامبراطور من دخوله المفاجىء وسـأله بقلق لـماذا يفعل هـذا على عكس قواعـد التشريفات والسـلوك . فاجاب الامير بأن الضروريات تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهيريـة ارغمته ان يخالف القواعـد المـألوفة كى ينجو من خطر الموت على يـد الجمـاهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث ان ترامت الى مسـامع الامبراطور صـيحات الجمـاهير « الويل لأنطاكية فقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار أفراد أسرة الامبراطور ونهبوهم وضربوهم ووشـموا السيف فى كل من أبدى أيـة مقاومة (٦٥١) . مما جعل الامبراطور يقرر الرحيل عن انطاكية (٦٥٢) .

---

(٦٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٧) William : Ibid, V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327, Grousset : L'Eppoée, p. 157.

(٦٤٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ، ص ٦٥ .

(٦٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعد مضى أربع سنوات عاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جديد فى شمال الشام كى يطالب بانطاكية مرة اخرى ولكن قبل ان يتوجه اليها بدأ أولا بامارة الرها ، كى يضمن جانب جوسلين الثانى لأنه لم يخف عليه ما دبره جوسلين من حيلة لاجلائه عن انطاكية ١١٣٨ . لذا ظهر الامبراطور فجأة أمام تل باشر ١١٤٢م — (٥٣٧هـ) وطلب من جوسلين رهائن مما اثار دهشة الأخير لوصول الامبراطور المفاجىء ولكنه ازاء قوة الامبراطور البيزنطى وجيشه الذى لا يضاهى والذى لا يمكن لأى مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنته (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوسلين الثانى الذى انتصر على الامبراطور بالخديعة والحيلة منذ أربع سنوات مضت ، وجد نفسه فى هذه المرة عاجزا ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى بأذنه (٦٥٥) . فخلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بداية حكم مانويل سقطت الرها فى يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع أن الشاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرها عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لسان مدينة الرها أيضا ، المعونة والثأر من المسلمين مما يبين أن بيزنطة لم تقف موقفا متعاطفا مع الرها فى محنتها فهو يقول :

اليك اتوسل : عبثى

قواتك العاتية

واطعنى الأعداء فى صميمهم ثأراً وانتقاما (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قد ادت فى النهاية الى ضياع امارة الرها من ايدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقية العالم المسيحى الغربى فى استعادة الرها مرة

---

(٦٥٣) William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois.. V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 361 (1936).

(٦٥٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335.

(٦٥٥) ابو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٦٥٧) Nersès : Op. Cit., p. 230

أخرى وردها الى حظيرة الحكم المسيحى . ففى اغسطس ١١٤٦م (٥٤١هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطابا الى البابا (٦٥٨) ، ردا على خطاب كان قد أرسله الى الامبراطور واخبره فيه ان ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكنائس المقدسة وليعوض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسعى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبى وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب فى مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين ورغب فى أن يجتهد البابا فى تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا أن الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة فى المساعدة على استعادة الرها ولكن فى مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل ان تعود الرها الى قبضة الصليبيين خير من بقائها فى يد المسلمين . فعند عودتها الى المسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطانه على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة انه عثر على خطابين للامبراطور مانويل ارسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجىء دراسة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب القادم عند دراسة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرها .

---

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث Eugène III — ١١٤٥ — ١١٥٣م أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٣١٠ .

(٦٥٩) V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnéne au pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

(٦٦٠) V. Grumel : Ibid., p. 146.

الباب الثالث

نهاية امارة الرها

جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم ابو المحاسن بانهم « اواسط الدول (١) » عرف ابوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بعد مقتل تاج الدولة تتش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة وملك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شأنه . ثم احضر مماليك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم باحضار الأمير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن أخى وانا اولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زنكى هم اواسط الدول فان اول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة بنوبوية ، ثم انشأ بنوبوية بنى سلجوق . وانشأ بنو سلجوق بنى ارتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشأ بنو زنكى (اعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم انشأ بنو ايوب المماليك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ ، ابن أيبك كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٧٠ (أ) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمى بذلك لانه كان مملوكا للسلطان العادل عضد الدولة الب ارسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه واستمر فى صحبته الى حين كبر وافضاء اليه فجعله من اعيان دولته واكابر امرائه واخص اوليائه واعتمد عليه فى اموره كلها وعلت رتبته ومنزلته . الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : حـ ١ ص ١٧٠ ، ب .

(٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٧٠ (ب) .

الأقطاعات السنية (٤) ، ... وأقام الأمير عماد الدين زنكى فى صحبة الأمير كربوقا الى ان توفى ... وعندما تولى جكرمش الموصل — وهو احد مماليك السلطان جلال الدولة ملكشاه — قرب عماد الدين اليه الى ان توفى ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ثم ولى بعده الأمير جاولى سقاووا ، فاتصل به الأمير عماد الدين . ولما تولى الأمير مودود الموصل من قبل السلطان محمد بن السلطان جلال الدولة ملكشاه صحبة الأمير عماد الدين وحضر معه حروبه الى أن قتل مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) فعاد عماد الدين الى الموصل (٥) . فلما أمر السلطان محمد البرسقى بالخروج للجهاد وكتب الى عساكر الموصل بالخروج معه ، ساروا وفيهم عماد الدين فابلى فى هذه الحرب بلاء حسنا وعادت العساكر تتحدث بما فعله وما ظهر له من الشجاعة (٦) . وفى ٥١٦هـ (١١٢٢م) اقطع مدينة واسط وولى شحنكية البصرة (٧) . ثم ولى شحنكية بغداد ٥٢١هـ (٨) (١١٢٧م) ثم ولى الموصل — كما مر بنا — هذا الى جانب ديار الجزيرة . ومن الموصل سار الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم اليه أيضا نصيبين وسنجار والخابور وحران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلها اماكن كانت بايدى المسلمين . ثم بدأ بعد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قد استولوا عليه

---

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصدر السابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر السابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن اتابك زنكى حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج فى الشام فى سنتى ٥١٣، ٥١٥هـ (١١١٩م ، ١١٢١م) بدليل ماذكره ابن أيبك انه فى ٥١٣هـ كسر اتابك الفرنج على جبل السماق كسرة عظيمة (ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٤) وفى ٥١٥هـ كسر اتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤ . والشحنة لفظ فارسى معناه : محافظ المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنا من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل حـ ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناوله بالتفصيل . ويلخص الذهبى صفات زنكى فى قوله « كان فارسا شجاعا ميمون النقيبة ، شديد البأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وايده الأصفهانى فى ذلك بوصفه انه « كان جبارا عسوفا ، نمرى الخلق أسدى الحنق ، لا ينكر العنف ولا يعرف الرفق (١١) » .

وقبل الحديث عن جهود زنكى فى مواجهة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصورة المعبرة عن الموقف بين المسلمين والفرنج عند تولى عماد الدين حكم الموصل فقد قال ابن الاثير : « لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف أهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المسلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب ، واستطار فى البلاد شرر شرهم ، وعم أهلها شديد حيفهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وانصارهم على أهل الايمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد . ومن ديار الجزيرة الى نصيبين وراس العين فاستاصلوا ما لأهلها من اثاث وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ باسلوب المهادنة مع امارة الرهاالصليبية بدلا من اسلوب القوة . ففى ٥٢١هـ (١١٢٧م) ارسل الأتابك زنكى الى جوسلين امير الرها فهادنه مدة يسيرة (١٣) ، او بمعنى آخر دخل معه فى علاقة ود وصداقة حتى ان زنكى عندما أراد ان يرتبط ببوهيموند امير انطاكية ، استخدم فى تلك المفاوضات جوسلين وسيطا (١٤) . وكان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مع امارة

---

(١٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هى شراسة الخلق) .
(١١) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .
(١٢) ابن الأثير : البداهر ، ص ٣٢ — ٣٣ . (التبار والتباب اى الهلاك والخسران) .
(١٣) ابن الأثير : البداهر ص ٣٧ ، الكامل حـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .
(١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 148.

الرهـــا هو التفرغ للاستيلاء على ما بقى له من البلاد الشامية والجزرية واصـــلاح شـــانها والفراغ من اقطـــاع بلادهـــا لجند يختبرهم ويعرف شجاعتهم (١٥) .

ولمـــا فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها « عاد الى الموصـــل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم امرهم للغزاة فتجهزوا واعـــدوا واستعدوا وعاد الى الشـــام وقصـــد حلب (١٧) ». وكـــان ان عزم على الاستيلاء على حصن الأثارب ، اذ كان ذلك الحصن شـــديد الضرر على اهل حلب فقـــد اجتمع فيه عـــدد كبير من فرســـان الفرنج الشجعان وكان « من المســـلمين فى نحورهم (١٨) » . وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيـــة « حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » . لذلك ســـار زنكى الى الحصن ونازلـــه فلما علم الفرنـــج بذلك توجهوا للاقائه فى كامل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

---

(١٥) ابن الاثيـــر : البـــاهر ص ٣٧ ، الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ : ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الأثير : البـــاهر ص ٣٨ ، الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٦) ويذكر (ستون) من جهة أن ذلك كان فى يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابو الفـــدا : المختصر فى اخبار البشر حـ ٣ ص ٣ ، العينى : عقد الجمان ١٦م ١ ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٨) ابن الأثير : البـــاهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (أ ، ب) ابو الفـــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، النويرى : نهـــاية الأرب حـ ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥١٣هـ العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، البـــاهر ص ٣٩ ، ابن الفرات : المصـــدر الســـابق حـ ٣ ص ١٣ (أ) ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب الســـابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٥ ،
Setton : Op .Cit., V. 1, p. 431.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على أن ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م . نجـــد بعض المصـــادر اشـــارت الى أن ذلك كـــان سنة ٥٢٣هـ مثل :
=

والحقيقـــة ان الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا فريقين على رأى ابن الاثير ، فالبعض هونوا امره والبعض طالبوا باتخ اقصى الاستعدادات لملاقاته (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة ، ذلك فقـد اهتموا حينئذ « بجميع الفرســان والأجناد واحضروا من اطراف البــلاد وجمعوا الدانى والقــاصى والمطيع والعاصى واقبلوا جموعهم المحشورة وعساكرهم المجرورة ، وأعلامهم المنشورة وصلبا وبنودهم وملوكهم وكنوزهم (٢٢) » .

ويبدو أن جند زنكى واصــحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمــع الأعــداء (٢٣) فقــد ذكروا له « ان لقــاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدر على اى شــىء تكون العاقبــة » . ولكنــه لم يبــتجب لهــم وقــال ان الفرنــج متى رأونا قــد عدنــا من بين ايــديهم طمعوا وســار فى اثرنا وخربوا بلادنــا ولابــد من لقائهم على كل حــال (٢٤) . لذ ترك زنكى الحصن وســار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجم نصر الله المسلمين وانهزم الفرنج اتبح هزيمة ووقع كثير من فرســا فى الأسر (٢٦) .

=

النويرى : نهايــة الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٢٥ . وروض المناظ مخطوط لحداث ٥٢٣هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ص ٢٧ أن ذلك كان فى صفر ٥٢٣هـ .

(٢١) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

(٢٢) ابن الأثير : الباهر ص ٤٠ . أما تفسير كلمة كنودهم فقد حاشية لمحقق الباهر ص ٤١ أن كلمة لمير الفرنسية Comte هر العربية الى (كند) ، (كند) ، (قند) .

(٢٣) tton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٢٤) ابن الأثير : الكــامل ، حـ ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخط حـ ٣ ، ص ١٣ (ب) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصـ الســابق حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : المصــدر الســابق نفس الصفح أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الأثير : نفس المصــدر والصفحة ، ابن الفرات : نف المصــدر والصفحة ، العينى : نفس المصــدر والصفحة ، ابو شــام الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهايــة الأرب حـ ٢٥ مخط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احــداث ٥٢٣هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاذخان فى القتل (٢٧) » . قائلا ان هـذا اول مصـاف عملقاء معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم فعملوا ذلك (٢٨) ، فلم ينـج من المعركـة الا من هرب اثنـاء الليل او اختفى بين القتلى (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فاستلكه عنـوة (٣٠) » وقتلوا واسـروا كل من فيـه (٣١) ثم خربـه زنكى وجعله دكا (٣٢) .

وبعـد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فارسل من فيـه من الفرنج اليه يطلبون الصـلح ويبذلوا له نصف دخل حـارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان عسـكره كان قـد « كثر فيهم الجراحات

---

(٢٧) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر السـابق ص ٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (ب) ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السـابع ٥٢٤هـ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٥٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ .

النويرى : نهايـة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى : عقـد الجمان :

(٣١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، النويـرى : نهايـة الأرب حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى عقـد الجمـان : حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ، احـداث ٥٢٣هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ٢٠٥ انها حصن حصين وكورة جليلة تجـاه انطاكية من اعمال حلب .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ . Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا (٣٥) » . وعاد زنكى وقد « اشتد أزر المسلمين بتلك الأعمال وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حسبان وصار قصارى همهم حفظ ما فى ايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع (٣٦) » .

وفى شعبان ٥٣٠هـ أبريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الأمير اسوار نائبه بحلب فقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامراة وصبى ومائة الف راس من الدواب وخربوا اللاذقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر فى منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفى ١١٣٧م (٥٣١هـ) أكمل زنكى عملياته العسكرية الأولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع فى امارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويفسر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بانه استغل فى ذلك الوقت وضع الامارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثانى (٣٩) .

ثم سار زنكى على راس قواته واغار على حصن بارين فى شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعندئذ ارسل ريموند أمير طرابلس الى خاله

---

(٣٥) ابن الأثير : الباهر ص ٤٢ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، جـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون فى العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن بعدوين) وهذا غير صحيح .

(٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

William : Op. Cit., V. 2, p. 85.

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٧ أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٨٩ ، الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص٢٣٢ .

ملك القدس « بتوسلات جادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرعة لمساعدتهم فى وضعهم الذى يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجاب الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاه والفرسان وبسرعة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى فى ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قام بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكمن لهم كمينا ووضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا فيه وتبعوه فوقعوا فى الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بارين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

---

(٤١) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 70.

(٤٢) William : Ibid V. 2, p. 85.

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقمامصة جمع قمص والقومص تعريبه حرفى للفظة اللاتينية (Comes) ومعناها (الرفيق) لانه كان فى بادىء الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت فى اللغة الفرنسية الى (Comte) واعتادت المراجع العربية أن تعربها الى (كد) ، (كند) ؛ (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

(٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب : مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشاه او اسروا (٤٨) . لذلك احتمى بحصن بارين (٤٩) فى حين اسر امير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) . « وغنم العسكر الاسلامى سوادهم واثقالهم وكراعهم (٥١) » . ولم يحمل اللاجئون معهم الى داخل القلعة بل حملوا فقط اسلحتهم ، وقد ادرك زنكى هذه الحقيقة ولذا عزم على تجديد الحصار لبارين ، وكان واثقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) . « فحصرهم ومنع عنهم كل شىء حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من اخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زنكى) على جنوده (٥٣) » .

وفى نفس الوقت كان الفرنج الذين فى الحصن واثقين من حصانته ، متيقنين انه لا يمكن لاحد ان ينالهم بسوء وهم به معتصمون (٥٤) . ولكن ذلك لم يمنعهم من الانفاق على طلب النجدة من القدس والرها وانطاكية وبالفعل سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة سريعة (٥٥) . ولم يقتصر طلب النجدة على الامارات الصليبية فى بلاد الشام فقط بل تعدتها الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

---

(٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، البداهر ، ص ٦٠ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٣٤هـ) ؛ النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى تتمة المختصر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ،
William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٩١ (أ) .

(٥٢) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87.

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الاثير : البداهر ، ص ٦٠ .

(٥٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 87-88.

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج

اما زنكى فقد اشتد فى تضييقه الحصار على من بالقلعة حتى قلت الاقوات والذخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب المحاصرون الامان من زنكى على ان يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك (٥٩) . « وأبى الا أخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا عن اقتراب الجيوش التى اتت من الامارات الصليبية الثلاث الاخرى لنجدة المحاصرين (٦٢) - وافق زنكى على طلب الأمان « وقرر على المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا باخبار اقتراب جيوش النجدة

الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٥٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Clt., V. 2, p. 90

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (أ) .

(٦٢) William : Op. Clt., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Clt., p. 358, Prawer : Op. Clt., T. 1, p. 323 ,Setton : Op. Clt., V. 1, p. 438. ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصادر الاسلامية فى وصفها (٦٤) . اما المصادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرها وانطاكية وبيت المقدس (٦٥) . هذا الى ان المصادر العربية والافرنجية اختلفت من جديد فى موقف اولئك المسيحيين بعد ان اطلق سراحهم وبعد ان عرفوا بقرب النجدة منهم . فبعض المصادر الاسلامية اكتفى بقوله انهم « ندموا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قال ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سألتهم عن حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا عجزتم عن حفظه يوما او يومين . فحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حضرنا الى الآن . فلما سمعت الاخبار عنا ظننا انكم قد اهملتم امرنا وقعدتم عن نصرنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن وافتدينا به ماوراءه (٦٧) » .

اما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراحهم توجهوا جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم ان اميرى انطاكية والرها بالقرب منه ، فقابلهم الملك بتأثر عظيم وشكر شعورهم الاخوى وعنايتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لاجين

---

(٦٤) يذكر ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم) وفى البداهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية) ويذكر هذا الراى ايضا ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، وبعض المصادر تذكر (تحققوا خروج ملك الروم لنصرتهم) مثل ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ . اما التويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى . عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .

(٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٦٧) ابن الاثير : البداهر ، ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٨ .

(٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

فلم يزل فى يده ويد أولاده الى عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .

والواقع أن استيلاء زنكى على بارين كان من أهم الأعمال التى احرزها فى مواجهة الفرنج بالشام وهو ما عقب عليه برونيه بقوله « كان الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا اهمية كبيرة ، لانه أعاد اراضى زراعية لمدن حماه وحمص كانت معرضة على الدوام لخطر الهجوم الفرنجى (٧٠) » .

وفى نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى أيضا على المعرة وكفر طاب وكان ذلك « فى مدة مقامة على بارين (٧٢) » . باجماع معظم المصادر الاسلامية ، فى حين انفرد ابن ايبك بالقول أن ذلك كان « بعد فتح بارين (٧٣) » . وقد دفع زنكى الى أن يخطو تلك الخطوة أن الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسلمين لتوسطهما البلاد الاسلامية (٧٤) » . والواقع أن المصادر الاسلامية اسهبت فى الكلام عن عدل زنكى الشديد خاصة مع أهل المعرة بعد استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقد صور عدله هذا بروايتين الأولى

---

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .

(٧٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، روض المناظر : مخطوط احداث ٥٣١هـ . فى حين ينفرد ابن الأثير : الباهر ص ٦١ بالقول أن ذلك كان ٥٣٤هـ أما الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٥ فيقول أن ذلك كان ٥٢٩هـ ، بينما يذكر ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٨هـ أن ذلك كان ٥٢٨هـ . ولكن المرجح أن استيلاء زنكى عليهما كان فى ٥٣١هـ.

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٤١ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ؛ الغزى : نهر الذهب حـ ٣ ص ٨٩ .

(٧٣) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٤ .

عن ابن الأثير (٧٥) ومن أخذ عنه والنعانية لابن واصل (٧٦)ومن أخذ عنه .

وفى ٥٣٢هـ صيف ١١٣٨م سار أتابك الى حصن عرقه وهو من اعمال طرابلس فحاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيه (٧٧) . وفى المحرم ٥٣٣هـ ــ ٢٧ سبتمبر ١١٣٨م « فتح أتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الأتارب التى كان الصليبيون والبيزنطيون قد استولوا عليها ٢١ ابريل ١١٣٨م (٧٩) . وفى ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كانت موقعة الزيتون مع أتابك زنكى التى هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم عشرين الف شخص على تل الشعالب (٨٠) وفى نفس السنة ايضا قتل زنكى من أهل العريش الف رجل كانوا قد اتفقوا مع الفرنج على ان يسلموهم بلاد المسلمين (٨١) .

وفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م اغار عماد الدين زنكى على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد الى حلب محملا بالغنائم والسبى (٨٢) . وقيل أن الذى قام بذلك هو نائب زنكى فى حلب سيف الدين اسوار (٨٣) . وفى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وهى السنة التى سبقت فتح الرها على يد زنكى

---

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : حـ ٣ ص ٨٩ ؛ العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (أ) .

(٧٧) ابن الأثير : البباهر ، ص ٥٧ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٩
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.
Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

(٧٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329.

(٨٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

(٨٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣٧ ، العينى : المصدر السابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جعبين والوزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراسة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين فى عصر الحروب الصليبية أن العلاقة الطيبة التى كانت تسود بينهما احيانا بدافع العداء للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصالح المتضاربة مما ادى فى كثير من المراحل الى اثارة الشقاق والخلاف بين الجانبين مما سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شاهد على ذلك تمكن زنكى من اسقاط امارة الرها .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجى البيزنطى (٨٥) أو كما يسميه البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العلاقة بين الدولة البيزنطية وامارة انطاكية — احتل مكانا مهما بين صفحات المصادر والمراجع التى تناولت دراسة الثلاثينات والاربعينات من القرن الثانى عشر للميلاد ، السادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشىء من التفصيل للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقع أن طبيعة الحلف الفرنجى البيزنطى لا يمكن فهمها فهما واضحا الا فى ضوء العلاقات البيزنطية الأرمينية من ناحية والعلاقات البيزنطية الأنطاكية من ناحية اخرى . وقد مر بنا كيف كان البيزنطيون ناقمين على الطرفين ، اذ اعتبروا أن امراء آل روبان الأرمن سلبوا تيليقية منهم واغتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هذا الى جانب انطاكية التى كانت محط اطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فاننا فى علاجنا لسقوط امارة الرها نجد انفسنا مضطرين للوقوف والتساؤل عن السبب المباشر لتحرك الامبراطور حنا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣م / ٥١٢ — ٥٣٨هـ) فى سنة ٥٣١هـ ١١٣٧م مما ادى الى عقد حلف فرنجى بيزنطى فى تلك السنة ؟

---

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٧ .

(٨٥) Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 94.

(٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٨٧) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 88.

الواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف فى المصادر العربية عنها فى المصادر والمراجع الأجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى أن سبب تحرك الامبراطور الى الشام ٥٣١هـ ١١٣٧م هو استنجاد الصليبيين به بسبب حصار زنكى لبارين وانه فى طريقه اخضع « ابن ليون الأرمنى » ثم توجه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلانسى المعاصر لحملة الامبراطور هذه يظهر فى تاريخه ان الامبراطور خرج اولا واستولى على بلاد (ابن ليون) فى الوقت الذى كان زنكى موجودا بالموصل وانه عندما قدم وحوصرت بارين كان الامبراطور لايزال فى بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجاد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كان وهو فى أرمينيا وانه لم يعد حملة بسبب بارين بالذات .

اما المصادر والمراجع الأجنبية فتذكر انه حدث فى ١١٣٧م ان انتهى الخلاف بين ريموند دى بواتييه (٩٠) . وليو الأرمنى بوساطة جوسلين الثانى بينهما وتعهد الجانبان بالاتحاد معا ضد

---

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ... فتجهز الروم وساروا الى انطاكية وهى لهم عندئذ فارسوا بها منتظرين المراكب التى فيها الاثقال والسلاح فلما وصلت ساروا الى مدينة تيقية فنازلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدى اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنه والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى فحصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة » . واذا كانت كل المصادر تذكر أن خروج ملك الروم كان فى ٥٣١هـ فان العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر أن ذلك كان ٥٣٠هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ بالتواريخ « فى ذى القعدة ٥٣٠هـ وقيل اول المحرم ٥٣١هـ خرج بملك الروم من القسطنطينية . وفى شعبان ٥٣١هـ توجه عماد الدين اتابك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفى شوال نزل زنكى على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من ايدى الافرنج . وفى ذى القعدة نزل بملك الروم على انطاكية وضايقها وجرى بينه وبين صاحبها مصالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السريانى ريموند دى بواتييه Michel : Op. Cit., p. 245. (Bedawi)

أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن المظيمى) فيسميه بيمند بن بيدنس الأفرنجى) .

البيزنطيين (٩١) . وجاء هذا التحالف الجديد مهددا لمصالح الامبراطور حنا كومنين الذى كان يرغب حينئذ فى اثبات حقوقه فى كل من انطاكية وقيليقية (٩٢) لهذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان محتلئا بالغضب ضد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصة وطرسوس واذنه بل واخذ ليو نفسه اسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض أولاده (٩٤) .

ومعنى هذا ان الامبراطور كان قد رتب بالفعل لحملته التى قام بها ضد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا عن للامبراطور أثناء توجهه الى الشام كما ذكر بريبيه « ان الامبراطور اثناء عبوره قيليقية بجيشه الكبير استولى على طرسوس ثم ظهر امام انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته فى الاستيلاء على قيليقية بعد ان علم بالفقرة الاخيرة من الصلح بين الأمير ليو ورويموند الشتاتى ثم لرغبته ايضا فى القضاء على انطاكية التى شغلت عصا الطاعة لمدة فترة وجيزة بسبب الصلح الأخير ، أما موضوع بارين فقد استجد بعد خروجه بالفعل .

وفى بداية ذى القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية . هنا تكتفى المصادر الغربية بالقول بأن الامبراطور وامير

---

(٩١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen : Op. Cit., p .358 عن (Orderic).

(٩٢) Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٩٣) Michel : Op. Cit., p. 245.

(٩٤) Grégoire Le Prêtre: Op. Cit., p. 152, Michel: Op. Cit., p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer. : Op. Cit., p.p. 191 -192.

وربما هذا ما اشار اليه ابن العديم بقوله « لما فتح ملك الروم بلاد لاون بن روبال دخل اليه لاون متطارحا فقال : أنت بين الفرنج والأتراك لا يصلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٩٥) Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

انطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) » ليستكمل فتحها . والواقع ان تلك الكلمات الموجزة فى المصادر العربية هى نفسها التى تشير الى الحلف الفرنجى البيزنطى الذى نقصده ، والذى تناولته المصادر والمراجع الاجنبية بالتفصيل . ذلك انه حدث فى اغسطس (٩٧) ١١٣٧م ان ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية وحاصرها وطالب باخذها (٩٨) وعندئذ اسرع امير انطاكية بارسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيره فى الموقف . وقد رد الملك بانه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة فى انطاكية (٩٩) . عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطى والانطاكى وهى المفاوضات التى يذكر (برييه) أن اهالى انطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) . لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق .

---

(٩٦) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ عن (العظيمى) .

(٩٧) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325,

(٩٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.

(٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 عن (Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

(١٠٠) Bréhier : Op. Cit., p. 101.

(١٠١) حاشية عن Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. (Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky : Op. Cite., p. 336.

عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97. هنا يذكر برييه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان فى معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدهما ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ ، الذى يذكر « خرج ريموند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم فى عسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية ». ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال » (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٧ ص ١٠١) .

على « ان يساعد الامبراطور فى الاستيلاء على حلب وشيزر وحمص وحماه وان يمنح تلك المدن لريموند كاقطاع له يحكمه من قبل الامبراطور وفى مقابل ذلك يستعيد الامبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الامبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٣٨م لاستعادة تلك البلدان المشار اليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف او الاتفاق على النواحى السياسية فقط بل تعداه الى ناحية دينية مهمة وهى ان الامبراطور شرط فيه « ان يصبح بطريرك انطاكية من الآن فصاعدا بيزنطى ارثوذكسى (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلانسى بين المصادر العربية بالاشارة الى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع ان ذلك الجانب الدينى من الحلف هو الذى جعل جروسية يعقب عليه بقوله « ان ذلك التنازل — من جانب الصليبيين — لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا ايضا . فقد كانت كل خطوة فى الغزو البيزنطى لهذا الاقليم تعتبر نصرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الارمينية (١٠٦) » .

وفى ذى الحجة ٥٣١هـ (١٠٧) — سبتمبر ١١٣٧م (١٠٨) غادر الامبراطور انطاكية واكتفى برفع الراية الامبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه الى « بغراس ومنها الى بلاد ابن ليون (١١٠) »

---

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Brhier : L'Eglise, p. 101, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147; Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

(١٠٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ .

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147.

(١٠٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ .

(١٠٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٩) Brehier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٥ .
والغريب ان هذه المصادر تذكر ان ابن ليون صالح الامبراطور بالاموال =

على أساس العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل أن ننتقل الى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود أن نشير الى أن بعض المصادر العربية المعاصرة للحلف اشارت الى أنه كانت هناك مراسلات بين الامبراطور وزنكي بعد انهام عقد ذلك الحلف ، فقد أنفذ الامبراطور رسولا الى زنكي في الثماني والعشرين من ذي الحجة ٥٣١هـ (١١١) ، فرد زنكي على تلك السفارة بسفارة أخرى معها « هدية الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور (١١٢) » . فصاد اليه رسوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم أخبره أنه يحاصر بلاد لاون (١١٣) » . فماذا كان يقصد الامبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كان يستهدف التمويه على ماتضمنت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطي ، كي يبعد عن الحلف أي شكوك زنكي وبالتالي تهديداته وبذلك تتاح الفرصة لتنفيذ الاتفاق ؛ ربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الامبراطور من وراء ذلك كسب زنكي الى جانبه حتى اذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة الصليبيين تجاهه ؛ ضم زنكي الى جانبه فيصبح الأخير سندا له لطعن الصليبيين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقارب المصالحة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من امر ، فانه بعد ان لبى الامبراطور شهور الشتاء في قيليقية تقدم الى الشام بجيوشه في ربيع ١١٣٨م (١١٤) (٥٣٢هـ) « فقد اراد ان يمارس حقوقه الخاصة بنفوذه على

=

وتدخل في طاعته . ولكن الحقيقة كما ذكرت المصادر الارمينية نفسها كما بينا ان ابن الأرمني كان قد اسر وارسل الى القسطنطينية قبل تقدم الامبراطور الى انطاكية وانه ربما توجه الامبراطور الى بلاد الأرمن في هذا الوقت لاستكمال فتحها فقط .

(١١١) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٩١ (عن المطبعي) .

(١١٣) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة (وقد اشار كاهين الى تلك السفارات بقوله أنه في شتاء ١١٣٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين) Cahen : Op. Cit., p. 360.
William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, (١١٤) p. 325.

اتباعه (١١٥) ، لذا أرسل رسله ومعهم مرسوم امبراطوري الى كل من امير الرها وامير انطاكية يدعوهما للمسير للجرب معه (١١٦) .

وبدأت الخطوة الأولى لتنفيذ الأتفاق الفرنجي البيزنطي في فبراير ١١٣٨م — المحرم ٥٣٢هـ عندما قبض حاكم انطاكية على كل التجار والمسافرين من حلب كي لا تتسرب اخبار الاستعدادات الصليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش اضاعت حوالي اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

---

(١١٥) Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101. وهنا يذكر بريهيه أنه دهاهم لحصار شيزر أما في كتابة الثاني فيقول أنه دهاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
أما ميخائيل السرياني فيذكر أن الصليبيين أرادوا أن يخدعوا الامبراطور فخرج الى قيليقية فذهبوا اليه هنيئة وعملوا اتفاقا جديدا وعاد الامبراطور معهم لحصار حلب .
(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٥ ،
Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٨)
Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كلّ من جروسية وكاهين
ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني
(Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٦ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، جـ ١٦م اص ٩٨ وتفصل بعض المصادر ما حدث لأهل بزاعه عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعة في يد امراة فسلموه الى الروم بالأمان بعد ان توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم واسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسلم =

(حوالى مارس ١١٢٨م) والواقع ان الوقت الذى ضاع امام بزاعة لم يكن فى مصلحة الجيوش المسيحية « فقد ضل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، واتذروا من بحلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا اتابك زنكى بذلك فوصله الخبر وهو على حمص (١٢٠) » وكان ذلك الانذار لاهل حلب قبل الاغارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتاح لعماد الدين زنكى ان يرسل اليهم فى الحال « الامير سيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس فى اربعة من الامراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينة بالمؤن والسلاح ووزع الدفاع منها بين رجاله وبين اهل المدينة أنفسهم (١٢٣) » . ثم قدم الروم والصليبيون الى حلب « فقاتلهم احداث البلد قتالا شديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فاقاموا ثلاثة ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجه الروم الى الاثارب وملكوها بعد أن هرب اهلها منها وطرحوا النار فى خزائنها (١٢٥) . ثم وضع الروم

أو يزيدون . وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالى اربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى ودخنوا على من دخل المغاير فهلكوا » ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الاثير . الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم . زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن واصل ؛ مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٦ ، روض المناظر : مخطوط احداث ٥٣٢هـ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ . اما التاريخ المنصورى فيذكر ص ١٦٦ — ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٣هـ) وهذا خطأ .

(١٢٠) ابن العديم : المصدر السابق حـ ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .
(١٢١) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ .
(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدل والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٤ (أ) .
(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ : ذكرا ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل . مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ؛ حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ .
(١٢٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٥ (وكان ذلك فى ٩ شعبان) ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقة ٤٨
Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 103.

اما ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٣٣ فيسمى الاثارب (الاتاود)

اسرى وسبايا بزاعة بالأثارب ، فتوجه اليهم الأمير سوار من حلب وخلصهم وانزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجه ملك الروم الى معرة النعمان فاستولى عليها كما استولى ايضا على كفر طاب (١٢٧)

اتفق الامبراطور البيزنطى بعندئذ مع الفرنج واجمعوا على التوجه الى شيزر ومنازلتها (١٢٨) . والمعروف أن شيزر حصن منيع على مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير ابو العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى (١٣٠) . وترجع أهمية تلك المدينة الى انها احدى المدن التى وعد الامبراطور بالمساعدة فى الاستيلاء عليها فى مقابل استعادته لانطاكية (١٣١) ، فضلا من انها مدينة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكرى هام (١٣٢) . وكان الفرنج هم الذين اشاروا على الامبراطور بالتوجه الى شيزر بدعوى « أنها ليست لانابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

---

(١٢٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ؛ سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ؛ روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٢هـ . التاريخ المنصورى ص ١٦٧ ؛ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٢ ص ٩٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ — ٩٩

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103.

(١٢٧) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ (المعرة فى الثالث عشر من شعبان وكفر طاب فى منتصف شعبان) ؛ Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢

Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٥ ؛ ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ؛ ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السابع ٥٣٢هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٩ .

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104.

(١٣٢) Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ؛ الباهر ص ٥٥ .

يمنع أميرها أبو العساكر سلطان من الاستنجاد بالأتابك عماد الدين زنكى الذى سارع لنجدته (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر فى شعبان ٥٣٢هـ ابريل ١١٣٨م (١٣٥) . « فى مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصى الا الله (١٣٦) » . وفى الحال اسرع زنكى لنجدة لمارة شيزر ونزل على نهر العاصى بينها وبين حماه (١٣٧) . ولكنه لم يجازف بالدخول مع المسيحيين فى حرب مباشرة بسبب ضخامة عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) ». أما الجيش المسيحى فقد شدد الهجوم على المسلمين فى حين كان دور الامبراطور البيزنطى بارزا جدا فى تلك المعركة يفوق دور حلفائه الصليبيين . وقد أورد لنا وليم الصورى وصفا كاملا لجهود الامبراطور حينئذ (١٣٩) . ويبدو أن اميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

---

(١٣٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين - ميكروفيلم الباب السابع حوادث ٥٣٢هـ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨١ ؛ سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ٥٢ ؛ أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٤٢ .

(١٣٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٦ ، أما سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ فيذكر أن ذلك كان فى شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440. Grousset : Hist. des Croia., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p .104.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ؛ ابن واصل مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٨ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٤٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٨ — ٧٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب : جـ ١ ص ٥٢ أبو الفدا : جـ ٣ ص ١٣ ؛ ابن الوردى : جـ ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٦ .

(١٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

واكثر من ذلك فيقلة اهتمامهما بمواصلة الحرب اثروا على الاخرين بقللوا من دورهم الايجابى فى الحصار (١٤٠) .وبهذا كان تفكك جهود الحلفاء عند شيزر من اهم العوامل التي ادت الى فشلهم فى الاستيلاء عليها . اما الاسباب المتباينة التى ادت لرفع الجيوش المسيحية حصارها عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ — مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

اولها الاسلوب الذى اتخذه زنكى فى مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول فى البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف فى قلوبهم من قوته وقوة اتباعه فقال لهم « انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع انه لم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ، الايقاع بالحليفين البيزنطى والفرنجى « فكان زنكى يرسل الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعها فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رفع الحصار عن شيزر ان زنكى عندما كانت الجيوش المتحالفة محاصرة لبزاعة ، « ارسل القاضى كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102. (١٤٠)
Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ ؛
Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، البارع ص ٥٥ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨١ — ٨٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، البارع ص ٥٦ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٥ مخطوط ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر (١٤٤) » . ولكن القاضي لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رفاقه في جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجدتها ـ لانه اثناء اعدادها « وصل كتاب ابلك زنكي من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » ـ فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوامل التي شجعت على رفع الحصار عن شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات في جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) ».

على ان المصادر والمراجع الاجنبية القت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى انطاكية والرها اللذين تركا العبء الاكبر في المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والعبث (١٤٧) .

« وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو ان الامبراطور عندما فقد الامل في تحقيق نصر جماعي على شيزر « فكر في الحصول على نجاح شخصي يسمح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

---

(١٤٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ؛ ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٤٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ـ ٨١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العيني عقد الجمان ؛ حـ ١٦م ١ ص ١٠٠ .

(١٤٦) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٨ ،

(١٤٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.

William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 101 — 102.

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois.. V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 328, 331, Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(١٤٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110.

لذلك انتهز الامبراطور فرصة ارسال امير شيزر اليه متوسلا ان يحفظ مدينته فى مقابل دفع مبلغ من المال فوافق الامبراطور على هذا العرض (١٥٠) . وربما هذا هو الذى دفع البعض الى القول « بأن امارة شيزر كانت تارة محالفة للفرنج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عامل عجل برفع الامبراطور وبالتالى حلفائه الحصار عن شيزر وهو ما بلغه من اخبار عن مهاجمة السلطان مسعود سلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينة اذنه (١٥٢) . لذلك لم يكد امير شيزر يدفع المبلغ المتفق عليه للامبراطور حتى رفع الحصار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء فاشلة (١٥٤) . وكان انسحابهم على تلك الصورة من اهم الانتصارات التى احرزها زنكى فى ذلك الوقت ؛ لذا كافاه السلطان بارسال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحالف الفرنجى البيزنطى فى ١١٣٨م فى تنفيذ الخطة التى تم الاتفاق عليها ١١٣٧م . وكان الكسب الوحيد الذى احرزه الامبراطور من كل تلك الجولة الطويلة هو ما اخذه من مال من امير شيزر العربى فى مقابل انسحابه عن مدينته . وباخفاق الحلفاء فى الاستيلاء على المدن التى سيعوض بها امير انطاكية فى مقابل استرجاع الامبراطور لانطاكية ، قرر الامبراطور العودة الى انطاكية وفى نيته وضع يده عليها بحكم سلطته .

---

(١٥٠) William ; Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit.. p. 362, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٤

هنا يذكر جروسية أن امير شيزر قدم للامبراطور بعض الخيول وبعض الملابس الحريرية الموشاه بالذهب ومنضدة قيمة وصليب مرصع بالياقوت الاحمر : والمنضدة والصليب سلبا من الامبراطور رومان ديوجين بعد كارثة منزيكرت .

(١٥١) Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٥٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.

(١٥٣) William : Op. Cit,. V. 2, p. 96.

(١٥٤) تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥٣٢هـ ؛ التاريخ المظفرى : مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .

(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨٣ .

وفعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر العظمة واستقبله البطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتييه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشدد وان يتحاشى اى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص (١٥٨) » . وبعد عدة ايام استدعى امير الرها وامير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق الذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى أصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كى تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا فوجئوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى انقذ الموقف — كما مر بنا — بان طلب من الامبراطور مهلة للتشاور فى الامر ثم بما كان من اتصاله باهالى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شغب الجماهير وتعرضوا بالاذى حتى لافراد اسرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيار

---

(١٥٦)
William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.
(١٥٧) Cohen : Ibid., p. 362.
(١٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 112.
(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع الملاحق)
William : Op. Cit., V. 2, p. 98,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223, Bréhier : L'Eglise ... p. 102,
(١٦٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.
William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده فدعا الأمراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ؛ ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب فى اليوم التالى (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن أميرى الرها وأنطاكية كانا يجهلان أن الامبراطور أدرك جيدا ما يجيش فى صدروهما ، لذا اسرعا بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « أن امير انطاكية أبدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المدينة الى أيدى الامبراطور (١٦٢) » .ولكن الراجح أن امير انطاكية لم يقدم ذلك العرض السخى للامبراطور الا لعلمه أن الامبراطور لم يعد يفكر فى ذلك الوقت الا فى الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع ان الامبراطور لم يرغب فى ذلك الوقت فى استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا اخبرهم « بان اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . وبعد أن أعاد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتية « طلب منه الاحتفاظ بالقلعة وبكل انطاكية وان يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى تيليعيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد ان وعد حلفاءه السلجوقيين بالعودة مرة اخرى وبقوة أكبر لتنفيذ الاتفاق الذى عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب المرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى فى ٢٨ مارس ١١٣٨م

---

(١٦١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Epopée, p. 158, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(١٦٣) Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 120.

(١٦٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 102.

(١٦٥) Grousset : L'Epopée, p. 158.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذى استنكر فيه وصول الامبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الامارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة انه ربما كان الدافع الأكبر الى اصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الاشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على احلال بطريرك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الامبراطور فى قيليقية بالاجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الامبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة — وبعد مرور أربع سنوات على خديعة حلفائه الصليبيين له ١١٣٨م — لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق ان تم بينه وبينهم ١١٣٧م ان هناك اسبابا أخرى دفعته الى المجىء تلك المرة ؟ حقيقة ان امير انطاكية كان قد ارسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكى ويرجوه الحضور الى امارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الامبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على انطاكية . والدليل على ذلك انه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وانما وصل فجأة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار امام تل باشر (١٧٠) » . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يضمن ولاء جوسلين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد انطاكية لذا طلب من امير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة ، فانه ارسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) » ثم تقدم الامبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من انطاكية .

والحقيقة ان الامبراطور كان ينوى تكوين امارة على الحدود لابنه

---

(١٦٨) William : Op. Cit., V.-2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit., p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٧٠) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124

(١٧١) William : Ibid., V. 2, p. 124.

مانويل تشمل على الأناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفى نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية أبدا بعهودهم (١٧٣) .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل الامبراطور رسلا الى أمير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن المجاورة التى بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع أمير انطاكية فى حرج لأنه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المعقود بينهما . واخيرا اتفق أمير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين فى ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاها بعد زواجه ؛ وليس لزوجته ايضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرأيهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين فى ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لاقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين فى انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن فى امكانه القيام بعمل عسكرى ايجابى لتحقيق هدفه فى ذلك الوقت لأن الشتاء كان قد اقبل ببرده القارس (١٧٧) ، فاكتفى البيزنطيون بنهب

---

(١٧٢) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (Kinnamos)
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

(١٧٣) Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224.

(١٧٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.
يوسف الدس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٥

(١٧٥) William : Op. Cit., V. 2. p. 124.

(١٧٦) William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 2, p 126, Archer : Op. Cit., 19?

اطراف المدينـــة (١٧٨) . ثم انسحبوا الى قيليقية على اســـاس العودة في الربيـــع لتحقيق مطامعهم في انطاكيـــة (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم أن الحقوق البيزنطيـــة في انطاكية لها سندها التاريخي فضـــلا عن تأكيد الصـــليبيين انفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات عام ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكي يخفي الامبراطور غرضـــه الحقيقي تجـــاه انطاكيـــة في ذلك الوقت ارســـل ســـفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقـــدس يعرض عليه رغبته في التوجه الى القدس لزيارة الأماكن المقدسة (١٨١) ، فضـــلا عن وضـــع قواته في مواجهـــة العدو في تلك الأجزاء (١٨٢) . وكان أن عقـــد الملك مجلســـا للتشـــاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مـــع بعض رســـله مرحبا بالامبراطور في حجـــه الى القـــدس بشرط الا يصطحب معـــه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لأن مملكته لا يمكنها أن تقدم المؤن لعدد اكبر من هـــذا والا تعرضت لمجاعـــة (١٨٣) . وقـــد اغضب هـــذا الرد الامبراطور ولكنـــه كظمـــه وحمـــل الرســـل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفي نفس الوقت ازداد تصميما على اعـــلان

---

(١٧٨) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.
الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٥
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والمرجع الأخير يذكر سببا آخر لموافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الأكبر الكسيوس . عن
(Otto of Freising)

(١٧٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ .

(١٨١) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٣) William : Ibid.. V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.
(النص الكامل لرد الملك مع اللاحق)

(١٨٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud · Op. Cit., V 2, p. 87.

الصراع العلنى ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته فى ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية ان يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكى يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية فى قيليقية ؛ لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامير الصليبى الى الذهاب للقسطنطينية راعلان ولائه للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفى فيها أيضا الملك فولك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحى كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين فى تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تمثل بداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك ان اميرها جوسلين الثانى كما سبق ان ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من أمراء الامارة السابقين ؛ ولكن الظروف نفسها خدمته وجعلت زنكى يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء فى الموصل او فى حلب . بل هادنه زنكى حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طرفا فى الحلف الفرنجى البيزنطى فى السنوات الأخيرة من اهم الاسباب التى جعلت زنكى يؤجل تسديد ضربته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصدع التحالف الفرنجى البيزنطى — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكى تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق فى اسقاطها كما سنرى .

---

(١٨٥)
William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)
Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1, p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان فى ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شلمبرجية فذكر ان الملك فولك توفى فى ١٣ نوفمبر ١١٤٤ والراجح انه أخطأ فى ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصـــراع بين امارتى الرهـــا وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هـذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقـــة بين الامارتين ولكننا هنـــا سنركز على مراحل النزاع والخـــلاف فقط بين الامارتين . لأن ذلك سيترتب عليه تصـــدع الوحـــدة الصليبية نفسها فى شمال بلاد الشـــام فـــاذا اضيف هـــذا الى التصـــدع الســـابق بين تلك الجبهـــة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق ممهدا أمام زنكى لتسديد ضربته الكبرى ضـــد امارة الرهـــا .

فقـــد مر بنا كيف بدات جـــذور العداء بين امارتى الرهـــا وانطاكية منذ وصـــول بوهيموند الثـــانى الى انطاكية ١١٢٦م — ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثـــانى ضاعت آمال جوســـلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العـــداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م — ٥٢١هـ فى التســـابق لاحراز مكاسب على حســـاب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قـــد انهوا ذلك الموقف الشـــائك بدفـــع المـــال للفرنج (١٨٨) ، الا أن الصراع استمر بين الأميرين الصـــليبيين على أرض امارة انطاكية واستعان فيـــه جوســـلين بالأتراك ضـــد بوهيموند (١٨٩) وكان أن اغار امير الرهـــا وحلفاؤه على انطاكيـــة ونهبهـــا (١٩٠) . ولمـــا وصـــل الأمر الى تلك الدرجـــة من الخطورة اسرع الملك بلدوين الثـــانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضـــاء على هـــذا الشقاق بطريرك انطاكية برنارد دى فالنس الذى اصـــدر قـــرار الحرمـــان ضـــد الامـــارتين كى يعيـــد الأميـــرين الى صوابهما (١٩٣) . كما أمر باغـــلاق الكنـــائس وايقـــاف كل الطقوس

---

(١٨٨) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V.1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصادف عندئذ أن مرض جوسلين مرضا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ماهو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما اكده متى الرهاوى بقوله « ان بوهيموند استطاع بسلطته التى لا تقهر أن يخضع لنفوذه أمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بسيادته (١٩٦) ».

وفى فبراير ١١٣٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفى بوهيموند الثانى (١٩٧) وحاولت أرملته السيطرة على الحكم — كما مر بنا — وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعى من الحكم . وعندئذ اسرع بلدوين الثانى من جديد ومعه جوسلين دى كورتناى ليوقفا تصرفها هذا واصدر والدها — على كره منها — مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها أميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفى جوسلين الأول وتولى جوسلين الثانى مكانه أن رفض أهالى انطاكية وبطريركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم فى امارتهم (١٩٩) . وفى١١٣٦م — ٥٣٠هـ تزوج ريموند دى بواتييه من الأميرة كونستانس واصبح أميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفى ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين امام شيزر نلمح تجدد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التى كتبها وليم الصورى حين يقول أن الأمير جوسلين الثانى

---

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٢٠٠) Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

حـــاول أن يوغر صـــدر الامبراطور ضـــد الأمير ريموند الثـــانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الامبراطور (٢٠١) . ولو اننا لا نستبعد ان يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراويه راجع الى سوء علاقاتـــه بأبناء جوســـلين الثـــانى (٢٠٢) . والواقع أن الامارتين الشماليتين كانتا فى غالبيـــة الأحيـــان متنازعتين ولكن جهود الملك بلـــدوين الثـــانى شجعت باســـتمرار على توحيـــد الامـــارتين فى اطـــار المصـــلحة الصـــليبية العـــامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والأجبـــار كما تعـــددت على ذلك الأمثلة من قبل . أما خليفـــة بلدوين الثـــانى ــ الملك فولك ــ فانـــه لم يستطع فى غالبية الأحيـــان بسط نفوذه على امـــراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحـــا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى أبنـــه بلدوين الثـــالث العرش تحت وصـــاية أمـــة ميلزاند (٢٠٥) ضـــعفت الفرصـــة للسيطرة على امارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الامارتين حتـــى أن أميـــر الرهـــا ــ كمـــا رأينـــا ــ ابتهـــج لســـقوط امـــارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصالحه هو الآخر .

---

(٢٠١) William : Op. Cit., V. 2, p. 97.

(٢٠٢) Zoé : Op. Cit., p. 295.

(٢٠٣) والحقيقـــة أن جهود الملك بلدوين الثانى (مارس ١١١٨م ــ اغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الامارتين الشماليين بل تعبر حكمه بانه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعمت ؛ حتى ولو نطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المســـلمين المجاورين والتى وقـــع الملك فى احـــداها اسيرا فى أبريل ١١٢٣م . (Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

(٢٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

هنـــا يعلـــق (هيفـــل) علـــى حكـــم فولـــك ومبلرانـــد بانه « كان بداية انحلال اعقاب الصـــليبيين فى الشرق »

(٢٠٥) Charles-Hefele : Op. Cit., T V. Part 1, p. 802.
Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802

(٢٠٦) William : Op Cit., V. 2, p. 201.

سقوط الرهـا فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) ـ ٥٣٩هـ .

(أ) الظروف المشجعة لزنكى على التقدم الى الرهـا :

كان استيلاء عماد الدين زنكى على الرهـا اهم خطواته فى جهـاده الاسـلامى ضـد الصليبيين والذى استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيـام بذلك العمل الهـام عـدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرهـا الخارجيـة وبعضها يخص الرهـا فى الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على **الحوافز الخارجيـة** ، نجـد اننا قـد اشرنا اليهـا اثناء تناولنا للحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين الرهـا وانطاكيـة . فغالبيـة المصـادر والمراجـع الأجنبية تضـع فى المقـام الأول ، ذلك الصراع الشـديد بين أميرى الرهـا وانطاكيـة والذى كان قـد وصـل الى حـد الصـدام العلنى ، حتى أن كلا منهما كان يفرح لمـا يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهـذا ايضـا الحافز الثـانى وهو انه بوفـاة الملك فولك ، اصبح نفوذ مملكة القـدس ضئيلا جـدا على أميرى الرهـا وانطاكية وخاصـة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصـاية أمـه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور انعـدم وجود الشخصية الصـليبية القويـة التى يمكنهـا جمـع شمل الأمراء الصـليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصـدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) ـ كمـا مر بنـا ـ والذى ازال بذلك عقبة كبيرة من

---

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصـدر سريـانى والدبس ولوسترانج بالقول ان ذلك كان ١١٤٥م .
Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit., p. 104,
يوسف الدبس : تاريخ سوريـة ، حـ ٦ ص ٦٦
ولكن جميـع المصـادر العربية والأفرنجية تؤكد ـ كما سنرى ـ أن ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140-141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175.

(٢٠٩)
Charles-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit. p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175 182, L'Empire, p. 224.

(٢١٠)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

طريق زنكى — لامكننا التعرف على مدى طمانينة زنكى من ناحيـة تلك القوى الخارجيـة التى ان تتمكن من المسـارعة بتقديم العون الضرورى لامارة الرهـا اذا هاجمها .

امـا اذا انتقلنا الى الحوائز الداخلـية فاننا نجـد ان التركيز على شخصية جوسلين الثـانى امير الرهـا آنذاك وتصرفاته تاتى فى المكـان الأول . ذلك ان جوسـلين الثـانى ولد من ام ارمينيـة ، وكان يفضـل مجتمع الارمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انـه كان يشعر بالغربـة بين فرسـانه الفرنج (٢١٢) . ثم انـه لم يشبه والده جوسـلين الأول فى شجاعـته المطلقـة وان احتفظ بقـدر محـدود منهـا (٢١٣) ، حيث ان بعض المصـادر العربية اشـارت اليـه بانه « كان صـاحب راي الفرنج والمقـدم على عسـاكرهم لمـا هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . فى حين قال البعض الاخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقـدم على رجالهم وفرسـانهم (٢١٥) » .

يضـاف الى هـذا كله ان جوسـلين الثـانى كانت تنقصـه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حيـاة الراحـة والهدوء ولذا تخلى عن الاقامـة فى مدينـة الرهـا وفضـل عليها تل باشر لكى يكون « بعيدا عن القلق المتسبب عن اعدائه (٢١٧) » . وفى مقـره الجـديد مارس

---

(٢١١) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Epopée, p. 162.

(٢١٣) Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ؛ ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ؛ النويرى نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ؛ العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤١ .

(٢١٥) ابو شـامة : الروضـتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ؛ تاريـخ ابو الهجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢١٦) Zoé · Op. Cit., p. 337.

(٢١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حياة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هذا فضلا عن انه اقحم نفسه في الأمور الدينية وتدخل في ترشيحات رجال الكنيسة اليعقوبية (٢١٩) . بل انه تحت ستار الحج نهب دير سالنت برسوما المقدس لدى اليعاقبة (٢٢٠) مما أوجد Mar Bar Çauma بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

اما عن المسائل المتعلقة بالدفاع عن الامارة ومن الذي كان يتولاه . فالمعروف ان أهلها كانوا يشتغلون بالتجارة ويجهلون استخدام الأسلحة (٢٢١) . ولما كان عدد سكان الرها من الفرنج بالنسبة للسكان الأصليين اصغر (٢٢٢) لذا اعتمدت الامارة في الدفاع من كيالها على المرتزقة ، وكان هذا النظام له خطورته ، خصوصا بالنسبة لامارة الرها بالذات (٢٢٣) .

فاذا اضفنا الى ذلك ان امارة الرها كانت اكثر تعرضا لهجمات

---

(٢١٨) William : Ibid., V.2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op .Cit., p. 202.

(٢١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176.

(٢٢٠) Grousset : Ibid., p. 176, L'Epopée, p. 300.

(٢٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 446.

والراجح ان السريان من اهلها هم الذين كانوا زراعا وتجارا مهرة وغير مغرمين بحمل السلاح استنادا الى ماجاء في المصدر اللاتيني Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.), T. 2, p.p. 270 - 271.)

(٢٢٢) William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446

فقد ذكر وليم الصورى أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يتلقون اجورا وفقا لزمن ونوع الخدمة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سنة او اكثر قبل ان يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشتمل حتى على الفرسان ، ومن الواضح انها كانت باهظة اكثر في الرها عن اى مكان آخر ، لان النبلاء من السكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الآخرين ، لم يكونوا قد اخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى انه بدون شك اشتملت المرتزقة في بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وانها تعرضت تحت الحكم الصليبي لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التي أصابت جزءها الشرقي (٢٢٤) ، فاننا نخرج من هذا كله بحصيلة عن الأوضاع التي شجعت زنكي على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والواقع ان عماد الدين زنكي وجه جهوده ضد امارة الرها بالذات في ذلك الدور دون غيرها من الامارات الصليبية ، للاسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن انها كانت الامارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه والى مقر الخلافة في بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين اذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا عن مدينة الرها ذاتها التي « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الاسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سببان مباشران دفعا زنكي الى مهاجمة امارة الرها ، أولهما انه حدث ٥٣٨هـ/١١٤٣م ان كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكي لأنه اعتقد انه هو الذي يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكي أراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتمكين لنفسه (٢٢٧) . لذلك أرسل زنكي يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسل بينهما حتى استقر الراي على أن يدفع زنكي للسلطان مائة الف دينار دفع منها زنكي عشرين الف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكي مثوله بين يديه اعتذر باشتغاله بمحاربة

---

(٢٢٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م١ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضا السن وهي قلعة بالجزيرة قرب سميساط (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ؛ الكامل حـ ٩ ص ٦ .

الفرنج « فعذره وشرط عليه فتح الرهـا (٢٢٨) » .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين فخر الدين أبو الحـارث قرا ارسـلان بن داود (٢٢٩) . الأرتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسـلين الثـانى ؛ تنازل فيه الأول للثـانى عن أحـدى قلاعـه بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضـد زنكى (٢٣٠) . وقد أرسـل جوسـلين بالفعل ١١٤٤م فجـدة الى قرا ارسـلان (٢٣١) . لذا اراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيـدا انـه لن يستطيع أن ينزل ضربته بالرهـا مادام جوسـلين واعوانـه موجودين بها (٢٣٢) . وانه اذا توجـه اليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنـج من يمنعهـا فيتعـذر عليـه ملكهـا لمـا هى عليـه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلـة والخـداع وبدأ يموه ويخفى غرضـه الحقيقى ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسـلان الأرتقى فى خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كى يوهم فرنج الرهـا بانه مشغول عن التفكير فى محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

---

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطبـاخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٩٨ .

(٢٢٩) زامبور : معجم الانسـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .

(٢٣٠) Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

(٢٣١) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٣٢) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٦٧ ؛ ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، أبو الهجاء : مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفـرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفـرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) » . عندئذ اطمأن جوسلين الثاني من ناحية زنكي وغادر الرها الى بلاده الشامية او الغربية (٢٣٦) أي الى تل باشر غربي الفرات . وفي الحال بلغت زنكي عن طريق اهل حران تحركات امير الرها (٢٣٧) . وانه كان مصحوبا بمعظم رجاله والبارزين في حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . في حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠). وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

---

(٢٣٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، تاريخ ابو الهجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

(٢٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السرياني هنا في قوله (ان امير الرها كان قد توجه الى انطاكية آنذاك) أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، فيذكر أن الذي اخبر زنكي بتحرك جوسلين الثاني كان (جمال الدين ابو المعالي فضل الله بن ماهان رئيس حران) .

(٢٣٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ،

Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266.. (البيت ٦٢٨)

(٢٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

(٢٤٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177.

(٢٤١) Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p 336, Archer · Op. Cit., p. 202, Runciman · Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب ـ حصار زنكى للرها واستيلائه عليها :

كاتب زنكى طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يقبل اى عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكى بعض قواته بسرعه الى الرها بقيادة الأمير صلاح الدين الياغيسيانى كى يباغتوا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسيانى ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . فى الوقت الذى كان عماد الدين زنكى قد وصل الى الرها فعلا وبدأ حصاره لها فى ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكى أول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتموا باسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكى الحصار عليهم ، وسد فى وجه المحاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينة للحصول على اى مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « ان الطائر لا يكاد يقرب منها — من الرها — خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكى من أهالى الرها التسليم كى

---

(٢٤٣) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩
(الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤) Nersès : Op. Cit., p. 246.
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ص ٢٧٩
Gibb : Op. Cit., p. 266
هنا يضيف (ميشو) بنظرته الواضح فى كتابته أن تلك الأعداد الكبيرة سارعت للانضمام الى زنكى طمعا فى غنيمة ثرية
(Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 102)
(٢٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
(٢٤٥)
Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268
Grousser : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
Bréhier : L'Eglise, p. 103.
(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
(٢٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 141,
(البيت ٦٣٦) Nersès : Op. Cit., p. 246
ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ص ٢٧٩
(٢٤٨) ابن القلانسى : المصدر السابق والصفحة
Gibb : Op Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنه لا يوجد لهم اى منفذ للنجاة - رفضوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون فى وصول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن ماذا كان موقف جوسلين نفسه ؟ الواقع ان كل ما فعله جوسلين فى ذلك الوقت كان محاولة جمع قواته بسرعة الى جانب استنجاده بأنطاكية والقدس (٢٥١) . وهنا يعقب وليم الصورى على موقف جوسلين بأنه تحرك بعد فوات الأوان « فبدا كأنه يعد الطقوس الجنائزية للموتى ، لهؤلاء الذين اهمل مساعدتهم أثناء المرض والتوسل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذى هدد امارته الا متاخرا ، بعد ان ترك الجزء الشرقى للامارة ونعم بالراحة فى جزئها الغربى . والواقع ان جوسلين لم يخف الى الرها بسرعة عندما علم بالهجوم عليها ، وانما اكتفى بالبقاء فى تل باشر كى يستطيع منها ان يقطع اى تعزيزات تصل الى زنكى من حلب . ويبدو أن ثقته فى تحصينات الرها كانت كبيرة (٢٥٣). ولكن الأسوار والأبراج لم تفد الا قليلا لعدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤). حقيقة أن أهالى الرها ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها فى تلك الأزمة ، وذلك بقدر ما اسعفتهم طاقاتهم ؛ فاستبسلوا رجالا ونساء « سواء الأعيان المحترمون أو السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هذا الى جانب الدور الكبير الذى قام به رجال الدين عندئذ والذى سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيسة ورجال الدين فى الفصل الأخير .

---

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٥٠) Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen : p. 370.

(٢٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

(٢٥٢) William : Op. Cit., V .2, p. 142.

(٢٥٣) Runciman :Op.Cit.,V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٥) Nersès : Op. Cit., p 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,
Grousset : Hist. des .Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit., p. 336.

اما عن موقف زنكى عندما رأى صمود أهل الرهـا ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) . فانه امر بتشديد الحصار بدرجة اكبر على المدينة . وعندئذ ظهرت براعة رجاله الخراسانيين والحلبين فبذلوا جهدا كبيرا فى حفر الخنادق تحت سور المدينة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كى يشعلوا فيها النيران فيسهل انهيار السور (٢٥٧) . ومرة اخرى طلب زنكى من المحاصرين أن يستسلموا بعد ان غدت المدينة على وشك السقوط ولكنهم اصروا على الرفض ، مؤملين وصول النجدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحدوه (٢٥٨) . لذا امر زنكى باشعال النار فى الخشب الموجود فى الانفاق تحت السور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

---

(٢٥٦)
Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ،
Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142.
Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ـ ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,
Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين انبعثت نيران سمومهم
من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء
بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور المحصن
ينهار ويتداعى
وينهدك من اساسه
لقد فتح الأعداء فيه ثغرة

وقد سارع أهالى الرها الى ذلك الصدع الذى فتح فى السور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامى الا ان اعتلى الأسوار التى خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالى حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجأوا الى قلعة المدينة وجدوا ابوابها معلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شدة الزحام وكان من بينهم الأسقف اللاتينى نفسه (٢٦١) . وسنرجىء الكلام عما أصاب اهالى الرها عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع فى الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرها فى يد زنكى وقواته فى يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السادس والعشرين من جمادى الآخره ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما (٢٦٤) . أما القلعة فقد

---

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسى: الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى: نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢٦١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269. William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p.370.

(٢٦٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Tournebize : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op. Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٨٦ . أما كل من ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ١١٢ - الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (أ) ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٩ فيذكروا ان ذلك كان فى الخامس والعشرين من جمادى الآخره . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ فيذكران أن ذلك كان فى ١٦ جمادى الآخرة . والراجح ان ذلك كان فى ٢٦ جمادى الآخرة .

(٢٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حدث كل هذا دون ان يتقدم جيشي صليبي واحد لنجدة الرها . فانطاكية كما بينا من قبل لم تقدم اية معونة ولم يرسل اميرها اية نجدة بل انه سر لما اصاب الرها (٢٦٦) اما بيت المقدس فرغم ارسال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرها الا انها وصلت متاخرة جدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبرى ان سقوط الرها كان مرجعه الآثام التى ارتكبها اهالى الرها (٢٦٨) . والتى يرجعها نيرسيس الى اختلاطهم بالفرنج (٢٦٩) . اى بالصليبيين الغربيين ، ولما البعض الآخر فيذكر ان السر فى سقوط الرها يرجع الى تغيب

---

(٢٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104 Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401, Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلعة مانياكس (Maniacès) وان الذى ساعد على سقوطها هو نقص الماء بداخلها . .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

(٢٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud :Op. Cit. V. 2, p. 104.

(٢٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس الى ذلك بقوله :

لكن لم يصل احد
ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب
فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا .
عن مديد المعونة الينا

(الابيات من ٨٠٧ الى ٨١٢) Nersès : Op. Cit., p. 252.

(٢٦٨) Nersès : Ibid , p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(٢٦٩) (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢) Nersès : Op. Cit., p. 245

منذ تلك الساعة التى بدات فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

حمانها عنها (٢٧٠) . والحقيقة ان المجهودات الكبيرة من جانب زنكى وقواته الى جانب ظروف الامارة الداخلية والخارجية آنذاك تضافرت لتمكين الجيوش الاسلامية من النصر .

كانت المدينة قد تعرضت للسلب والنهب من جانب قوات زنكى فلما دخلها اعجبته ورأى ان تخريب مثلها لا يجوز « فنودى فى العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شىء الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه المعسكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هدوئها مرة اخرى ، فترك زنكى بها بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كان أن توجه زنكى بعد ذلك الى سروج فاستولى عليها فى يناير ١١٤٥م بعد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسلين شرقى الفرات سوى البيرة التى توجه اليها زنكى وحاصرها (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجزء الشرقى من امارة الرها .

---

(٢٧٠) Michel : Op. Cit., p. 266.
(ذكر ذلك احد رجال الدين بالرها وهو : Mar Jean)
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ؛ ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : حـ ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ ،
Gibb : Op. Cit.,p . 268, Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٧٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٩هـ .
Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جانب وضع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصمد له مدة طويلة (٢٧٧) . ولكن عندما نفدت المؤن والذخائر وكادت المدينة تسقط فى يد زنكى وقواته جاءته الأخبار من الموصل بمقتل نائبه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعة الى الموصل « خوفا من أن يحدث بعده فى البلاد فتق يحتاج الى المسير اليها (٢٧٩) . « ولما غادر عماد الدين زنكى البيرة خاف الفرنج الموجودون بها من عودته اليهم فراسلوا حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) » .

---

(٢٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩، الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ ابو الهجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .
Gibb : Op. Cit., p. 268.

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٤ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.
عن (Rey : Colonies franques).

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل فى ٨ ذى القعدة ٥٣٩هـ/٢ مايو ١١٤٥م)
Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,
وهنا يذكر ميخائيل ان زنكى اصطلح مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثير : الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٦ ، أبو الفدا : المختصر : حـ ٣ ص ١٧ . بن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ، العينى : عقد الجمان : حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دعمت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرهـا وارتقـة ماردين ، لتشابه مصالح الطرفين فى مواجهة اهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثانى من بقايا امارته سوى تل باشر وسميساط ومرعش ودلوك وعينتاب وقورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) . ومن الواضح انه بسقوط الرها سقطت اول لبنة فى البناء الصليبى بالشرق واذا كانت امارة الرها اول امارة اسسها الصليبيون فى الشرق ، فان الظروف شاءت ان تكون اول اماره صليبية تنهار امام ضربات المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرهـا ١١٤٤م :

١ ـ رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من اهم الأعمال التي جلبت السرور الى نفوس المسلمين . فقد حمل اليهم أملا جديدا (٢٨٤) . فى اسقاط بقية الصرح الصليبى فى الشرق . وازال عنهم كربا شديدا (٢٨٥) . وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بانه « طار فى الآفاق ذكره وطاب بها نشره (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمنى (نيرسيس شنورهالى) (٢٨٧) . فى قصيدته عن رثاء الرها عن

---

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٩ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير انه مما قلل من اهمية تلك المخالفات انها كانت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ٢ ص ٦٠٨ . Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

(٢٨٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 208 - 209.

(٢٨٤) Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٨٧) Nersès : Op. Cit., p. 264.

فقد ذكر ان الائمة المسلمين صعدوا الى المآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :
ديارك ودارك =

فرحة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم فى اجزاء كثيرة من تلك القصيدة .

ومن ناحية اخرى فقد رفع ذلك الفتح من مكانة زنكى لدى المسلمين ، فمجده الشعراء وخلع عليه الخليفة العباس المقتفى لأمر الله العباس ، وزاد فى القابه ، زين الاسلام الملك المنصور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اتاح سقوط امارة الرها الصليبية تامين طريق المواصلات الاسلامية بين الموصل وحلب ورفع الحاجز الصليبى الذى كان قائما بين اتراك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ — رد الفعل من جانب بقية الامارات الصليبية فى الشرق :

حمل استيلاء المسلمين على الرها الحزن الشديد والكآبة بين

= من تلك الامة الضالة .
العابدة لحجارة صماء .
لقد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعليمات قرآنك
اليك نزف البشرى
يامكة العظيمة ، موطن محمد
ياقبلة الأمانى بكعبتها السوداء .
والقدم المرسومة على صفحتها
اننا سنرد اليوم اليك
جميع اولئك المشارقة
عباد الصليب الضالين
وخدام يسوع المسيح » .

هذا الى جانب خطاب زنكى نفسه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغداد والذى سيأتى فى الملاحق (Nersàs : Ibid., p. 267).

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٦٠ (ب) ، Cahen · Op Cit., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud · Op. Cit., V 2, p.p. 110 - 113 - 114.

(٢٨٩) Cahen Op Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238.

الصليبيين جميعا فى الشرق (٢٩٠) ؛ اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصليبية ، التى لم تستطع أن تقدم اية مساعدة ايجابية للرها وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القدس الذى كان قد أرسل نجدة للرها ، والذى انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامارات ، لم يستطع الوصول الى الرها . ففى رمضان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكى باجتماع هذا الجيش فى تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية — فارسل اليهم جيشا كبيرا من التركمان اعمل فيهم الأسر والقتل وشتت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجد تلك الوسيلة لانقاذ امارة الرها بدات انظار صليبى الشرق تتجه الى الغرب المسيحى من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ — رد الفعل من جانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرها على بقية الامارات الصليبية فى الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المسيحية الشرقية خاصة الأرمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرها ضياعا لجزء هام من كيانهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قدوم الصليبيين ، فضلا عن أنها كانت مقرا لجوسلين الثانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقد ظهر ذلك الحزن فى عدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

---

(٢٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٩١) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69.

(٢٩٢) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269,

ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاسلام) وهنا يشير ميخائيل السريانى أن سبب تفرق الجيوش الصليبية هو خوفهم من المجاعة بعد قطع المسلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر أن الأنطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ؛ وربما دفعه الى ذلك الخطأ أن مكان التجمع كان فى منطقة قرب انطاكية (Cahen : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

(٢٩٣) Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: l'Eglise, p. 104.

(٢٩٤) Iorga : L'Arménie, p. 96.

التى توجهت الى روما فى نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت فى نفس الوقت صلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) ، كان يصاحب تلك البعثة (هيو) اسقف جبلة ، احد اساقفة امارة انطاكية البارزين ، والذى توجه الى الغرب واثار فكرة حرب صليبية جديدة (٢٩٦) . ومن هذا يبدو انه اذا كان امير انطاكية لم يسرع لنجدة الرها ؛ فان هذا لم يمنع رجال الدين فى امارته من القيام بدور ايجابى تجاه الرها .

ومن بين تلك المظاهر ايضا المراثى الشعرية والنثرية التى كتبها بعض رجال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسقوط الرها والتى من اهمها قصيدة الرثاء التى كتبها نيرسيس شنورهالى (٢٩٧) . هذا الى جانب المقالتين التى رثى بهما الرها (ديونيسيوس) — الذى كان لايزال شماسا فى ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التى كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبى (٢٩٨) .

وقد يتضح موقف الأرمن اكثر تجاه تلك الحركة التى قام بها زنكى اذا عرفنا ان بعض المصادر المعاصرة ذكرت ان جماعة من الأرمن بالرها

---

(٢٩٥) Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٦) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : L'Eglise, p. 104, يؤكد هذا ما ذكره اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٨٢ عن (Otto of Freising « ان اسقف جبله وصل الى روما وعيناه قد اغرورقت بالدموع يحذر سامعيه من الخطر المحدق بالكنيسة فيما وراء البحار نتيجة لسقوط الرها ، ومبديا رغبته فى عبور جبال الالب ليستعطف ملكى الألمان والفرنسيين لاستنقاذها » .

(٢٩٧) Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

ففى الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٣٣ — ٥٣٥ يقول

كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتلى مركبته
او ملكة رائعة الجمال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

(٢٩٨) Michel : Op. Cit , p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. . p. 270

انتهزوا فرصة قلة الحامية الزنكية بالمدينة وارادوا الايقاع بها . لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فانى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب والطرد (٢٩٩) .

٤ ـ رد الفعل من جانب البابوية والغرب المسيحى :

اثار استنجاد مسيحى الشرق بالبابوية ١١٤٥م فكرة الشروع فى اعداد حملة صليبية ثانية تتوجه لانقاذ الأراضى المقدسة فى الشرق (٣٠٠) . وقد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنسا لويس السابع ، الذى أعلن فى يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبته فى انقاذ الامارات المسيحية فى الشرق وبعد ان أصبحت فى حال يرثى له بعد سقوط الرها (٣٠١) . وارسل الملك بالفعل بعثة الى البابا ليوجين الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقت الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء الى فرنسا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على تنفيذ ذلك ، واعدا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفى نفس الوقت عين البابا مندوبا عنه فى تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard (٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على أن الأجل لم يمهل زنكى حتى يستكمل فتح بقية امارة الرها ،

---

(٢٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصدر والمرجع الأخيرين اتصال جوسلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114, Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit., p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804. Augustin Flichc : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنا يذكر (هيفل) ان رغبة ملك فرنسا هذه نبعت من رغبته فى اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتى كانت قد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804. من (Labbe : Concilia)

فلم تمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا على سقوط الرهـا حتى قتل فى أوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك أثناء حصاره لقلعه جعبر التى كانت بيد مالك بن سالم بن مالك بن بدر العقيلى (٣٠٤) . وكان زنكى قد أرسل فى ذلك الوقت ايضا جيشا للاستيلاء على قلعة فنك من صاحبها الأمير حسام الدين الكردى البشنوى (٣٠٥) . ويبدو أن زنكى كان لا يود ترك أية قلعة وسط بلاده فى يد قوة لا يطمئن اليها ، مبالغة منه فى الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

---

(٣٠٣) Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.
يذكر ان ذلك كان فى ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . اما جروسية ورنسيمان فيذكران ان ذلك كان فى ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
اما المصادر العربية فبعضها يذكر انه توفى فى الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر أن ذلك كان فى سادس ربيع الآخر واهمها ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ . فى حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر . والراجح أن هذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الأنساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن عمر وهو للاكراد البشنوية وكان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقد ذكر ابن العديم أن سبب قتله أنه هدد أحد خدمه المسمى (يرنقش) فى النهار فلما كان الليل قتله وذكر أيضا أن زنكى بعد أن نام ننمه فراى يرنقش يشرب هو وجماعة من غلمانه فضل شرابه فتوعدهم فاجمعوا على قتله . أما أبو شامة وسبط بن الجوزى فيذكران أن سبب ذلك أنه كان اذا نقم من كبير أرداه واقصاه واستبقى ولده وخصاه . ولذا فبعد أن خصى جماعة من الغلمان ذبحوه وهو نائم .

خسر الاسلام بمقتله شخصيه من اهم الشخصيات التى تزعمت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى الشرق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد ، حتى قيل ان المسلمين قتلوا جميعا بقتله (٣٠٨) . وبهذا احدثت وفاته فرحة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعد وفاة زنكى انقسمت ممتلكاته الى قسمين . الشرقى ومقره الموصل تولى الحكم فيه ابنه الأكبر سيف الدين غازى بمساعدة جمال الدين محمد الأصفهانى ، والقسم الغربى ومقره حلب وفد آل الى نور الدين محمود بمساعدة صلاح الدين الياغيسيانى (٣١٠) . وتمكن ابناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضد الفرنج بعد ابيه ، بل صار اكثر منه شدة فى التصدى لهم ، مما جعل فرحة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكد اخبار وفاة زنكى تصل الى الفرنج حتى تجدد لديهم الأمل فى استعادة الرها من المسلمين . كان جوسلين الثانى لايزال مقيما فى تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرها ليسترجعها بعد أن تأكد من معاضدة مسيحى الرها — خاصة الأرمن — له فى تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصادر العربية قد اكدت ان جوسلين هو الذى راسل اهل الرها واخذ موافقتهم

---

(٣٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ — ١٤ ، الباهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٨٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف ابو شامة أن زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضا ولدين وبنتان والوالدين هما قطب الدين مودود وهو ابو الملوك بالموصل ونصرة الدين أمير اميران .

(٣١١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١٠ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

على مساعدته فى القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصورى ذكر أن أهالى الرها كان لهم التأثير الكبير فى دفعه الى ذلك . ذلك انه اوضح أن زنكى كان قد ترك بالرها حامية قليلة العدد ، وكان السكان الموجودون بالمدينة آنذاك شديدى الاخلاص للمسيحيه . لذا أرسلوا سرا الى جوسلين الثانى واخبروه انه باستثناء الاتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الاهالى ، والحوا عليه بشدة أن يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالى فى الحال (٣١٢) .

والراجح أن رغبة جوسلين الثانى الجامحة فى استعادة امارته تضافرت مع التقرير المشجع الذى وصله عن الرها وطبيعة الدفاع عنها فى ذلك الوقت .

وكان أن تقدم جوسلين الى الرها مصحوبا بما تبقى له من فرسان فضلا عن بعض المشاة ، كما رافقه بلدوين امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرها فى ٢٧ اكتوبر ١١٤٦م — جمادى الآخره ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجأة اثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تسلق المشاة لأسوارها بمساعدة سكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من أبراج المدينة ، ولم يلبث أن فتح هؤلاء المتسللون الأبواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

---

(٣١٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٣) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois. p. 200, عن (Michel), p. 884 من (L'Anonyme)

(٣١٤) Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p.884 (L'Anonyme) عن ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٢٨

وهنا اخطأ كل من الكاهن جريجوار وابن العبرى فى القول بأن تلك الحركة كانت ١١٤٧م

(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus Op. Cit., V. 1, p. 273.)

(٣١٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160.

(٣١٦) Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة اعمل جوسلين ومن معه السيف فى المدينة بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ، الى القلعة واحتموا بها (٣١٩) .

عندئذ ارسل الأتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب والموصل (٣٢٠) كما ارسل جوسلين رسلا تخبر المسيحيين فى كل مكان بعودته الى الرها وتطلب فى نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم فى تلك المرة لايقل عن حزنهم العميق الذى احسوا به عند فقد الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالأضافة الى أن جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات للحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب فى ارجاء المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية فى الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ، التى كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمؤن والأسلحة والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجح كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقية الامارات الصليبية سارعت ودعمت فرحتها وقتذاك بتقديم المساعدة الجدية للرها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرها اية

---

(٣١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ .

(٣١٩) Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(٣٢٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣٢٢) Zoé Op. Cit., p. 339.

(٣٢٣) William : Op Cit., V. 2, p .158, Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 111.

(٣٢٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

تعزيزات (٣٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرة جوسلين على الدينة الا ان « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٣٢٧) » .

وبمجرد معرفة نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب بتلك الاخبار ، تقدم مسرعا الى الرها لاستعادتها (٣٢٨) . على راس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٣٢٩) . جدوا فى السير حتى « وقعت الدواب فى الطرقات من شدة السير (٣٣٠) » . وعندما وصلت القوات النورية الى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ أصبح جوسلين والحفنة القليلة من رجاله الفرنج الى جانب أهالى الرها محصورين بين نارين (٣٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والأتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف فى الخارج ورعب فى الداخل (٣٣٢) . فماذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

الحقيقة ان غالبية المصادر العربية تشير الى انه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا الى بلاده (٣٣٣) » . أى انه لم يحدث صدام بين الجانبين . اما ابن القلانسى وهو المصدر

---

(٣٢٦) Michel : Op. Cit., p. 270, Grousnet : Hist. des Crols., V. 2, p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، أبو شامة : الروضتين ، فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

(٣٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Emoire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٩) ابن القلانسى : الذيل ؛ ص ٢٨٨ ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273

(٣٣٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٢٥ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٦٠ .

(٣٣١) William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

(٣٣٢) William : Op. Cit. V. 2, p. 159.

(٣٣٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ، ص ٨٦ ،

=

العربى المعاصر فيذكر انه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى احد ابراج المدينة « ومعه عشرين الف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا فى حين ذكر وليم الصورى ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع المخاطرة بالموت اذ كان من الافضل أن يواجهوا العدو ويشقوا لانفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من ان يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالمجاعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار فى الثانى او الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل اقامة الفرنج فى الرها فى تلك المرة حوالى خمسة أيام او ستة (٣٣٧) .

والواقع أن جوسلين كان لايزال موجودا بالرها عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضييق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى او عن غير رضى لانهم كانوا متاكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد ان تنكروا لعهودهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع اهل الرها عندئذ لأننا سنفصل الحديث عن الأهالى فى الباب القادم .

ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ يبدو أن العدد المذكور فيه شىء من المبالغة .

(٣٣٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 159.

(٣٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 من (L'Anonyme) يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف فى كتاب آخر (Grousset · L'Empire, p. 224). أن ذلك كان فى ٣ نوفمبر .

(٣٣٧) يذكر الكاهن جريجوار أن اقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160).
اما ابن العبرى فيقول ان ذلك كان ستة أيام .
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273).

(٣٣٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884, عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه فصلا عن أهالى الرها يغادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش فى ذلك الوقت (٣٤٠) . فى حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد أن جرح فى رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبها وسبى أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازى أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

---

(٣٣٩) Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها فى الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد ان كون طابور من الهاربين وضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمى المؤخرة عن (L'Anonyme) Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885.

(٣٤٠) Grégoire : Op. Cit., p. 160.
Michel : Op. Cit., p. 271.
William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist .des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار انه قتل رغم اقدامه البطولى ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسهبة

(٣٤١) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٤٢) Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ البساهر ص ٨٦ ـ ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١١١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ؛ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السريانى خراب الرها فى هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسربلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفنة من جثث أبنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لبقات أثناء الليل بأجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة أحد من الناس الا من كانوا ينبشون لأكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستبعادهـا للمرة الثـانيه تركها سيف الدين له ولم يعارضـه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات اسباب هزيمة الفرنج فى الرهـا فى تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شـان ذلك الفتح الثـانى للمدينة ، وهو الفتح الذى يعتبر نهائيا فضـلا عن أنـه يشير الى حركة استرداد اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لسقوط الرهـا ١١٤٦م ـ ٥٤١هـ :

كان استيلاء المسـلمين على الرهـا للمرة الثانيـة ١١٤٦م اكثر ايلاما بالنسبة للمسـيحيين من فتحها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهـذا الفتح استيلاء المسلمين عليها فضـلا عما حل باهلها جميعا تلك المرة من تنكيل شـديد بعكس المرة السـابقة التى كانت اخف وطأة .

ومع ذلك فان بقيـة الامارات الصـليبية لم تحاول تقديم أية نجـدة سريعة للرهـا ، حتى انطاكية الشـديدة القرب جـدا من امارة الرهـا رفض اميرهـا تقديم اية مسـاعدة ، وسلك مسلكا انانيا مـع ما فى ذلك من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين امارة انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجـانب الشمالى الشرقى لتلك الامارة وهو الجـانب الذى اصبح معرضـا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) ابن الاثيـر : الكـامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، البـاهر ، ص ٨٧ ، ابن واصـل : مفـرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٤٥) يذكر أولدنبرج أن سبب كارثة الرهـا فى هـذه المرة هو تهور جوسـلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جـانب تهاون واهمال رؤسـاء الامارات الصـليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل نيـذكر عن ديونيسيوس الآمـدى أن ذلك بسبب آثام اهـالى الرهـا (Michel : p. 273)

ويشـارك ميخائيل فى رأيه هـذا وليم الصورى (William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

(٣٤٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208.

(٣٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 208.

(٣٤٨) Grousset : L'Empire, p. 225.

وبرز حزن المعسكر المسيحى على فقدان الرها تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التى من اهمها تلك المرثية التى كتبها ديونيسيوس الآمدى والتى يرجع فيها هزيمة المسيحيين فى ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير او شر ، وان الرب يساعدهم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السريانى الرها واهلها الذين نكل بهم نور الدين واخذ عنه ذلك الرثاء ابن العبرى فى تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرها ، فان اخبار سقوطها فى تلك المرة كان له اعمق الاثر فى الغرب ، وخاصة فى المانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صليبية (٣٥١) ، بطريقة اكثر جدية واكثر سرعة .

وقد راينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدا الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الاماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صحب ذلك من قتل وطرد للمسيحيين، بدا الملك لويس السابع يبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين يقع بلادهم على الطريق الذى ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالاضافة الى جهود القديس برنارد فى الهاب حماس بقية الغرب للدفاع عن تلك القضية المقدسة (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extortation qu'écrivit Dionysius d'Amide).

سبقت مع الملاحق

(٣٥٠) Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p. 273.

سبقت مع الملاحق فهو يقول مثلا :

« يالحسرة على سحابة الغيظ ، يوم بغير شفقة !
يالليل الموت ونهار الجحيم ، يوم التخريب ! الذى
اندفع على الأهالى البؤساء ! » .

(٣٥١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

(٣٥٢) Charles-Hefele : Op. Cit., p. 809. (1 Vacandard . Vie de Saint Bernard).

أما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها فى المرتين فيمكننا أن نستشفه من خلال الخطابين اللذين أرسلهما الامبراطور مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ، مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الأول أن البابا كان قد أرسل الى الامبراطور البيزنطى مع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا يحثه فيه على المشاركة فى تقديم المساعدة لحملة صليبية تثأر لسقوط الرها ، عقب سقوطها اول مرة . ثم أرسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجح أن خطاب البابا الأول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لذا ففى الخطاب الأول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو للبابا من انه لم تصله منه أيه رسائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة الممكنة . بشرط أن يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا أسرع مانويل بالكتابة اليه مرة أخرى فى مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط الرها المرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه أى اقتراح يروق له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم نظهر أية اشارة عن هذين الخطابين فى المصادر التى أرخت للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون . كانت النسخة الأولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية . ثم ضاعت الترجمة اللاتينية . نشرت نسخة للخطابين بواسطة Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial فى جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich, Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)

(٣٥٤) أما عن محتويات الخطاب الأول فقد ذكرها المصدر السابق (p. 144

(٣٥٥) V. Grumel : Ibid : p. 157 - 159.

هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كأن الامبراطور ظن هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الأنفصال الدينى بين كنيستى روما وبيزنطة . لكن الحقيقة أن سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقـــع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض فى ذلك الوقت معونتـــه مشروطـــة بالشرط التقليدى وهو خضوع الحملـــة الصـــليبية المزعومـــة للامبراطور ؛ لانـــه لم ينس ما حـــدث من قبل من تنكر الصـــليبيين لمـــا كانوا فـــد اتفقوا عليه مع جـــده . وفى نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية فى الشرق بيد الصـــليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحيى الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار فى نجـــدة تأتيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قـــدوم الحملة الصـــليبية الثانية بقيادة الامبراطور الألمـــانى كونراد Conrad والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، كان جوســـلين الثانى يأمل فى استعادة الرهـــا كما كان ريموند أمير طرابلس يرغب فى استرجاع بارين لذلك أرســـل هـــذان الأميران الى الملك الفرنسى أثناء وجوده فى انطاكية بعض الخطابات محملة بالنوســـلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جبران الرهـــا وبقايا الامارة حتى اسر جوســـلين الثانى :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها فى ١١٤٦م — ٥٤١هـ وبعض منعلقاتها ، فانه لم يهدأ بل كان يسعى دائبـــا الى استخلاص بقايا ملك الامـــارة من يد أميرها الذى اضعفته تلك الضربة الثانيـــة لامارته . ففى ٥٤٣هـ — ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى أحـــد حصون جوسلين للاستيلاء عليـــه ، وعندئذ لم يجـــد جوســـلين بدا من مسالمة نور الدين والمثول بين يديه « واستعفى من هفواته فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) » . وربما استخدم نور الدين اسـلوب المســـالمة عندئذ ليعـــد لضربة أقوى فيما بعـــد . لكن امـــارة الرهـــا لم تســـلم فى ذلك الوقت من تهديد فرع اســـلامى آخر ، ممثلا فى ســـلاطين قونية أو ســـلاطين الروم فقد تقدم الســـلطان مسعود الأول بن قلج ارســـلان (٥١٠ — ٥٥١هـ / ١١١٦ — ١١٥٦م) جنوبا الى شمال سوريا منتهزا فرصـــة وفـــاة أمير انطاكيـــة

=

كـــان يرغب فى الاعتمـــاد على مســـاعدة الصـــليبيين فى حمايـــة أراضى الامبراطوريه اكثر من اســـعادة الأراضى التى أخـــذت بواسطة الاتراك . وانه كان يأمل فى الحصول — عن طريق ضربة واحدة — على ما حصل عليه جـــده بعد أن بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل » .

(٣٥٦) Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ريموند ٥٤٤ ــ ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التى كانت بلا قوات تدافع عنها فى ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين فى ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثانى وزوجته واطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رايين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . أحدهما يذكر ان الملك بلدوين الثالث أرسل نجدة الى جوسلين من انطاكية استطاعت أن تحمى عزاز التى كانت مهددة أيضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا الى بلاده بينما توجه الثانى الى انطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمصالحه (٣٦١) .

والرأى الثانى يذكر أن جوسلين لم يبد أى اهتمام بجمع فرسانه، واكتفى بارسال القوات التى بقيت لديه مع الأمير باسيل أخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وأمرهم بحمل المؤن والأمدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا ارسلان الأرتقى باغتتهم واسرتهم جميعا ومن جملتهم الأمير باسيل ، وقادهم أمام قلعة كركر التى كانت بها زوجة باسيل واطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان فى مقابل اطلاقهم للاسرى فى أمان وتم اتفاق ودى بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين الى انطاكية لطلب نجدة لكنه أسر فى الطريق (٣٦٢) .

ومهما تختلف الآراء فان امارة الرها خسرت جزءا آخر من أراضيها هو مرعش انتقل الى سلاطين الروم فضلا عن أن تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بأيدى الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

---

(٣٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ ان امير أنطاكية توفى ٥٤٤هـ اثناء حصار نور الدين لحصن اعتب (وهو حصن من اعمال عزاز من نواحى حلب) .

(٣٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit , p. 163.
ولكنه يذكر أن ذلك كان ٥٤٣هـ ــ ١١٤٩م والراجح انها ٥٤٤هـ لأنه قام بحمله هذه بعد وفاة امير انطاكية
William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
والراجح ان حصار مسعود لتل باشر كان فى ٥٤٥هـ استنادا الى رأى بن العماد الاصفهانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

(٣٦١) William : Ibid., V. 2, p. 200.

(٣٦٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164.

اسر جوسلين الثانى :

اختلفت المصادر العربية فى السنة التى اسر فيها جوسلين كما اختلفت ايضا فى الطريقة التى اسر بها فمن ناحية تاريخ اسره ، نجد فريقا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠م) استنادا لرأى ابن القلانسى (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد العداوة للملة الاسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفى بعهد (٣٦٧) » . هذا بالاضافة الى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جملتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله الى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلج ارسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع أنه سيأتيه

---

(٣٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٥ ، ص ٣٢ (أ) ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ؛ الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ النويرى : نهاية الأرب ، ٢٥ حـ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٣٦٥) الذهبى : العبر ؛ حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ، ص ٥٥٤ .

(٣٦٦) (William : Op. Cit., V. 2, p. 201).
يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٣٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٣ ص ٢٣ .

بعد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك سمم على الانتقام من جوسلين فاحضر جماعة من التركمان « وبذل لهم الرغائب » ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا أو أسيرا(٣٦٩) .

وفى احد الأيام خرج جوسلين فى بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجدة من انطاكية ضد السلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضا انه قصد انطاكية « مقويا » لاهلها من الفرنج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فاسروه .

هنا تختلف الروايات عن اسره (٣٧٣) لكنها تتفق فى انه بعد اسره سيق فى اغلاله الى حلب فقضى فى السجن سنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقد فرح المسلمون كثيرا باسره وحزن المسيحيون حزنا شديدا لذلك (٣٧٥) .

---

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .

(٣٧٠) ابن الأثير : المصدرين السابقين نفس الصفحات ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويرى : نهاية الأرب ؛ حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، احداث ٥٤٦هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ ؛ أبو الفدا ، حـ ٣ ص ٢٣ .

(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.

(٣٧٠) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (أ) .

(٣٧٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ؛ حـ ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ ، ابن أيبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٥٥ ؛

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٣٧٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164. William : Ibid., V. 2, p. 201. Bar Hebraeus : V. 1, pp. 276-277.

(٣٧٥) ابن القلانسى : الذيل ؛ ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201. Gibb : Op. Cit, p. 300.

انهيار امارة الرها بعد اسر جوسلين :

وبعد اسر جوسلين وضع الفرنج الموجدون فى تل باشر ابنه الذى كان لايزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين ايضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر اميرها القوى واصبحت هدفا للمسلمين اكثر من ذى قبل .

ذلك انه حدث بعد اسر جوسلين مباشرة ان تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول ٥٤٥هـ ١١٥٠م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد ان رتب بها من ينظم امورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رات زوجة جوسلين ان المسلمين سينتزعون بقية الامارة قطعة بعد اخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت فى نفس ١١٥٠م عن قلعة الروم الى جريجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣م — ١١٦٦م ، فاصبحت تلك القلعة مقرا لاتباعه حتى ١٢٩٣م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك فى مصر (٣٧٨) .

---

(٣٧٦) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.
لذلك اصبحت امة بياتريس وصية عليه واصبحت المتصرفة الحقيقية فى شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٣٠٢ ؛ ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ أ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٥ ص ١٨ (أ) تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، جـ ١ حوادث ٥٤٥هـ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٦م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300 - 301. (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بان ذلك كان ٥٤٤هـ ولكن الراجح ان التاريخ غير صحيح) .

(٣٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.
هنا يشير مصدر آخر الى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧م ولكن هذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .
A .Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطى مانويل الأول بأن حالة الرهـا تبعث على اليأس لرسـل ١١٥٠م — ٥٤٥هـ الى زوجـة جوسلين بعض الرسـل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين فى مقابل دخـل سنوى لهـا ولاولادهـا عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعـد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقـدس الذى فضـل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط فى قبضـة المسـلمين (٣٨٠) . وهكذا تسـلم البيزنطيون بقايا امارة الرهـا . اما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين واولاده فقـد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقـدس بعـد مصـاعب جمة لحقت بهم فى الطريق (٣٨١) .

على أن انتقال بقايا امارة الرهـا الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة اكبر على المضى فى طريقه لاستخلاص كافـة ارجـاء تلك الامـارة المحطمـة ووضعها تحت سـلطة المسـلمين . هـذا الى ان البيزنطيين الذين عهـد اليهم مهمة حمايـة ذلك الحطـام الرهوى كانوا غير راغبين فى الحرب ، مما جعل نور الدين يشـدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

---

(٣٧٩) William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 355.
هنا يذكر شالندون أن امارة الرهـا اختفت تماما فى ١١٥٢م بعـد أن تخلى عنها لامبراطور بيزنطـة . ولكن الراجـح أن ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصورى وانه فى ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من اراضى الامارة قد استعادها نور الدين كما سنرى .
(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.
اما آرشية فيذكر ان زوجـة جوسلين لجـأت الى انطاكيـة فى حين يشير (اورجا) الى انها توجهت الى مرعش . لكن الرأيين خاطئين .
Archer : Op. Cit., p. 206,
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانسحاب عن تلك الأراضى التى ضحوا من أجلها منذ قليل بالأموال الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ — ١١٥١م استولى نور الدين بالأمان على تل باشر وعهد بشئونها الى الأمير حسان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ — ١١٥٢م حاول الفرنج الوقوف فى وجه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه وهو فى دلوك — احدى المدن التى كانت تابعة لجوسلين الثانى — فدار بين الجانبين قتال شديد قتل وأسر فيه كثير من الجانبين ولكن الغلبة فى النهاية كانت لقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعد ذلك الاستيلاء على بقية حطام امارة الرها (٣٨٥) . فاستولى على عين تاب وتل خالد وقوريس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

---

(٣٨٢) William : Op. Cit, V. 2, p. 212, Zo6 : Op. Cit., p. 355.

(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العديم : بغية الطلب ؛ مخطوط ، ص ٣٦٨ ، تاريخ أبو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هناك بعض المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل باشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ — ٥٥٠هـ) .

(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٥٠ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ أما ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ؛ حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بأن ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,
ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ؛ حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ؛ ص ٢١٩ ، روض المناظر ، مخطوط أحداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضـــع فيـــه حاميات وذخائر تكفيه لمـــدة عشر سنوات « خوفا من نصرة تتجـــدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجـــة الى شيء (٣٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرهـــا الصـــليبية واثبت للفرنج انه اشـــد اصرارا من ابيه على الجهاد . وبقضـــائه على تلك الامارة سقط الدرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصـــليبية فى الشرق وبـــدات حركة افاقة اســـلامية كبرى .

---

(٣٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

(أ) طبقات المجتمع فى الامارة .

(ب) الحياة الاقتصادية .

(جـ) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين فى المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، الى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين فى مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) . والراجح أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقى لأرمينيا فى القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم فى ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

---

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٣٧
هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلأه بالمسلمين الى درجة الفيضان .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٠٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٦ ورقة ٧٧ ،
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire, p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرهـا يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وهى أصح اللهجـات الآرامية السـامية (٤) .

وبقيام امارة الرهـا الصليبية انضم الى العناصر السكانية السـابقة عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بدأوا باعداد قليلة كانت قـد صحبت بلدوين دى بولون عند دخولـه الرهـا (٥) ؛ ثم ازدادت اعـدادهم فيما بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا قـد سئموا من حصـارهم لأنطاكية آنذاك ففضلوا الاتجـاه الى الرهـا والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش فى رخاء وسعة ومن كان لايملك قرية اصبح سيدا لأحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عـدد الفرنج فى امارة الرها كان أصغر من عددهم

---

(٤) أغناطيوس افرام الثـانى : مقالة فى سـورية ، ص ٢٠ — ٢٣ . وهو يذكر أن من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهى تشمل لهجـات شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والمندية والنبطية . وقد كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاويـة بعد أن نشرهـا المستشرق بونيون فى جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques) ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية ماذكره (بوركيت) من أن سـكان الرهـا كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة لتلك المتكلم بها فى فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op. Cit., p. 62.

(٦) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud: Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208, Jean Richard · Op. Cit., p. 27, Zoé : Op. Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرهـا مع عـدد كبير من الفرسان والمشاه الأقل مرتبة

"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Gastus de Bederz" (Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

(٧) Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

فى أية امارة صليبية أخرى (٨) ، الا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية فى الرهـا حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرهـا الصليبية خـلال فترة قيامها التى امتدت حوالى نصف قرن تقريبا ؛ انها كانت امارة فرنجية أرمينية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقـد دعمت الصبغة الأرمينية الفرنجية فى امارة الرهـا عن طريق الزيجـات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بدأها بلدوين البولونى ثم سـار على نفـس المنـوال كل من بلـدوين دى بـورج وجوسـلين دى كورتنـاى (١٢) .

والواقع أن غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قـد اصـطحبوا معهم عائلاتهم الى الأرض المقدسـة . واذا مـات الأزواج المحاربون فى الحرب فان الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخذون من ارامل اولئك المحاربين زوجـات لهم وانتشرت هـذه الظاهرة فى الامارات الصليبية فى المشرق فيما عدا الرها التى تزوج امراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣) . وقبل ان انطاكية شاركت الرها فى تلك الظاهرة الى حـد مـا فانتشرت الزيجـات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الأقطاعيين ذوى المكانة العالية والشديدى الاحتكاك بالفرنج فى الحياة السياسية والعسكرية من ناحية اخرى (١٤) .

---

(٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.
سـعيد عاشـور : الحركـة الصـليبية ، حـ ١ ص ١٨٧ ، هنا يذكر أولد نيـرج ان أرستقراطية الرها الفرنجية كانت تتكون من الفالون والفلامند Wallonne, Flamande (Zoé : Op. Cit., p. 227).

(١٠) Grousset : L'Empire, p. 316.

(١١) سعيد عاشور :الحركه الصليبية ، حـ ١ ص ٤٣٧ .

(١٢) Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et Chrétiens d'Orient, p.p. 20 — 21.

(١٣) Zoé : Op. Cit., p. 300.

(١٤) Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241.

لكن ذلك لايعني أن الصليبيين اقتصروا في زواجهم على الأرمينيات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع أننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جيل جديد عرف باسم (الافراخ Poullains (١٦)) . ومن ابرز أمثلة هذا الجيل بالنسبة لامارة الرها الأمير جوسلين الثاني .

واذا كانت أواصر المودة قد ازدادت في الرها بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصليبيين عن طريق الزواج ، فان العلاقات بين الحكام والمحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هذا هو سبب التقدم البطيء لتلك الامارة بالنسبة لبقية الامارات الأخرى (١٧) .

هذه هي لمحة عامة عن أهالي الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الامارة . ولكي يسهل علينا التعرف على موقف الأهالي في مراحل تطور الامارة المختلفة سنحاول دراسة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين ، حتى نصل في النهاية الى مصير الأهالي الوطنيين بعد انتهاء تلك الامارة .

والحقيقة أن الأرمن فازوا بنصيب الأسد في تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السكان ، ولكن ذلك لا يمنع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى في الامارة بقدر ما اسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

اهالي الرها وبلدوين البولوني (١٠٩٨ — ١١٠٠م) :

رأينا أنه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولوني الرها تلقاه الأهالي بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حارا اشترك فيه كل افراد الشعب وعلى راسهم ثوروس . وقد افاضت المصادر المعاصرة والمراجع التي

---

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس أن فولشر دي شارتر قال « اننا اصبحنا شرقيين لأننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا اما سريانية او أرمينية او مسلمة بعد أن تنصرت »
(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتي : العرب ، ص ٢٢٣ Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

اخفت عنها فى وصف ذلك الاستقبال الرائـع (١٨) ، اذ استقبل كمنقذ ومحرر للأهالى ولأميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنقذ له من اعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن الأهالى نظروا اليه تلك النظرة ايضـا الى جانب رغبتهم فى التحرر من اميرهم الأرمنى الذى اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد اهالى الرهـا اى اعتراض على دخول السلجوقيين الى بلادهم ، ويتضح ذلك اكثر عندمـا ظهرت نوايـا ثوروس فى استخدام بلدوين كجنـدى مرتزق (٢١) . اذ رفض بلـدوين ذلك الوضـع وهدد بالانسحاب من الرهـا (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالى والحوا على حاكمهم بالا يسمح لبلـدوين بالرحيـل (٢٣) . بـل قيـل انهم هم الذين اجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

---

(١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.

(١٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1,p. 242.

(٢٠) Zoé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206

(٢١) Alberti Aquensis : Hsitoriae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : l'Empire, p. 204, L'Epopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit , V. 1, p. 191 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op Cit., p. 61.

وهنا يذكر (ستون) انه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلى الارتياح لتبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالى واحسوا بالطمأنينة فى حماية بلدوين (٢٦) .

وكان ان اتجه اهل الرهـــا بعد ذلك الى ماهو ابعد ، فتعجلوا التخلص من اميرهم الأرمنى (٢٧) . للاسباب التى اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذى اصبح وفقا لرغبتهم اول امير صليبى لأول امارة صليبية فى المشرق .

فى بداية حكم بلدوين لامارة الرهـــا خضـــع له اهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقـــد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقـــة عســـكرية ارمينية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما ســـاعده الأرمن أيضـــا فى حملته التى توجه بها الى سميساط فى بداية حكمه للرهـــا فى ١٠٩٨م والتى استطاع عن طريقها ان يرد الى الرهـــا عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بلك الدانشمندى قـــد احتجزهم فى قلعة سميساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولونى وبين الأرمن فى الرهـــا قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمينية اردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

---

(٢٥) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191

(٢٦) William : Ibid., V. 1, p. 191 .

(٢٧) Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier: L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٨) Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, p. 339, Cahen : Op Cit., p. 211, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 59.

(٢٩) Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355.

(٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(٣١) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(٣٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208 عن (Albert).

(٣٣) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433 ,Alberti : Op. Cit. T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset : L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

سرعان ما انقلبت الى كره وعداء من جانب الأهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الأبارة على مصاريعها لرفاقه الصليبيين واغدق عليهم ثروات البلاد (٣٤) . فى الوقت الذى نحى الأهالى الأصليين وزعماءهم جانبا واستغنى عن مشورتهم مفضلا عليهم الفرسان الفرنج الذين احتقروهم (٣٥) .

لذا دبر الأهالى فى الرها مؤامرة فى ١٠٩٨م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٣٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٣٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشد العقوبات بالمتآمرين (٣٨) . وهكذا أخذ أهالى الرها الأرمن والسريان ينظرون الى بلدوين على انه « طاغية فظ عنيف وجشع (٣٩) » . وندموا لتأييده فى حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الأرمن الذين قاسوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجدوا فى فرسان

---

(٣٤) يذكر آرشية بالاضافة الى ذلك أن الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى الصليبيين الحاصرين لانطاكية مما سبب ضغطا شديدا على اهالى الرها . (Archer : Op. Cit., p. 63).

(٣٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman · Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٣٦) Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit,. V. 1, p.p. 305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Epopée, p. 58.

(٣٧) ويسميه البرت هنا انزو (Enzhu او Enxhu)
Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois., V 1, p. 67.

(٣٨) Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op Cit., V. 1, p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Empire, p p 205, 297, L'Epopée, p. 581, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(٣٩) Zoé . Op. Cit., p. 230.

(٤٠) Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. Cit , V 1, p. 305.

الفرنج خصما لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولونى لأهالى الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بمن قاموا بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالى غيظهم فى سكون ، حتى انتهت فترة امارة بلدوين على الرها وتوجه ١١٠٠م الى بيت المقدس ليعتلى عرشها . ولكن قبل رحيله اثقل كاهل اهالى الامارة بالضرائب المختلفة وابتز كثيرا من اموالهم ليدبر بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

اهالى الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين، كى يعيد الثقة فى الحكم الصليبى الى نفوسهم ويمحوا الأثر السيء الذى تركه بلدوين البولونى فى نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح فى سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الأولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمينية (٤٥) ؛ والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمينية (٤٦) .

وقد برزت أولى المساعدات الحقيقية التى قدمها اهالى الرها لبلدوين فى معركة حران ، اذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية (٤٧) . التى قتل معظمها فى المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

---

(٤١) Grousset : L'Épopée, p.p. 58 — 59.

(٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٤٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٣٨ .

(٤٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٤٥) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Ciliciénne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset :Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٤٦) Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 292 — 293.

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شـــديد (٤٩) . على أن اهالى الرهـــا لم يستسلموا للحزن بعد هزيمـــة حران التى اسر فيهـــا بلدوين دى بورج وجوســـلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الأهالى انقاذ الوضـــع الداخلى للرهـــا بسرعة فقرروا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) .

ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الأهـــالى كل ما فى وسعهم لمســـاعدة تنكريد لردهم عن الامارة ، فكان لجهود اهالى الرها فى تلك الفترة أثره الفعـــال فى رد الأتراك وفى احراز النصر (٥١) .

وبانقضـــاء ذلك الدور من ادوار الخطر التركى دخلت الامارة فى فترة من احلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم رينشـــارد دى ســـالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها اهالى الرهـــا كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصـــادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسكرى الذى أودى بحياة الكثير من اهالى الرهـــا خاصـــة فى مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ٤٩٩هـ) (٥٣) .

وباطلاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م — ٥٠٢هـ فرح اهالى الرها

---

(٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٥٠) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Brehier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٥١) Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, pp. 616 — 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit.,, p. 214.

(٥٢) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٣) Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, p.p 437 — 438.

هنا يذكر منى الرهاوى أنه فقد فى تلك المعركه من اهالى الرهـــا حوالى ٤٥٠ شخصـــا . وأن تلك الكارثة حملت اليأس الى الرهـــا ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتاوهات ، وكل الزيف المحيط بالمدينة ســـال بالدم .

بعودة أميرهم القديم وبتخلصهم من حكم ريتشارد اللمرماندى وجمعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جلولى من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة أثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما أن علم اهالى الرها بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسفوا على بلدوين الذى ظنوا أنه قد مات . وفى نفس الوقت خافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم ممثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حملوا لعهده أسوأ الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرها Saint- Jean حضره رئيس الأساقفة اللاتين بالمدينة وطالب الأهالى بأن يتولى أمر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين الى جانب اهالى الرها حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حدث فى اليوم التالى للاجتماع أن فوجىء الاهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرها . وعندما استقصى الأميران أحوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهالى قد صمموا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحاولات الاجرامية فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى اقصى درجات الشدة والقسوة فى معاملة اهالى الرها ، الأمر الذى جعل متى الرهاوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، التى يعتقد أنها قامت أصلا بسبب اصغاء الفرنج لبعض الوشايات الكاذبة (٥٩) .

---

(٥٤) Zoé : Op. Cit., p. 240.

(٥٥) Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

(٥٦) Mattieu : Op. Cit. p,.p. 87 — 88.

(٥٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442.

(٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 88.

(٥٩) Mattieu : Ibid., p. 88. ومما ذكره متى الرهاوى : « نهبت منازل الرهويين وسملت اعين كثيرين منهم لم يكن لهم اى ذنب على

والحقيقة أنه ينبغى أن نشير هنا الى أن العقاب السريع الذى أنزله بلدوين بأهالى الرهـــا فى ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالى عندما وجدوا أن أميرهم قـــد حلت به الهزيمة ولم يعد مما أثار الظن بأنه فقد ؟ أليس معنى ذلك أنهم سيعودون مرة أخرى لحكم ريتشارد القاسى الظالم ؟ مما جعلهم يفكرون فى التخلص من الحكم الفرنجى كلية ؟ لكن ربما كانت الأمور قـــد ســـارت الى عكس ما تطورت اليه اذا كان بلدوين دى بورج قـــد عالج الأمور بنوع من التروى والتعقل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جـــدا حيث بدأ الصـــليبيون فى الرهـــا ينظرون اليهم بنوع من الشـــك والريبة (٦٠) . وبعد أن كانت سياسة بلدوين فى حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الصليبيين والأرمن ، اذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حســـابه كلية واعتمد فى حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

واذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م — ٥٠٢هـ قد اتصفت بالعنف فى معاملتهم ، فان سياسته مع المسلمين فى نفس السنة اتصفت بالتســـامح تنفيذا للاتفاق الودى الذى كان قـــد تم بينه وبين جاولى عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف أن المسلمين فى الرهـــا كانوا متركزين تقريبا فى سروج فى ذلك الوقت اذ كان بها حوالى ثلثمائـــة مســـلم فسمح بلدوين لأصحاب جاولى بتعمير مســـاجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تســـامح بلدوين مع المسلمين فى ذلك الوقت ان رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولى « يقول فى الاســـلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هـــذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نفتله (٦٤) » .

الأطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحيى الرهـــا عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطـــاهر الذى سفك » .

(٦٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٥٤ .

(٦٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, pp. 438 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Ibid., p. 439.

وظل أهالى الرهـا على ذلك الوضـع حتى ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الاسلامى ضـد الفرنـج فكان لحملته الأولى فى هـذة السنة ضـد الفرنج أثرها الكبير على الوضع السكانى فى الرهـا ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة فى الأجزاء السـابقة من بحثنا . لكن مما نود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود فى استدراج الفرنج الى حران ليوقع بهم كما حـدث فى ١١٠٤م (٤٩٧هـ) ؛ وبعـد أن ادرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة الى الرها وزودوها بالمؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج الى الضفة الغربية للفرات . عندئذ قرر أهالى الجزء الشرقى من الرهـا ــ الأرمن والسريان ــ الجلاء عن أراضيهم والالتجاء الى مناطق كيسوم ورعبان (٦٦) . خوفا من بطش الأتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هـذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن اسرع مودود الى الضفة الشرقية للفرات حيث احـدث مذبحة كبيرة فى الأهالى وأسر الكثيرين منهم خاصـة من النسـاء والأطفال كمـا غرق البعض الأخر فى أعداد هائلة فى نهر الفرات ، وهو ما فصـلته المصـادر الأرمينية واللاتينية (٦٨) . الى جانب المراجع الأفرنجية المختلفة (٦٩) والتى أرجع بعضها تلك الابادة السكانية الى أن هجرة السـكان فى ذلك الوقت تمت فى تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الأتراك يقوم ببعض المناورات العسـكرية فى الضواحى القريبـة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالى فى عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

---

(٦٥) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٦٦) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Epopée, p.p. 88 — 89.

(٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 93.

(٦٨) (سنورد وصفا لمـا الحق بالاهالى مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94.
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

(٦٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p 299, L'Epopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op. Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٠) Zoé : Op. Cit., p. 243.

الغربيـــة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالى بأى نوع من المعونة . وتنفيسا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التى شـــاهدوها عن قرب (٧١) . فى حين رجع مودود الى المشرق وصحبته أعـــداد ضخمة من الأسرى وغنائم لاتحصى (٧٢) .

وهكـذا كـــان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرهـــا ١١١٠م (٥٠٤هـ) أنها أدت الى أحـــداث خلخلة كبيرة فى ســـكان امارة الرهـــا وعلى وجـــه الخصوص فى جزئها الشرقى (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرهـــا واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالى الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع أن شـعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصـــليبيين منذ التنكيل الذى لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢هـ) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤هـ) والتى قاسى منها أهالى الرهـــا — وبخاصـــة قسمها الشرقى — أدى كل هـــذا الى تـ كير بعض الأرمن فى الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا فى تسليم الرهـ ا للمسلمين وذلك أثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦هـ) .

، كان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه أن يؤمنهم على أرواء هم فى مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مسرورا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينـــة (٧٧) .

---

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 422, Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٢) Mattieu ; Op. Cit., p. 94.

(٧٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400.

(٧٥) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٥

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

(٧٦) Mattieu : Op. Cit., p. 101.

(٧٧) Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 473.

ويقال أن بعض السريان اشتركوا فى تلك المؤامرة

Grousset : L'Empire, p. 299 عن (L'Anonyme)

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الي آذان جوسلين الأول فاسرع الى الرهـا ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالمتآمرين اشد الوان العقوبة والقى بالأتراك من اعلى الجدران فهلكوا فى الحال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرهـا فى ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشديد الذى تعرض له الأرمن ١١١٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبى . لذا انتهزوا فرصة وجود بلدوين فى تل باشر بعد ان انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٣م (٥٠٧هـ) وحاولوا من جديد تسليم الرهـا للأتراك اثناء حملة مودود على الرهـا فى تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل ان الأمر لم يتعد مجرد بعض الأشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج الميالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصدقها بسرعة (٨٠) . ولكننا نرجح انه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرهـا الأرمن وبين الأتراك بسبب ضجرهم فى ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التعسفى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهـالى الرهـا دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك فى ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صورة مفصلة لطرد اولئك الاهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج فى القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الأم لبقية المدن المحيطة بها (٨٣) .

---

(٧٨) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(٧٩) Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٠) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105.

(٨١) Mattieu : Ibid., p. 105.

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 105.

فقد ذكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بالرها ، لم يعرف الأب ابنه وانكر الأبن ابيه ، دوى النواح والناوهات فى كل مكان ، وغمر كل منزل فى الحزن والحداد .. طرد الفرنج الاهالى من منازلهم ، وأمروا باحراق هؤلاء الذين اختبأوا فى المنازل ، فلم يبق فيها احد الا القليل ، .. =

وتلتمس بعض المراجع الحديثة العذر لقسوة بلدوين آنذاك بدعوى ان مرجع ذلك كان تكرار تآمر الأرمن بالذات مع الأتراك ضد الفرنج فى الرها (٨٤) .

ويلاحظ انه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥) ، الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور واعتصموا بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين دى بورج تعذر القيام بشئون الامارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من أهالى الرها فضلا عن رفاقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين من سميساط وتم ذلك فى فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧هـ) . ولكن عودة الاهالى مرة اخرى الى بلادهم لايعنى فى نفس الوقت عودة العلاقات الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبى الذى أشارت اليه بعض المراجع الفرنجية بانه « مضطهد الأرمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة بين الأهالى والصليبيين الغربيين الذين اعتبروا « طالبى منافع وأنهم فى سبيل الحصول عليها ارهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم الغلظة (٨٩) » .

أهالى الرها فى عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م — ١١٣١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم امارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب من اهلها وخاصة العنصر الأرمنى الأكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين فى الرها فى عهد بلدوين دى بورج ، ولكى يمحو من نفوسهم الأثر السيء الذى تركته قسوته وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

= فيا للشقاء على شعب ابجر ... » .
وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سميساط
(Mattieu : Op. Cit., p. 105,
Grousset : Hist. des Crois. ,V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

(٨٤) Setton : Op. Cit.. V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. des Crois., p. 491.

(٨٥) Grousset : Ibid., V. 1, p .491.

(٨٦) Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٧) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٨) Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٩) Mattieu : Op. Cit.. p. 106.

المعاصر متى الرهاوى يؤكد ان ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على ان يظهر العطف على اهالى الرهـا (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرها فاتخذ لنفسه زوجة ارمينية هى اخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة ان جوسلين اخلص فى حبه لرعاياه الأرمن فبادلوه حبا بحب (٩٢) . وفى نفس الوقت لم يهمل جوسلين العنصر السريانى ، فحرص على ان يقوى رابطته به أيضا (٩٣) .

من اهم المناسبات التى ابرزت مدى حب رعايا جوسلين الأول له ما حدث عندما علم اهالى الرها بأسره ١١٢٢م (٥١٦هـ) — كما بينا من قبل — اذ انهم لم يفكروا عندئذ فى انتهاز فرصة غيابه عن الامارة ليثوروا ، وانما اظهروا الحزن الشديد وخضعوا الملك بلدوين الثانى منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما اسر الملك فى العام التالى ايضا بدأ اهالى الرها — وخاصة العنصر الأرمنى — يفكرون فى انجح الوسائل واسرعها لانقاذ اميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سارع عدد منهم الى خرتبرت — كما مر بنا — واطلقوا سراح الموجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوسلين وصل بلك الأرتقى الى القلعة وانزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء المجموعة

---

(٩٠) Mattieu : Ibid., p. 126.

(٩١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن (L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit.. p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

(٩٢) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, Archer : p. 162.

(٩٣) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, p. 877 عن (L'Anonyme).

(٩٤) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٩٥) Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419.

(٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

=

الأرمينية الفدائية « أن بعضهم قطع اربا والبعض دفنوا احياء . وتحول آخرون الى عبيد لرجال بلك الى جانب قله هربوا احياء (٩٧) » . وهكذا لم تضن بعض العناصر الأرمينية فى الرهـا بتقديم أرواحهـا فداء للأمير جوسـلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مـدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (٩٨) .

أهالى الرها فى عهد جوسلين الثانى ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرهـا :

وعندما ورث جوسلين الثانى امارة الرهـا عن أبيه ورث معها حب اهلها الشـديد لوالده (٩٩) . كذلك كان جوسلين اكثر امراء الرهـا قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمينية — كما اشرنا — فلا غرو اذا اسمته بعض المصـادر العربية (جوسلين الأرمنى) (١٠٠) .

وقـد ظل اهالى الرهـا ينعمون بالهدوء وبحب اميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرهـا . وكـان جوسلين الثانى قد عهد الى اهالى الرها الأرمن والسريان بحماية المدينة فى اثناء تواجده فى مل باشر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونسـاء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما فى وسعهم لحماية اسـوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة فى مقابل المحافظـة على ارواحهم رفضوا بشـدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينـة

= Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ .

(٩٧) William : Op. Cit., V. 1. p. 544.

(٩٨) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 299.

(١٠٠) ابن العديم : بغيـة الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ، مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (أ) ، ٩١ (ب) .

(١٠١) Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois.. V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسياتى وصف مفصل لاستماته الأهالى فى الدفاع فى الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرهـا .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالى جهدهم لسد تلك الثغرة التى فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكتفى بالقول بأن المسلمين اعملوا فى اهل الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية والسريانية الى جانب المصادر والمراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى أنه عندما تحول الأهالى جميعا للدفاع عن الجزء الذى سقط من السور ، اعملت القوات الزنكية السور ونزلت الى المدينة وعملت مذبحه هائلة فى اهالى الرها ، فصلها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالى الذين نجوا من تلك المذبحة الى قلعة المدينة للاحتماء بها ، فمات اكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) . والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية فى تصوير التنكيل الذى لحق بالأهالى فى ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشىء الجديد بالنسبة لأهل

---

(١٠٣) Nersès : Ibid., p. 253, (التفصيل فى الملاحق) Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 ,p. 269.

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، الباب السابع ٥٣٩هـ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6 (مع قصيدة الرثاء فى الملاحق)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit. V. 2,p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار أن عدد من هلكوا أمام القلعة قدر بحوالى الفى شخص .

الرهـــا ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدوين دى بورج ورفاقه من الصليبيين الغربيين فى السنوات ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م .

وعندما دخل زنكى المدينة أمن اهلها وبنى ما انهدم منهـــا (١٠٧) ، واصـــدر اوامره لرفاقه باغماد السيف (١٠٨) . والواقع ان هـــذا الامان لم يشمل كل اهالى الرهـــا بل اقتصر فقط على اهلها الاصليين من الارمن والسريان (١٠٩) . اما الفرنج فقد امر زنكى بقتلهم اينما وجـــدوا ويسبى زوجاتهم واسر اطفالهم (١١٠) .

والحقيقـــة أن زنكى تســـامح بالذات مع العنصر السريانى وشـــجع الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجأ الى الشفقة فى معاملتهم (١١١) . واعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الـــذين تأسفوا على الحكم الفرنجى الذى تضامنوا معه بشـــدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك العنصر فى مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياســـة صـــلاح الدين فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرهـــا الى ماكانت عليه فى اواخر القرن الحـــادى عشر مدينـــة يسكنها الارمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

---

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Clt., p. 159, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Clt., p. 370, Zoé: Op. Clt., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Clt., p. 159, Michel : Op. Clt, p. 263 ,Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer : Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163, Cahen : Op. Clt., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des Crois ,.V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 190.

بالاشراف على شئونها الى زين الدين على كوجك ، الذى عامل الاهالى معاملة طيبة جدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودى الى الرها ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن فى الرها شدة اهتمام زنكى بالعنصر السريانى ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية فى المدينة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ الاسلامى ، وليعيدوا النفوذ الفرنجى مرة اخرى . كان ذلك بعد مرور حوالى سنة ونصف تقريبا على استيلاء زنكى على الرها (مايو ١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكى اشتد فى التنكيل بهم ، وكانت عقوبته اما القتل او الصلب او التشريد (١١٧) . ثم احل محلهم حوالى ثلثمائة اسرة يهودية (١١٨) . واصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق أمام القضاء مثل المسيحيين (١١٩) . وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ الصليبى عنها . وربما كان من الممكن أن نسير الاحوال الداخلية فى الامارة على منوال آخر اذا كان العنصر اليهودى موجودا بها منذ فترة مبكرة اكثر ، فقد كان اليهود الد اعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين واهالى الرها ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى راسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا سوى بقاء النفوذ الاسلامى ، الذى أتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوى على

---

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسى : الذيل ، حـ ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ ،
Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit.. V. 1, p. 267.
كانت شهادة اليهودى امام للقضاء مساوية لشهادة المسيحى .

(١٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦١٠ .

العقائد الأخرى تآمر الأرمن فى الرها لاعادة النفوذ الفرنجى اليها (١٢١) . وهنا اضناف أحد المراجع المترجمة عن اصل عبرى ان من اسباب تآمر الارمن ايضا،دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تآمر الارمن استعادة جوسلين الثانى الرها لفترة قصيرة ، لم تستمر أسبوعا واحدا ، اعقبها تنكيل نور الدين محمود بن زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم فى عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى اهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . أما ابن القلانسى المعاصر فيعطينا نفس المعنى بصورة اخرى بقوله « محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان اسر من المسلمين ونهب منها الشىء الكثير (١٢٤) » .

أما المصادر السريانية والارمينية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع أجنبية حديثة فتفصل الحديث باسهاب شديد عما اصاب الأهالى من تنكيل فى ذلك الوقت عندما كانوا فى طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الاهالى . فميخائل السريانى ومن نقل عنه يذكر ان الاهالى اجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد ان اشعل الفرنج النار فى منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . أما وليم الصورى ومن اخذ عنه فيذكر ان هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة جوسلين التى شجعوه اصلا فى القيام بها ، وعلموا ان كل امل فى المقاومة قد انتهى وان كل طريق للنجاة قد اغلق . ثم تأكدوا انهم سيعاقبون بالموت فى افظع اشكاله ، عندئذ فضلوا ان يرحلوا مع زوجاتهم واطفالهم وان يقتسموا حظا غير اكيد مع اخوانهم فى الجيش المسيحى عن أن يموتوا أو يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

---

(١٢١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199.

(١٢٢) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ، ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآه الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلانسى : الديل : ص ٢٨٨ .

(١٢٥) Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٢٦) William · Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد فى المصدر السريانى وصفا مفصلا لكيفية رحيل الأهالى بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسلمون (١٢٧) . لكن لم تمض لحظات حتى نبه المسلمون الى حركتهم بسبب الضوضاء العالية التى أحدثها الهاربون . وعندئذ أحاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . الى جانب عدد آخر من الأهالى ماتوا مخنوقين من شدة الزحام لو داستهم الخيول (١٢٩) .

وكان للاتراك الموجودين فى قلعة المدينة دورهم فى التنكيل بالأهالى اذ تتبعوا الذين التجأوا الى الكنائس والى أماكن أخرى فقتلوهم أو عذبوهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا الى أسواق حلب (١٣١) .

أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوسلين الثانى وبلدوين امير مرعش فقد لحق بهم الاتراك من جديد واعملوا السيف فيهم فقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرسان الفرنج بخيولهم فى حين لجأ المشاه الباقون الى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الأهالى ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار الى سميساط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوسلين الثانى نفسه من بين الذين فروا

---

(١٢٧) Grousset : Ibid., p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٣٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165

(١٣٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال انه فى ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابسهم واحذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجالا ونساء بالجرى مع الخيول فمات عددا كبيرا منهم تحت أقدام تلك الخيول التى داسنهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سميساط ولو أنه كان جريحا (١٣٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم اهالى الرها جميعا — ثمن اخلاصهم الفرنج غاليا (١٣٥) . ولم ينقذهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين أسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية فى ذلك الوقت (١٣٦) . بعد أن فقدت غالبية اهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السريانى من فقد منهم فى فتح الرها الأول ١١٤٤م ، الثانى ١١٤٦م بحوالى سبعة واربعين الف نسمة « قتل منهم حوالى ثلاثون الفا وأسر وتحول للعبودية ستة عشر الفا ونجا حوالى الفا (١٣٧) » .

وبذلك أصبحت الرها مكانا خربا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحقت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد اصبحت أثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقى من الامارة ، فان سكان تل باشر وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين فى ذلك الجزء الغربى حتى أسر جوسلين الثانى. وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الامارة ، قررت زوجة جوسلين واطفاله الى جانبه عدد كبير من الأهالى التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن تمثل عدد كبير من الأرمن والسريان النفى عن بلادهم عن الشمسية للنفوذ البيزنطى (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفى ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

---

(١٣٤) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme).

(١٣٥) Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301.

(١٣٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93.

(١٣٧) Michel : Op Cit., p. 272.

(١٣٨) Michel : Ibid , p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السريانى وكذلك رثاء ديونيسيوس الآمدى فى الملاحق .

(١٤٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 209.

(١٤١) Zoé : Op. Clt , p. 355.

عالية ونساء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة واطفال صغار وقد شردوا من وطنهم وتركوا أرض أجدادهم وآبائهم ، فى الم عميق (١٤٢) .

وهكذا تشتت سكان امارة الرها ؛ كما تمزقت ارضهم . بعد حياة مليئة بويلات الحروب المتتابعة التى تعرضت لها الامارة ، الى جانب الكوارث التى احقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الامارة الصليبية .

الحياة الاقتصادية :

رغم عثورنا على بعض الاشارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للامارة ، اثناء دراستنا للحياة السياسية بها ، الا أن ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضح ذلك الجانب من بحثنا هذا .

والواقع أن غالبية اهل الرها كانوا زراعا وتجارا الى جانب بعض الرعاه (١٤٣)،حيث كان يوجد بالامارة بعض المراعى والغابات(١٤٤). ومن أهم ثروات المراعى الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن اهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

اما الصناعة : فلم نعثر الا على اشارة واحدة وسط كتابه وليم الصورى تدل على أنه وجدت بالرها صناعة الزيوت والخمور . فقد ذكر أن من بين الاشياء التى أرسلها بلدوين البولونى للصليبيين المحاصرين لانطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولما كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحياة الاقتصادية للامارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعة :

كانت امارة الرها من اهم المناطق الزراعية الغنية فى اقليم

---

(١٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 211.

(١٤٣) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٤٥) William : Ibid., V. 1, p. 238.

فقد ذكر وليم الصورى أن من بين ما ارسله بلدوين البولونى من الرها للصليبيين المحاصرين لانطاكية الخيول الممتازة .

(١٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 238

الجزيرة (١٤٨). الذى اشتهر دائما بخصوبة ارضه ووفرة حاصلاته(١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار أو الينابيع الجوفية والامطار (١٥٠) . ومن اهم الحاصلات الزراعية لامارة الرهـا الشعير والقمح (١٥١) وقـد اشتهرت تل باشر بقمحها بالذات (١٥٢) .

كذلك اشتهرت الامارة بحدائقها الغنية (١٥٣) . وكانت الرها بالذات مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) ، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥) . اما

---

(١٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : Op .Cit., V. 1, p. 75.

(١٤٩) Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcherii : Op. Cit., p. 337, Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٥٠) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241.

يقول نيرسيس على لسـان الرهـا :

انبثقت من احشائى مياه حيـة
وكانت مياه البحر تمتد بين اسوارى

ويعلق دولوريـيـه على ذلك بقولـه أن الشـاعر يرمز بلفظ البحـر الى نهر سبرتوس أو ديسـان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذوبان الثلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينـة .

(١٥١) Mattieu : Op. Cit, p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

(١٥٢) William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295.

(١٥٣) Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit., p. 113.

ويضيف المرجع الأخير ان كثرة الحدائق المحيطـة بالرهـا جعلتها تظهر ضاحكة باسمة جـدا

(١٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III . T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « ان اهالى الرهـا كانوا يقدمون لبلك حاكم سميساط ضرائب بيزنطية من محاصيل واعناب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الاهالى وكان اذا قاومه احـد اثار الأتراك ضـده فيصبح ذلك الشخص التعيس خـائفا ليس فقط ان كرومه وحدائقه ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته أيضـا » .

(١٥٥) Nersès : Op. Cit., p. 241.

يذكر نيرسس ان حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعفران والورد والبنفسـج .

تل باشر فكانت اشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للنواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار او البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الأثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الامارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٢هـ) ان الأمطار لم تسقط في اى جزء من اجزاء الامارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجدب فناء كبيرا بين اهالي الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوى تلك المجاعة الى الغضب الالهي الذي انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالي اليمين الذي اقسموه على الصليب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرخاء مرة اخرى فتضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الأشجار الفواكه وفاضت ينابيع المياه بمياهها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما اصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول ممزوجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الأراضي وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان القرار ، الذي اتخذه اولى الأمر من الصليبيين انذاك - تاثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقي من الامارة الأكثر

---

(١٥٦) Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٨) Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٩) Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٦٠) Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

تعرضـــا للخطر من ســكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان فى تلك الخطوة سلامة أولئك السكان الارمن والسريان . لكن حدث عكس ما كانوا يظنون. فقـد دمـر الاتراك السريف بأكملـه (١٦٢) . وانلفوا كـل الحـدائق المحيطة بمبرهـا (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بان هـذا الاقليم الغنى الخصيب تحول فى يوم واحـد الى ارض مجدبـة خاليـة من كل شىء (١٦٤) وبالأضـافة الى ذلك فقـد قتلت غالبية أولئك السـكان الفلاحين فى ذلك الجزء بسهولة اثناء محاولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) ـ كما اشرنا ـ وبذلك كان لحملـه مودود هـذه اثرهـا المدمر على الناحية الاقتصـادية كما كان لها ايضـا اثرها البالغ الخطورة على الناحية السـكانية .

وفى ١١١٣م (٥٠٧هـ) اصيبت اراضى الرهـا بمجاعة قاسية نتيجـة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هـذا الى جـانب قلة المشتغلين بالزراعة فى ذلك الجـانب الشرقى من الامارة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقيـة الزراع فى ذلك الجزء من مزاولة اعمالهم حتى لا يتعرضـوا لاعتداءات الاتراك المتكررة على هـذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

---

(١٦١) Mattieu : Ibid., p. 99, Grousset : L'Empire, p.p. 298-299, Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : Op. Cit., p. 243, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(١٦٢) J. Prawer : Op. Cit., p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(١٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(١٦٤) Zoé : Op. Cit., p. 243.

(١٦٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.. T. 3 p.p. 421 - 422, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Epopée, p. 89, L'Empire, p. 299, Cahen : Op. Cit., p. 258, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Zoé : Op. Cit .p,. 248.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 407.

حتى اضطر الناس الى أكل الخبز المصنوع من الشعير والـذى كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

(١٦٧) William : Ibid., V. 1, p. 407.

وبينما كان الجزء الشرقى من الامارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجدب والمجاعة كان الجزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم برخاء واردهار فى كافة النواحى ، والمثل فى تل باشر وضواحيها تحت نفوذ جوسلين دى كورتناى (١٦٨) . وقد ترتب على هذا الوضع الشائك ـ كما بينا من قبل ـ قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسلين وطرد الأول للأخير من الامارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالت الخطر الاقتصادى الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجح أن الاوضاع الزراعية فى شطرى الامارة ظلت على هذا النهج فى غالبية الاحيان لأن الجزء الشرقى ظل اكثر تعرضا باستمرار للغزوات التركية الاسلامية . فمثلا حدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عندما غزا ايلغازى بن ارتق الرها أن احرق محاصيلها (١٦٩) . اما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقد نتج عنها تخريب الريف حول الرها (١٧٠) .

التجارة :

اشتغل جزء كبير من سكان الرها بالتجارة (١٧١) . ذلك ان امارة الرها تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصل ما بين النهرين بالساحل (١٧٢) . هذا الى ان مدينة الرها تقع على احد الطرق التجارية العظيمة التى تصل جبال ارمينيا شمالا ببادية الشام جنوبا (١٧٣) . اما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج (١٧٤) .

---

(١٦٨) William : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 487, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٦٩) Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 249.

(١٧٠) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(١٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

(١٧٢) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478.

(١٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 7.

(١٧٤) Le Strange : Op. Cit., p. 108.

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية فى تلك الامارة منها الطريق من مرعش الى الرهـا ، والطريق من دلوك عبر صـحراء الشـام والذى يمر بحلب ، والطريق من سميساط الى الرقـة على طول الفرات ، فضـلا عن الطرق من تورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع أن الأهمية التجارية للرهـا هى التى جعلت تنكريد يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٠٢هـ) دون المسـاهمة فى اطلاق سراح أميرها بلدوين دى بورج لأنه فضـل أن يحتفظ لنفسـه بايرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك ان وقوع الرهـا على مفترق الطرق بين الشـام وانطاكيـة من ناحيـة والعراق وفارس من ناحية اخرى جعلها مركز نشـاط تجارى واسع . وكانت عائدات الرهـا وحدها من الرسوم الخاصـة بمرور التجارة تصل الى اربعين الف بيزانت ، هـذا خلاف المتحصلات الأخرى التى تحصل من اماكن اخرى مثل سميساط وتل باشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التى دفعت زنكى الى ايقاف المذابـح والنهب فى الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته فى المحافظة على الازدهار التجـارى فيهـا (١٧٨) .

كنيسـة الرهـا والحيـاة الدينية فيها :

قبل أن نتناول بالبحث الحيـاة الدينية لامارة الرهـا ومـدى تاثرها بالحيـاة السياسية فى الامـارة ، يجدر بنا أن ناخـذ فكرة عن الطوائف المسيحية فى الرهـا واهم الكنائس التى تتبعها كل طائفة . هـذا مـع الاشـارة الى اهم الكنائس التى شيدت فى الرهـا ومـا بقى منها حتى الفترة الصـليبية للامارة .

والواقـع ان الرهـا تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ ان تلقى اهلها تعـاليمها على يـد (آديـا) رسـول المسيح الى ملكهم

---

(١٧٥) Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-470

(١٧٦) Zoé : Op. Clt., p. 215.

(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409.

(١٧٨) Grousset : L'Epopée, p. 163.

(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤
William : Op. Clt., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى ٥٤٢م أسس الراهب يعقوب البرادعى المذهب اليعقوبى بالرهـا (١٨١) . والكنيسة اليعقوبية هى أحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) . ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .

وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هى السائدة فى الرهـا الى ان انضمت اليهـا الكنيسـة الجريجورية الأرمينيـة (١٨٤) ، التى كان يراسها الكاثوليكوس Catholicos (١٨٥) .

---

(١٨٠) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

(١٨١) R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنـا ان يعقوب رسـم اسقفا سرا بواسطة تيودور بطريرك الاسكندرية بمسـاعدة اثنين آخرين من الأسـاقفة المونوفيزتيين . وعندئذ اصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب لم يستقر فى الرهـا بل قضى حياته فى الوعظ فى سـوريا وما بين النهرين وقيلية وكباد وكيا وأسس فى كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

(١٨٢) R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٣) Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٤) Grousset : Ibid., p. 311.

(١٨٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

تولى القديس جريجوار كرس البطركية الأرمينية فى القرن الرابـع الميلادى اى فى بداية عهد الكنيسـة الأرمينية ، ثم تولاه بعده أولاده واعقابـه من بعـده وكلهم من فرع الأسرة الارسكيدية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلعـة الروم كانتمقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمينيـة كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الأرمينية :

Pâques.	عيـد الفصـح
Epiphanie.	عيـد الغطاس
Transfiguration.	عيـد التجـلى
Assomption.	عيـد صعود العذراء
Exaltation de la Saint Croix.	عيـد ارتفاع الصليب المقـدس
Pentecote.	عيـد الخمسين او الحصـاد

(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 102).

لكن يبدو انه رغم أن الرهـا كان يتولى فيها مطارنة يعاقبـة حتى ١١٦٦م الا انهـم لـم يلعبـوا دورا مهمـا فى سـلم الكهنوت اليعقوبى Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنـائس الرهـا :

ثم ان الرهـا اشتهرت بكنائسها التى يزيـد عـددها على ثلثمائـة كنيسـة (١٨٧) . وكانت اشهر تلك الكنائس واقدمها : الكنيسة القديمة او الكندرائية التى بناها (آديا) من المـال الذى وضعه الملك أبجر تحت تصرفه (١٨٨) . وقـد ظلت تلك الكنيسـة وحيدة بالرهـا حوالى ثلاثة قرون تقريبـا (١٨٩) ، واصيبت بعـدة تخريبـات بسبب الفيضانات والزلازل مابين بدايـة القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادى . ولكن فى كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقـد وصفت تلك الكنيسة بانها

---

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.
وهـذا المرجـع يعطينا حصرا لأسـاقفة الرهـا اليعاقبة فى فترة امارة الرهـا الصـليبية وهم :

Basile (Bar Sahhûni).	مزل ١١٠١م
Ignace (Bar Gadhîni).	١١٠١ — ١١٣٠م
Athanase.	١١٣٠ — ١١٣٧م
Basile.	١١٣٧ — ١١٦٦م

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica : V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2, p. 997.

(١٨٨) Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 .

(١٨٩) نفى ٣٤٦م شيدت كنيسـة المقربين
L'Eglise des Confesseurs
(Duval : Op. Cit., p. 17, 189, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p.p. 2064 - 2090).

(١٩٠) Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p. 2063.

فقـد ذكرا انه حتى الفيضـان العظيم ٢٠١م لم يكن مسـيحيو الرهـا يملكون سـوى كنيسـة واحدة تعرف بالكنيسة القديمة خربها ذلك الفيضان =

« احـدى عجائب الدنيا (١٩١) » . وقيل ان الروم اشـاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجـارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانيـة اعظم ولا ابدع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جـانب الكنيسـة العظمى بنى بالرهـا عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها فى داخل الرهـا : كنيسـة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيسـة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرسـل (١٩٧) ، كنيسـة حنـا المعمـدان (١٩٨) ، كنيسة القديس

=

ثم اصابها نفس الكارثة فى فيضـان ٣٠٣م ثم اعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقف الرهـا وخليفة سعد . وبعد فيضان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير ..وقلبت الكنيسـة مرة اخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٩م ومرة اخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p .16, Dictionnaire D'Archéologie... p. 2063,

المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يذكر انها كانت بازاج ملبسـة بالفسيفساء) .

(١٩٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الاسقف Vologèse او Eulogius ٣٧٩م.

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيسـة القديس Barlâha شيدت بواسطة ديوجين اسقف الرهـا ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم اصبحت كنيسـة بواسطة رابولا اسقف الرهـا ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170,
Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس اسقف الرهـا ٤٥٧ ـ ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيسة القديس كوانا (٢٠٠) ، كنيسة مارى أم المسيح (٢٠١) . هذا الى جانب كنائس أخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكان من أشهر الكنائس التى بنيت فى الرها فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس أبرزها كنيسة سانت صوفيا أو القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى امارة الرها على مدينة الرها فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكان من أهمها كنيسة قورس التى اعتبرت أيضا من عجائب الدنيا (٢٠٤) .

واذا كانت كنائس الرها قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

---

(١٩٩) Saint Addée. (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064)

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرسة الفارسية ٤٨٩م .
(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خارج المدينة :

Saint - Cosmas.	كنيسة القديس كوسماس
„ Damien.	كنيسة القديس داميان
„ Serge.	كنيسة القديس سيرج
„ Siméon.	كنيسة القديس سيمون

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرها وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة المتربين وكنيسة الرهبان القديمة
(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يذكر نيرسيس أن البيزنطيين لما حكموا الرها بنوا بها هيكلا على اسم هيكلهم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) اما متى الرهاوى فيسميها Saint Sophie
(Mattieu : Op. Cit., p. 81)
أما الكنيستين الأخرتين فهما كنيسة Mar Theodoros, Mère de Dieu وقد بناهما الأسقف مارد يونيسيوس (Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لما هدم جزء من كنيسة الرها بعد زلزال ٦٧٩م اعاد معاوية الأول بناءه .
(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

اما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرها كنيسة للتعميد
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

فان أول الخلفاء العباسيين لم يحترم قدسيتها بل أصيبت المدينة نفسها بالتخريب فى عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار فى المنازل والكنائس - لأن مسيحى الرها كانوا يفضلون الحكم العربى على الحكم البيزنطى . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى تقى عين عليها المطران ديونسيوس فاعاد أزدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، انشأوا كرسيين بطريركيين لاتينيين بها هما بطريركية انطاكية وبطريركية القدس . وكان يتبع انطاكية عدة كراسى مطرانية اهمها الرها بعد استيلاء منها قورس ومرعش(٢٠٨) . وهكذا أصبحت الرها فى الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هى : الكنيسة اليعقوبية والكنيسة الأرمينية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت فى الرها فى الفترة الصليبية حوالى ثمان كنائس رمم بعضها بواسطة الفرنج وخصصت ثلاثة منها للشعائر اللاتينية (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) Michel : Op. Cit., p. 279.

(٢٠٧) Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280.

(٢٠٨) Michel : Op. Cit. p. 191.
كانت اهم الكراسى المطرانية التابعة لأنطاكية طرسوس والصيصة والرها ودلوك وأفامية . أما اهم الأسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .

(٢٠٩) Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113.

اهم الكنائس فى الرها فى الفترة الصليبية هى :

١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهى كتدرائية لاتينية رممت بواسطة الفرنج

٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهى كتدرائية بيزنطية .

٣ — كنيسة المقربين Confesseurs

٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية

٥ — كنيسة القديس ايتان ، ذات شعائر لاتينية

٦ — كنيسة القديس تبودور (وهى التى اختبأ فيها حوالى ثمانين من الأرمن امام تنكيل امير سروج ١١١٣م .
(Mattieu : Op. Cit., p. 105

٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .

٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراسة الأحوال الكنسية والدينية فى امارة الرها سنتناولها وفقا لفترة حكم الأمراء الصليبيين المختلفين لتلك الامارة لنتبين من خلالها مدى تأثر الحياة الدينية بالحياة السياسية .

ذلك انه عند وصول بلدوين البولونى الى الرها خرج رجال الدين لاستقباله مع حاكم المدينة وبقية الاهالى فى صورة مشرفة جدا وترحيب زائد (٢١٠) . والواقع ان الترحيب البالغ الذى لاقاه اللاتين من الأرمن بالذات يشير الى أنه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد أن استقر بلدوين فى حكم الرها لم يكن هناك اى نوع من الاضطهاد الدينى الذى قاسى منه الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهده التسامح الدينى (٢١٢) . وهكذا بدأت امارة الرها الصليبية عهدها فى سلام مع الأرمن الجريجوريين والسريان اليعاقبة واليونان الارثوذكس (٢١٣) .

اما فى عهد بلدوين دى بورج ، لكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز فى حركة التوسع الصليبى الرهوى ، كذلك ظهر فى ذلك العهد التحالف الواضح بين الأمير بلدوين والكنيسة الأرمينية ، وعلى عكس ذلك قام الخلاف فى الكنيسة اليعقوبية .

ففى بداية ١١٠١م (٤٩٤هـ) وعند استيلاء بلدوين دى بورج على سروج قام الأسقف اللاتينى بندكت أو بابيوس بدور بارز فى قيادة الدفاع الفرنجى فى قلعة المدينة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضار النجدة واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفى نفس السنة ١١٠١م بدأ الخلاف بين المطران بارسابونى Bar cabouni وبين البطريرك الذى عينه مار اثناسيوس السابع ، فقد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدسة التى كانت مرصعة بالذهب والفضة الى الخزانة البطريركية ، والتى كان احد الثوار قد استولى عليها . وبالفعل وعد المطران بردها ، ولكن يبدو

(٢١٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.
(٢١٢) Grousset : Ibid , V., 1, p. 67.
(٢١٣) Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 . (L'Anonyme)
(٢١٥) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset · Op. Cit., V. 2, p. 870.

انه بعد حصولـــه عليهـــا رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر أن اعيان الرهـــا يعارضون فى ردها . وعندئذ لحتج البطريرك واشترط عليه اما ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهـــالى الرهـــا الى قسمين ، الأول أيد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان أن حاول بلدوين دى بورج عقـــد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل أن محـــاولة مطران ملطية فى هـــذا المجـــال ادت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرهـــا فى الاستعانـــة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكيـــة برنادى دى فالنس (١١٠١ ــ ١١٣٥م) فدعا الأخير البطريرك أثناسيوس امام محكمة فى قلعة القديس بطرس فى انطاكية . ويقال أن فرنج انطاكية توسلوا اليه أن يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندما حـــاول بعض الفرنـــج الأعتـــداء على البطريرك بالضرب تصـــدى لهم بعض الأســـاقفة ومنعوهم وبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيـــا يعقوبيا لبحث دعوى بارسابونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم أمير انطاكية روجر بذلك احتج على ســـلوك البطريرك اللاتينى وقال له « أنه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الأمير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة انطاكيـــة محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قـــد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر فى احـــد اديرتها ، الا أن ذلك لم يضـــع نهاية لذلك الموضـــوع ، لأنه أصـــدر من هناك قرار الحرمان ضـــد كنيســـة الرهـــا اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى فى الرهـــا فثار بعض رجال الدين بعضهم ضـــد البعض الآخر ووصـــل الاضطراب

---

(٢١٦) Michel : Op. Cit., p.p. 193-194.

(٢١٧) Michel : Ibid., p. 194.

(٢١٨) Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.

(٢١٩) Michel : Op. Cit., p. 197.

(٢٢٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515.

(٢٢١) Grousset : Ibid, p. 515.

(٢٢٢) Michel : Op. Cit., p. 212.

الى حد أن بعض أهالى الرهـا تصروا أطفالهم فى كنائس اللاتين (٢٢٣) .

وفى ١١٠٢م حـدث اضطراب دينى كبير فى بلاد الشـام وتيليقيـة وامتـد الى الرهـا ، وهو ما صوره متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما ذكر أن ذلك الاضطراب قام فى البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنـج فى تحديد عيد القيامة فى تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت فى ذلك الوقت مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج فلم يكن لديهم أى اهتمام بمناواة الأرمن فى تلك النقطـة . وكان ان دخل أهـالى انطاكية وتيليقية والرهـا فى مناقشـات لا تنتهى حول ذلك الموضوع لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان فى الرهـا الى الانضمام عن خوف الى جـانب البيزنطيين وتخـلوا عن التحالف الذى كانوا قـد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .

وكان البيزنطيون قـد وقعوا فى نفس الخطأ عندما لم تشعل انوار كنيسـة القبر المقـدس ، فى تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقـدس للمذابح من جـانب المسلمين ، وهو ما حـدث فى عهد الامبراطور باسيل حـوالى ١٠٠٦م (٣٩٧هـ) . وعندما تكرر نفس الخطـأ فى تلك السنة ١١٠٢م ، حـذر رجـال الـدين فى الرهـا الـرئيس الأعلـى للأرمن Le Catholicos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل كتبه بخط يده وحثهم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

---

(٢٢٣) Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 515-516.

(٢٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 62.

نقـد حـدد الفرنـج والبيزنطيـون عيـد الفصـح بيوم السبت الموافق ٥ ابريل ، بينما حـدده الأرمن والسريان والعبريون بيوم الأحـد الموافق ٦ أبريل وهو يوم أحـد السعف .

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 63.

(٢٢٦) Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67.

صورة مصغرة للخطـاب :

« الى الأصـدقاء الحقيقيين للمسـيح .. الى القسس ، الى كل العظماء والى كل المخلصين السـلام .

لقـد قرات خطابكم الذى يتفجر بالحب الالهى . ولقـد فهمت تماما كل ما يحويه من ملاحظـات . وانني احثكم واشجعكم واعلمكم الصبر . وسـأصحبكم حتى الموت فى كل المناسبات ، فى كل أنواع التعذيب ، لن

=

وعندما تلقوا الخطاب أصبحوا أكثر تمسكا عن ذى قبل بالمذهب الارثوذكس . ويذكر متى الرهاوى أنه حدث فى عيد الفصح أن أضاء أهالى القدس أنوار كنيسة القبر المقدس عن طريق التحايل واستخدموا لاضاءة تلك الأنوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الأضواء أثيرت بالضبط فى عيد الفصح الارمنى ، كما شاهد كل المسيحيين الموجودين بالقدس. عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السعف(٢٢٧)

وفى ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيسة الارمينية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الأعلى للارمن الجريجوريين ، باسيل الذى قدم الى الرها مصحوبا باتباعه من النبلاء والأساقفة والقساوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغة وقدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفى العام التالى عندما قامت معركة حران السابقة الذكر كان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها ايضا سواء من الرها أو من بقية الامارات اللاتينية الاخرى ، اذ شارك فى تلك المعركة - برنارد بطريرك انطاكية وديامبرت بطريرك القدس الذى كان لاجئا فى انطاكية حينئذ ، وبندكت رئيس أساقفة الرها اللاتين (٢٢٩) . وقد أسر بندكت فى تلك الموقعة (٢٣٠) . ورغم استنجاده فى أسره بتنكريد فانه

= ابتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . واننى مستعد أن أعطى حلا لكل نقطة فى كل ما سأستفسر عنه . أما انتم فلا تهنوا ولا تيأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقدر استطاعتنا كجنود المسيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شاهدون على أننا لم نرتكب أى خطأ ولم نفسد أى عقيدة اذا تضامنتم مع مواعظى وعقيدتى فساكون الضامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب فى المجد الدينوى بدلا من المجد الالهى ، فسيوضع فى صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرد من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الأبدية ... آمين » .

(٢٢٧) Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٨) Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

(٢٢٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٣٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف فى رعاية أحد المسيحيين المرتدين فلما اكتشف شخصيته تحركت فى نفسه شفقة الحب وسمح له بالهرب دون أن يلحقه اى اذى . وعاد بندكت الى الرها حيث قوبل بالعديد من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دى بورج فى الرها لم نعثر على اى شىء يتصل بالناحية الدينية بعد ذلك سوى ماذكره متى الرهاوى عن التخريب الذى أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها الغربى (٢٣٣) .

والواقع أن المصادر المعاصرة لامارة الرها فى تلك الفترة ركزت غالبية كتاباتها على العلاقات الرهوية التركية فضلا عن حركات التوسع الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

أما عهد جوسلين الاول فكان يمثل فترة صراع شديد مع جيران الامارة المحيطين بها كما بينا فى باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز الناحية الدينية فى الامارة فى ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

ففى بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريانى ان بطريرك القدس توجه الى تل باشر لمقابلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الأساقفة واعاد كل الزخارف وأوانى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها أثناء غضبه من الخزانة البطريركية فى دير مار برسوما (٢٣٤) » . والراجح أنه ربما قام جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٣م .

وحوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليعقوبى مار اثناسيوس — السابق الذكر الذى كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لأنه اصبح شيئا مسجين هناك فى ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا أن أرسل الى أمير

---

(٢٣١) Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710.
نقد كان بندكت يصبح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تدم المعونة »
(٢٣٢) Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616.
(٢٣٣) Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406 عن (Foucher).
(٢٣٤) Mattieu : Op. Cit., p. 81.
(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

آمد مهددا بتخريب بلاده اذا لم يطلق سراح البطريرك . متم اطلاق سراحه بالفعل وعاد الى الرها ثم توجه الى دير مار برسوما حيث قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريرك بعد عودته الى الرها قد ظل محتفظا بموقفه من بار سابونى ومصمما على ابقاء قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك فى تلك الوساطات جوسلين الأول عن طريق بعض فرسانه ، لكن دون جدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريرك توفى وهو متمسك بموقفه من الكنيسة اليعقوبية ، فى حين لم يحاول جوسلين اقحام نفسه بشدة فى النواحى الدينية .

أما جوسلين الثانى فقد اقحم نفسه فى الأمور الدينية وتدخل فى شئون الكنيسة اليعقوبية فرفض الأعتراف بتعيين اثناسيوس الشامن وعين هو اسقفا يعقوبيا صديقا له هو باسيل بارشومانا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بل اكثر من هذا نهب جوسلين دير سانت بارسوما الذى يقدسه اليعاقبة (٢٣٨) . والذى ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقد أعترف جوسلين الثانى فى آخر حياته

---

(٢٣٥) Michel : Ibid., p. 228.
(٢٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.
(٢٣٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.
(٢٣٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.
(٢٣٩) Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.
يذكر ابن العبرى : هنا احدى معجزات ذلك القديس بقوله « انه فى ١١٣٤م وصلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرها ، عندئذ احضر أهالى الرها التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصولها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون أحداث أى ضرر بالاقليم . ثم استغذ البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر ولما رفض الرهبان القيام بذلك سخروا منهم قائلين أن التابوت ليس به شىء . فأضطر الرهبان لفتحه . وعندئذ قصف رعد مفزع وملأت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجار ثقيلة فصاح الناس جميعا (كيريالايسون Kûryâlaison) أى أنزل علينا الرحمة أيها المختار عند الله ، وهرب البيزنطيون واخفوا انفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمدة ثلاثة ايام » .

فى سجنه أن ماحل به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن امارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز فى الدفاع عن الرها ضد زنكى والقوات الاسلامية ١١٤٤م (٥٣٩هـ) . فقد تزعم الدفاع فى ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة فى الرها وعلى رأسهم هيو الثانى الأسقف اللاتينى وباسيل الأسقف اليعقوبى وحنا الأسقف الأرمنى (٢٤١) .

واثناء الحصار حاول الأسقف السريانى التوسط لدى الأسقف اللاتينى ــ باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم ــ لعقد هدنة لمدة أيام مع زنكى على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو أن الأسقف اللاتينى رفض . ومع ذلك فقد أرسل باسيل خطابا بهذا المعنى الى زنكى الا أن أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى أن السريان كانت لديهم نية المسالمة تجاه الأتراك ولاغرو فى ذلك فقد كان السريان فى ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث ــ كما سبق الذكر ــ وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة فى قولها أن زنكى

---

(٢٤٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276.

(٢٤١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)
Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

هنا نجد كل من المصدر السريانى (L'Anonyme) ، بروبيه يسمى الأسقف الأرمنى Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثانى باسم Papias أما ميخائيل السريانى فيسميه Bafias
(Michel : Op. Cit. p. 262)
أما نيرسيس فيضيف أسقف رابع هو الأسقف الأرمنى أى البيزنطى للأساقفة الثلاثة السابقين .
(Nersès : Op. Cit., p. 259)

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)

(٢٤٣) Zoé : Op. Cit., p. 210.

... ان الاتراك البلد عنوة « اباد نفوسها ورهبانها (٢٤٤) » .

اما المصادر السريانية والارمينية والمراجع الافرنجية متشير الى بعض رجال الدين بشيء من التفصيل .

فبالنسبة للاسقف هيو الذي قاتله مات في تلك المعركة امام قلعة المدينة التي قيل انه امر باغلاق ابوابها حتى لا يلجأ اليها احد ويشترك الجميع في الدفاع عن المدينة . لكن تكدس الاهالي بشدة امام تلك القلعة جعل الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الاسقف الذي يقال ايضا ان احد الاتراك قتله في ذلك الوقت (٢٤٥) . والراجح انه سقط من شدة الزحام فاجهز عليه احد الاتراك . وهنا يعلق وليم الصوري على وفاة الاسقف اللاتيني بقوله ، ان بعض رجال الدين اعتبروا أن هيو لقي جزاءه العادل وتكديسه الثروة الهائلة ، دون ان يقدم بعضها من اجل الدفاع عن المدينة فجني بذلك ثمار بخله وهلكت نقوده معه (٢٤٦) .

اما الاسقف الارمني حنا فقد ذكر نيرسيس انه « نجا من المذبحة كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

واما الاسقف السرياني باسيل فقد فصلت المصادر السريانية الكلام عنه وعن موقف زنكي منه . فقد قيل انه بعد المعركة وجده زنكي عاري الجسم فامر بتدثيره واحضاره الى خيمته وهناك وبخه على عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على ارواح من قتلوا فرد عليه الاسقف بان هذه هي ارادة الله وان ذلك النصر جعل اسم زنكي مشهورا بين الملوك المماثلين ، اما هو فبريء امام السيد المسيح لانه لم يخن عهده . وعندئذ انتهج زنكي من كلام الاسقف ورد عليه « انت تتكلم الصدق ايها الطران

---

(٢٤٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ، تاريخ ابو الهجاء ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259. Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit., p. 99, Iorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset: Hist. des Crois., V. 2, p 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 143.

(٢٤٧) Nerses : Op. Cit., p. 260.

لان هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرون من الله ومن الرجال ، وخاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) » .

وزاد من اعجاب زنكى بالأسقف باسيل انه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه باعادة اسكان المدينة مرة اخرى واوصاه بحسن معاملتهم وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكى يتمتع بمكانة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكى والمسلمين وانما ايضا بتقدير وحب الاهالى الذين أحسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .

والواقع ان معارك الرها فى اواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين للمدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم البارز فيها ايضا ، حتى مات الكثير منهم فى تلك المعارك (٢٥١) . وفى احدى المقالات التى كتبها احدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والادلة لاثبات مسئولية الكارثة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية فى المدينة التى عهد اهالى البلاد اليهم بالدفاع عنها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدا هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شىء فيها بما فيه الكنائس التى خرب الكثير منها ونكست صلباتها (٢٥٣) ، ثم امر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

---

(٢٤٨) Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189.

(٢٤٩) Michel (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. من Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist, des Crois, p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189, 195.

(٢٥٠) Michel : Op. Cit., p.p. 263-264.
فقد ساهم بماله الخاص فى شراء حرية الكثير من الاهالى الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

(٢٥١) Nersès : Op. Cit., p.p. 251-253, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 269.

(٢٥٢) Michel, : Op. Cit., p.p. 266 — 267.

(٢٥٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ أبو المحاسن ، حـ ١ مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى

=

او تحويلها الى ايدى المسيحيين الوطنيين (٢٥٤) . أما كنائس الارمن والسريان فقد ابقى على الكثير منها وحول البعض الآخر الى مساجد (٢٥٥) . ويضيف المصدر السريانى أن زنكى عندما شاهد روعة الكنائس السريانية امر بتزويدها بجرسين كبيرين بل انه « حاول اشفاء تدميه من النقرس الذى كان يعانى منه عن طريق وضعهما فى مياه من بئر ابجر (٢٥٦) » .

رجال الدين فى الرها ١١٤٦م :

وبعد ثورة الرها عقب وفاة زنكى اعاد ابنه نور الدين فتحها، فقضى على كل أهالى الرها — كما بينا — اما عن رجال الدين فقد قتل غالبية الأساقفة والرهبان الذين نجوا من مذابح الفتح الأول للمدينة على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجال الدين اليعاقبة الذين فروا فوجدوا ملجأ لدى شركائهم فى الدين فى ماردين وشبختان . حيث عوملوا بكرم (٢٥٨) . أما مصير الاسقف اليعقوبى باسيل والاسقف الأرمنى حنا ، فقد فر الأول الى سميساط ، أما الثانى فقد أسر وسير الى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس فى ذلك الدور فقد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث لبقية منشآت المدينة ، وحتى ماتبقى منها ، فقد هجر وتعرض للسلب بواسطة جيران الرها وخاصة اهالى حران (٢٦٠) .

شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.

(٢٥٤) Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338.

(٢٥٥) Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et de Géographie ecclés. T. 14, p. 1422.

(٢٥٦, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme)

(٢٥٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)

(٢٥٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885.

(٢٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٢٦٠) Michel : Op. Cit., p. 272.

الخاتمـــة

وبعـــد فانه يتضـــح من العرض الســـابق كيف كانت امارة الرهـــا من ناحيـــة تاسيسها أولى الامارات اللاتينية التى قامت فى الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيـــام تلك الامارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبى بلـــدوين البولونى مشقة كبيرة ، على عكس الوضـــع بالنسبة للامارات الثلاث الأخرى .

وقـــد اوضحنا فى بحثنا كيف بدات امارة الرهـــا ارمينيـــة لاتينية ، واكنها صـــارت بعـــد فترة وجيزة امارة لاتينية صرفة ، بعـــد ان تخلص اهلها من حاكمها ثوروس الذى كان مكروها منهم لأمور عدة أهمها أنه من اتباع كنيســـة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا فى هـــذا البحث العوامل التى ســـاعدت هـــذه الامارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصـــاعب جمة ومشقات عدي ة . ونلخص هـــذه العوامل فيما يلى : ـ

اولا : كان لأهل الرهـــا الفضـــل الأول والاخير فى الحفاظ على تلك الامارة . ولعب العنصر الأرمنى بالذات دورا بارزا فى هـــذا المجال لما لقيه فى غالبية الأحيان من معاملة ودية من امرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية امراء تلك الامارة من أرمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التى تعرض فيها العنصر الأرمنى للتنكيل من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٩٨م ، ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م . واذا كان هـــذا التنكيل الذى لحق بالأرمن قـــد تركز بالذات فى عهد كل من بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، فان عهدى جوســـلين الأول والثانى لم يشهدا سوى الاخلاص والحب والتفانى من جـــانب العنصر الأرمنى للأمراء الصليبيين . وخير مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التى قام بها الأرمن لاطلاق سراح جوســـلين الأول من ســـجنه فى خرتبرت ١١٢٣م .

كذلك ســـاهم العنصر الأرمنى بمجهود كبير فى الحركة التوسعية لتلك الامارة على حســـاب جيرانها المختلفين . بل ان اهـــالى الرهـــا جميعا ضحوا بالكثير من ابنائهم اثناء الصراع بين صليبى الرهـــا وبين المسلمين ، خاصـــة فى معركة حران ١١٠٤م ثم فى ١١١٠م اثناء حملة مودود على الرها

واخيرا فى الدفاع عن الامارة ضد كل من زنكى وابنه نور الدين ١١٤٤م ، ١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التسامح الدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للامارة تجاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من ارمن وسريان كى يجعلوا منهم سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الغنى الاقتصادى الكبير للامارة والذى جعلها اكثر من مرة من اى حصار اسلامى اقتصادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء الشرقى من الامارة فى ١١١٠م بعد ان رحل سكانه الزراعيون ، ظل الجزء الغربى كفيلا بان يسد حاجات الاهالى جميعا ، وان كان ذلك قد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الامارة وبين مملكة بيت المقدس الصليبية اذ ظلت الامارة حتى سقوطها تدين بالتبعية الاقطاعية للمملكة (١) . والواقع ان الرابطة بين امارة الرها وبين مملكة بيت المقدس كان يدعمها عامل آخر هو ان أول ملكين صليبيين لبيت المقدس — بلدوين الأول وبلدوين الثانى — كانا قبل ذلك اميرين للرها تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، ولذا كانا يشعران دائما بالحنين الى تلك الامارة التى شهدت بداية ظهورهما على المسرح السياسى والعسكرى فى الشرق ، مما جعلهما يبذلان كل ما فى وسعهما لتحقيق الأمن والسلام لتلك الامارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك بلدوين الثانى من اسر جوسلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه الملك للانتقام من آسريه ووقوعه هو الآخر فى أسر الأرتقة ١١٢٢م (٥١٧هـ) .

خامسا : وجود بعض العناصر المتشققة المتنافسة فى الجبهة الاسلامية التى اتاحت بانشقاقها الفرصة لتلك الامارة كى تصمد حتى فى أحرج فترات نموها . مثال ذلك التأييد الذى وجدته امارة الرها ١١٠٨م (٥٠٢هـ) من جانب الأمير جاولى ، فى الوقت الذى أيد فيه رضوان صاحب حلب امير انطاكية تتكريد . وكان من الممكن اذا تكتلت الجهود

---

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.
هنا يذكر (بازدرمادجيان) انه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوربا اخرى على غرار أوربا الكبرى . وقام بها النظام الاقطاعى بشكل اقسى مما كان موجودا فى اى دولة قريبة .
(H. Pasdérmadjian : Op. Cit., p. 296).

الاسلامية ضد الأميرين الصليبيين المتنافسين ، ان تقضى على احدهما ، مثل أمير الرها . كذلك كان من الممكن ان تسقط امارة الرها ١١٢٢ — ١١٢٣م . عندما كان أميرها أسيرا هو وملك بيت المقدس نفسه فى قبضة بلك الأرتقى ، لكن الانقسام فى صفوف المسلمين والأحقاد الشخصية لعبت دورها فى تضييع تلك الفرصة ايضا ، حتى ان بلك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤م .

فاذا اضيفت الى ذلك العقبات التى اصطدمت بها حركة الجهاد الاسلامى التى بداها مودود ١١١٠م ، لأكتمل تأثير هذا العامل فى امتداد حكم تلك الامارة فترة من الزمن . ففى الوقت الذى كان مودود قد احرز قدرا كبيرا من التقدم فى صراعه ضد الفرنج عامة وضد الرها خاصة نراه يقتل بيد احد الباطنية ١١١٣م (٥٠٧هـ) . ثم اعقبه فى نفس المصير ايضا البرسقى وذلك ٥٢٠هـ — ١١٢٦م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قد اخرت بعض الوقت سقوط تلك الامارة ، بعد ان تجشمت الكثير من المشقات فى حماية الجانب الشرقى للصرح اللاتينى فى الشرق ، فاننا أوضحنا فى بحثنا العوامل الأخرى التى ضافرت فى النهاية للقضاء على تلك الامارة واهمها :

١ — تفكك الحلف الفرنجى البيزنطى الذى مثل لفترة من الزمن عائقا مهما أمام جهود زنكى .

٢ — العداء بين امارتى الرها وانطاكية الذى ترتب عليه انعدام وجود سند صليبى قريب جدا للرها .

٣ — انصراف امير الرها جوسلين الثانى الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن امارته .

٤ — ظهور الشخصية الاسلامية القوية ، الممثلة فى عماد الدين زنكى . التى كبدت الصليبيين خسائر جمة فى بلاد الشام ، حتى سقطت امارة الرها على يديه . وكان يمكن أن يمتد الحكم الصليبى لتلك الامارة فترة اخرى بعد وفاة زنكى غيلة ، لولا أن الظروف خدمت القضية الاسلامية فى ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بحمل راية الجهاد الاسلامى ، واكمل الجهد الكبير الذى بداه ابوه وحقق هو الاخر قدرا كبيرا من النجاح فى ذلك المجال . وبذلك محا نور الدين امارة الرها تماما من الخريطة المسيحية ، وهو الأمر الذى حرك الحملة الصليبية الثانية .

٥ ـ وعند سقوط الرهـا كان صليبيو الشـام غاية فى الضعف لا يرجى من ورائهم اى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القـدس تحت حكم ملك شـاب قليل النشـاط فى حين سيطرت النسـاء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع أن اهم ما عنيت بابرازه فى هـذا البحث هو الحقيقة الخاصة بان امارة الرهـا كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الأرمينية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الأحقـاد والأطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكيـة . هـذا الى جـانب مشاركتها لبيت المقـدس فى حروبها المختلفة ضـد المسلمين ، بحكم تبعيتها الأقطاعيـة لها .

لهذا كانت حيـاة الاستقرار والهدوء وما يتبعهـا من ترف وتقـدم حضـارى من اهم المظاهر التى افتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قـد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامـة فى ذلك الوقت فلا شك فى ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة.

وهكذا يبدو الجديد فى هـذا البحث فى انـه يعطى صـورة متكاملة لامارة الرهـا من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية، الاجتماعية والاقتصـادية والدينية . بعكس الدراسـات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربيـة ضمن اطـار الحروب الصـليبية بوجـه عام .

هـذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصـة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجـع بطريقة ناقصـة او خاطئة ، والقينا اضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرهـا وجيرانها المسلمين او بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا فى كل ذلك بالمصـادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها فى الموسوعـة الضخمة التى تجمـع ما كتبـه مؤرخو الحروب الصـليبية Recueil des Historiens des Croisades

هـذا بالاضافة الى ما كتبه وليم الصورى William of Tyre

---

(٢) Zoé : Op. Cit., p. 350.

الـــذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة عن اللاتينية .

هـــذا فضـــلا عن المصـــادر البيزنطية واهمها كتاب الالكسياد الذى كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad

والمصـــادر السريانيـــة وعلى راسها كتـــاب ميخـــائيل السريـــانى Michel Le Syrien والمصادر الارمينية وعلى راسها ما كتبه متى الرهـــاوى والكاهن جريجوار والقـــديس نيرســـيس شـــنور هـــالى Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali. صـــاحب قصيدة رثاء الرهـــا التى اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق مع بضـــع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا اهمية المصـــادر العربية المخطوطه والمطبوعـــة ، وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجـــديدة مثل مؤلفات ابن القلانسى وابن الاثير وابن العـــديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثـــة التى امدتنا ببعض الاراء الهامة ومنها كتاب برويية المترجم عن العبرية الى الفرنسية والمطبوع بباريس ١٩٦٩م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

وكتاب اولدنبرج Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى استفدت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع الوصـول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الاراء الهامة عنه احيانا اخرى .

تـم بحمـــد الله

الملاحـــق

ملحـق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التى حملها رســل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القــدس بدلا منه ١١٠٠م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القــدس — جود فرى — يتمنون لك الصحه . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقــدس قــد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية أن تحضر بسرعة وتتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لأنهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا أن يكون اخا أو قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقسموا الا يحكم بيت المقــدس أو يجلس على عرشها أجنبى » .

ملحـق رقم (٢)

نص خطــاب تنكريد الى بوهيموند ، الــذى طلب فيه النجدة ضــد الاتراك المهاجمين للرهــا ١١٠٤م بعــد وصــايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتمنى تنكريد التوفيق لخــاله السيد بوهيموند — حــاكم انطاكيــة العظيم . لقــد تراجعت — بأمر الاله — عن الرهــا وتركتها بين ايدينا ، وعينتنى مدبرا وحــاميا للرهــا ، فى مكان اخينــا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحــدا من حديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرهــا مجاة ، ليدمروا قلاعها واســوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينــة ، ويأخذونى أسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلاننا

معتمدون على ثقة تقديرك ، الذى تكنه دائما للمخلصين للمسيح ، قررنا أن نحيطك علما بما يحدق بنا من أخطار ورغم علمنا بالصعاب التى تواجهك ، الا انه يجب استدعاء الحلفاء والأصدقاء من انطاكية والأماكن الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعد ان غلبنا على أمرنا وحوصرنا ، حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحد من غرورهم ونطردهم — باسم السيد المسيح — ونفك الحصار الذى نتعرض له حاليا . لأنه يجب أن تعلم اننا قلة فى هذه الأرض .. فاذا تفرقنا وأصابنا الاجهاد سنفشل ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء » .

ملحق رقم (٣)

نص رسالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب جكرمش رد اسيرة سلجوقية كانت فى انطاكية فى مقابل اطلاق سراح بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 619.

« نقدم الطاعة الى السيد بلدوين ملك بيت المقدس المتعصب للمسيحية دون تردد ، وقد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عند حسن ظنك من اجل اطلاق سراح بلدوين الصديق والحليف . لقد كان اسره ومازال مصدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقدر الامكان على اى مبلغ من المال بالقوة مع الاخ بلدوين من اجل رد الاسيرة السلجوقية ، لأننا فى حاجة الى المال بشدة لدفع مرتبات الجند ، نحن المخلصين لكم باستمرار » .

ملحق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لأهالى القدس كى يحثهم على مساعدة الرهبان ضد الأتراك ١١١٠م ، بعد انتصاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid , T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا وتحقق انتصارنا ..

لكن الآن ، ابحث عن ارادتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقدم المساعدة لامارة الرها ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالما انهم حلفاء لنا ، وهم مستعدون لمساعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصدقائنا » .

ملحق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال ماذكرته (انا كومنينا) عن بعثة الامبراطور الكسيوس كومنين الى ملك بيت المقدس بلدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكية .

عن : Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

« عندما وصل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينة المقدسة كى يتفاوض مع الملك بلدوين ضد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعدت بانك سوف تساعد الامبراطور ضد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المال الذى ارسل اليك بدون تاخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مساعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضايق ، وكل السلالة البربرية مثله ، فهى دائما فاغرة فاها من اجل الحصول على الهدايا والمال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الذى من أجله دفع المال » .

قابل الرسول ايضا الأمير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قد حضر للعبادة فى كنيسة القيامة — وجادله فيما يلائمه (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقدس دون ان ينجز شيئا .

ملحق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى أمير انطاكية والأمراء الصليبيين بعد انسحابهم من شيزر ١١٣٨م .

عن William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند أننا مكثنا فى جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونمد ممتلكاتك لضرب أعداءنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتممناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء فى امبراطوريتنا . محبوب الله ، وانت ياتابعنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لانجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك فى حضرتنا يعرفون أيضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى ياخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح أن شئونك تتطلب اقامة أطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا أكثر . لذلك يجب أن تسلم لعنايتنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا فى أمان . قواتنا أيضا يجب أن يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى نحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس او عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الأغراض فهذه المدينة تقدم تسهيلات حسن من اى مكان آخر — أنجز وعدك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سمونا الامبراطورى أن ننفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتنكيل الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة اهالى الرها وأهالى الاقليم المحيط بها ، من مخابئهم ومعهم النساء والأطفال فى اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث عندئذ أن قام اثنان من الفرنج بعمل مخل بالأصول ، اذ توجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان أن اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، مارقى الدم فى كل مكان . من الرها حتى الفرات ، وأباد أهالى المدينة واهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطىء الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم وأسر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطىء المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعـــاج تمر تحت حـــد السيف ، وانزل بهم مودود عقوبـــة الانتقـــام الالهى بمثل تلك القسوة حتى ســـال الفرات بفيضـــانات من الـــدم . هناك كثيرون غرقوا فى ميـــاه النهر ، لان اولئك الـــذين القوا بانفسهم فى المـــاء واجتهدوا للوصول الى الشـــاطىء الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقـــد اكتظت بهم حتى غرق منها خمسة أو ستة بسبب امتلائها بهم . وفى ذلك اليوم ايضـــا تعرض كل اقليم الرهـــا للنهب بعـــد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى اشـــار اليها الرســـل القدامى فى كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امـــة ابجر » .

اما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقـــد شـــاهدوا فى حزن تلك المنـــاظر المروعة ، دون ان يستطيعوا ان يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينـــة .

ملحق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرهـــا ١١٤٦م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيـــه كارثة الغضب الشـــديد على الرهويين البؤســـاء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهـــالى المدينـــة العظيمـــة . يا للحسرة ايها الاخوه ! من يستطيع ان يروى أو يسمع دون دموع ، كيف ان الام والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحـــد دون ان يحدا من ينقذهما أو ينتزع السهم من جســـدهما ! وكيف ســـحقت حوافر الخيل بعـــد ذلك كل من لحقت بهم فى قســـوة ! وطوال الليل رشقت اجســـامهم بالسهام ، وعند انبلاج الصباح ـــ الـــذى كـــان اكثر ظلاما من احلهم ـــ ضربوا بالسيوف والرمـــاح » .

لقـــد اهتز الارض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السنابل وكالنار فى الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واختلطت جثث الأســـاقفة والشمامســـة والرهبان ، والنبلاء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرهـــا الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحة العفن من جثث أبنائها وبناتها ! فأسرعت اليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينة لتقتات أثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، غدت الرها مقرا لأبناء آوى . ولم يعد يدخلها أحد سوى اولئك الذين كانوا ينبشون ليكتشفوا ثرواتها . أما أهالى حران وبقية الأعداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الأعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملحق رقم (٩)

اللحظة التى كتبها ديونيسيوس الأسدى بصدد خراب الرها ١١٤٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel ,Le ,Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن أن نصدق أن السيد المسيح الذى لم يتمن فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والأسر ... الخ ؟ فاذا قيل أن هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مساعدته ؛ وهو المطلع على كل شىء ، يكون هذا نوع من السباب ، لأن المسيح لا يتخلى ولا تتكاسل يديه عنا ، لكن عندما تخلينا نحن أولا من ارشاداته ، عندئذ سمح بأن نوزم بأيدى الأعداء ، حتى نتأدب . فنحن السبب فيما يصيبنا من نفع أو ضرر . فاذا اعترفنا بوجوده ؛ فان الله يساعدنا ، وعلى العكس اذا انحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وتادنا الشيطان الى انجازها . ان السهد المسيح ترك المصائب تحل بنا بسبب ضلالنا ، كما حدث لأهل الرها الذين كانت نهايتهم أسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانية لا يستطيع اللسان تحديد فظاعتها . لكن يجب ألا ننسى أيها الرجال أن تلك الأمور وغيرها من الأمور المشابهة قد حلت ليس فقط بسبب معصية هذا الشعب وحده بل أيضا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت فى كل الأماكن وفى كل البلاد فى تلك الفترة السيئة اضعد كل شخص عن العدالة وانغمس فى الظلم ، ابتعد عن القداسة واستسلم للكفر . وتضاعفت المعاصى وأصبحت أكثر من شعر الرأس . ومع ذلك فان عددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

أيها الأخوة يجب أن نتوب ونرتعد ونخشى عاقبة هجورنا ... وهذا يكفى الآن » .

ملحـــق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنورهالى الأرمنى عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhali : Eligie sur la prise d'Edesse,
(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نـــداء لعموم النصـــارى :

ايه نوحى أيتهـــا الكنـــائس	ياعرائس الخـــدن السماوى (٢)
أيهـــا الأخوة والأخوات الأحباء	المقيمون فى أرجـــاء المعمورة كلهـــا
يا ايتها المـــدن والقـــرى	يا أمم الأرض وقبائلهـــا
يا ابها المؤمنون بالمسيح	اليكم اوجـــه رثائى
فاستمعوا لعويلى وبكائى	

نـــداء لمـــدينة القـــدس :

يا قـــدس ، يا مدينـــة الله	يا مهـــد الشريعة والأنبياء
يا موطن الله الأوحـــد	الـــذى اشرق على نوره الســـاطع
لانى اول من اعترف بمساواة الابن للاب	
اصغى الى ايتها الحبيبة	والى بكائى ونحيبى
شـــاركينى فى اوجاعى وعزينى	ووامسى فؤادى الجريح الكئيب

نـــداء لمـــدينة رومـــا :

وانت يا روما ، يا أم المـــدائن	يا موطن العظمه والجلال
يا كرسى بطرس الاعظم	اليك خطابى وحـــديثى
اصغى لوقف تداوسى وكرسيه	اصغى لصوتى من بعيـــد.
الا ابكى معى ونوحى	وانضمى الى بالنحيب
أسرعى ومـــدى الى يـــد المعونة	فانى فى الاغلال فى غياهب السجون
هلمى للثـــار والانتقـــام	ممن عادانى واستعبدنى

---

(١) هذه بعض مقتطفات من القصيدة التى اقتصرنا منها على الفقرات الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضـــوع (البحث) . اقتحهـــا المؤلف بقوله (مقالة للابنا نيرسيس بطريرك الأرمن . وضعها باســـلوب الملحمة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرهـــا الكبرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجرية فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر، الســـاعة الثالثه ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوريبه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م الســـاعة التاسعه صباحا .

(٢) الخـــدن السماوى هو المسيح .

نـــداء لمدينـــة القسطنطينية :

اليك دعـــائى الملهوف ... يا مدينه العطمة والابهه
يا من شـــادها الملك قسطنطين ... على ابواب آسيا الصغرى
لقـــد اصبحت فدســـا اخرى ... وروما جـــديدة مجله
لقـــد كنت ملكا لك ... وجزءا منك يا أم المـــدائن
وبيت على ارضى هيكلا ... وسميته باسم هيكلك (٢)
اليك اتوســـل . عبثى ... قواتك العـــاليه
واطعنى الاعـــداء فى صميمهم نارا وانتقاما

نـــداء لمـــدينه الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك ... يا أم المـــدائن المصرية
لقـــد اسسك الاسكندر الاعظم ... وشيدك على اسمه
انت كرسى مرقس ... كم اقام فيك من آباء عظـــام
وترسعوا على عرشك ... لكنهم مضوا الآن
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء مثلى .
كنا يوما مدعـــاة للحســـد والغيرة واسسينا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة ... ولذلك فـــانى اتوســـل اليك ايتهـــا
الشقيقة الجليلة ... ان ارثى معى الآن وابكي.

نـــداء لمـــدينة انطاكيـــة :

اليك حديثى وعتـــابى ... يا شقيقتى الحبيبة انطاكيـــة
يا موطن الرســـل وموئلهم ... اية ايتها القرينة الحبيبة
لم لم تهرعى الى ... وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة ... بل شمت بى وتركتينى
هلمى واصغى الى نحيبى ... وشـــاطرينى حسرة اضرمت فؤادى
وولولى معى وانتحبى ... وواسى قلبى الجريح

نـــداء لمـــدينة آنى :

اليك ايضـــا ندائى ... يا مدينة آنى عاصمة المشرق
ضمى نحيبك الى صوت نحيبى ... وعزينى فى محنتى
انظرى الى ذلى وشقائى ... والى محنتى وعالى

---

(٢)كنيسة اياصوفيا اوساط صوفى.

هلمى وافرجى الغم عنى هيا واجمعى بناتك
وبـادرى ألى البكـاء على والبسى الحـداد
وادعـى بم الأرض الى الرثـاء والنحيب
واقلقيها بانينك المفجـع فليس للقلوب المكلومة من دواء
غير التعزية والسـلوان

الرهـا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بغناهـا :

سـاذكرها هنا ما أسعفه على الله تعالى من نعم
ثم الويلات التى حلت بى بغتة من اجل ذنوبى وآثامى
كنت اما لرهط من البنين وولدت منهم عـددا لا يحصى
وأرضعتهم من لبن ثـدى وربيتهم خير تربية
ونشـأتهم خير تنشئة اذ كنت أرضـا خصبة معطاء
وينبوع لبن سخى لقـد تراكمت فى الخيرات
وغلات الأرض بأصنافها وانبثقت من أحشـائى ميـاه حية
انعشت الأغراس الخضراء وروت السـاقين الفيحـاء
وجلبت على الأهالى الفرح والبهجة وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى
فينبعث منها نسيم عليل وتغسلنى وتطهرنى
وتزين الميـادين وتنعش الأعشـاب والأزهار البهية
وتجعلنى كاحـدى جنـات عـدن ثم تنسـاب بين الأشجار الكثيفـة
منثمر موفرة وسخاء وتتمايـد بأغصـانها الهيفـاء
ونفوح منها عطور سماوية فتغمرنى بالنرجس والزعفران
مع اطواق الورود والبنفسج كم كانت تربتى خصبة غنية
بما تدره على من ثمار وارزاق لو شـاء أحـد حصرها وتعدادها
لما وجد الى ذلك سبيلا مهما سعى فكانت تربتى اذا حرثها
الحـارثون وزرعوها تجلب الأرزاق الوافرة
والغلات الكثيرة اقوت بها أبنائى
فيفرحون ويبتهجون بما لديهم من خيرات جمة .
ولو وجـد من استطاع ان يصف موقعى وصفا ملائما
لمـا وجد لى مثيلا فى مدائن الأرض كلها
كنت مرتفعة على عرشى الفخم كملك اعلى مركبته
او ملكه رائعه الجمال تجليت برداء زركش بالفضة والذهب
وهـدب بأهداب مراقـه وازدانت باسمى الحلل
وكانت الأسوار تحيط بى وحصن منيـع يحمينى

والقلاع الشـــامخة الرهيبة — المتقنة البنـاء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة — على ابدان متينة صـــلدة
وكان لاسوارى اسس عميقة — وفى اعاليها تسنن كأسنان التيجان.
وكان فى مبان فخمة وهيكل رائـــع — شيد فى المنطقة الوسطى الغنـــاء
ثم الأسواق والشوارع — تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشـــامخة — التى يعجز لســـانى
ولســـان اى انســـان — عن وصف بهائها وروعتها
فانها كانت تحاكى الديار السماوية — وتضاهى المواطن العلوية
ماخرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخـــاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حـــدثت عنـــه
وسردت قصته بايجاز — كان فى عصر غابر
لكنه اضمحل الآن بغتة . — كنت فى خير وسعة
كنت فى هناء ورخـــاء — حتى أكبرنى من رآنى وعظمنى
ومن سمع عنى اعجب بى — ولكن جاءت ســـاعة المحنة
وكل ما اســبغ على من نعمة — زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر علقم — وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الى الآن ســوى الاشفاق

حال الرهـــا بعد فتح الفرنج لها :

لقد تدحرجت من السماء الى الأرض — من الأعالى الى الحضيض
فوطئت وذللت — ونسيت وصـــايا ربى
وهجرت شريعته — وارتكبت الذنوب والآثام
وتدنســت بالمنكرات — منذ تلك الساعة التى بدأت فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتابك زنكى يحاصر الرهـــا :

لمـــا تحقق زنكى من دلى وهوانى — زحف نحوى زحف الثعابين
ليلتمسنى فى كمبى — ويرشقنى بسهامه الخفية
اختبأ فى الحقول — ثم أجهز على على حين غرة
فى ساعة لا انتظرها — اذ انه ما ان تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحمانى — حتى حاصرنى من كل ناحية

وهاجمنى بقواتـــه وسدوا فى وجهى كل سبيل
ولم ينفكوا يحاربونى ويضايقونى ليل نهار
ولم يزالوا يميرون تحركاتهم ويقتحمون الميدان بقوات جديده
لقـــد ندججوا بالســـلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه ورفعوا الاقواس والأسنة
وراحوا يرشقونى بسهامهم الحاده
ثم ســـادو امامى سورا ونصبوا عليه المنجنيق
وامطروني بوابل من الحجارة واسمعنوا ضربا وتحطيما
وجاهدوا واستماتوا لكنهم لم يستطيعوا
فهر رجالى وابطالى حتى لجأوا الى حيلة
مقـــد حفروا كما يحفر الخلود ثغرة فى قاعدة السور
ثم نصبوا فيها الأعمدة والاوتاد من تحت السور وابراجه
واعدوا المدة لحرقها على ما جرت عليه عادتهم
ثم هتفوا باهل المدينة قائلين : « هلا كففتم عن المقاومة
كيلا تموتوا شر ميتة واستسلموا راضين لا صاغرين
والا فبئس المصير »

استماته الرهويين فى الدفاع عن مدينتهم :

لكن اولئك الابطـــال ما ان سمعوا هـــذا الوعيد
حتى ابوا ورفضوا واقسموا وتعاهدوا
الا يخلو الميـــدان ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يصغوا لتهديد العدو ولا يفتحوا لهم ابواب المدينـــة
وراوا انه من الأفضـــل ان يموتوا فى مواقعهم
من ان ينكثوا بعهدهم ثم راحوا ينـــادون بعضهم بعضـــا
ويهتفون قائلين : « لن نخاف ولن نهلع
ايها الاخوة من سيوف العدا ولن ندع ســـالة الأبطـــال
يعتريها رعـــدة الانذال ولنخلفن من بعدنا اسما ابيا
يعلن على جميع امم الأرض علينا بالشدة ورباطة الجاش
مازالت آمالنافى الديار السماوية ».

ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال بعضهم لبعض
ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع وراح الأب يحث ابناءه
والأبناء يستعدون للقتال وعلا نداء المعركة

واقتحم الميادين والمنازل ... فلم يعد بينهم خاصة موقرين
ولا سوقة مذلولين ... بل كلهم متساوين متحدين
وعلى راى واحد مجتمعين ... وكان المطارنة والكهنة
كل واحد يستحث جماعته ... على الصمود والنزال
وعلى الوقوف وقفة الشجعان فى وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم ... التى لا تفتك الا بالاجسام

انقطاع امل الاهالى فى وصول المدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون ... عبارات التشجيع ويقولون :
ها هى ذى الحشود السماوية ... آتية لشد ازرنا ومساندتنا » .
وينتظرون من يعينهم ... ويبثون الأنظار فى الطرق والمسالك
ولا ينفكون ليل نهار ... ينتظرون النجدة
لكن لم يصل احد ... ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب ... فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا ... عن مد يد المعونة الينا
عندئذ دب الجهد والنشاط ... فى صفوف العدو
لتنفيذ حيلة المنجنيق ... على جناح السرعة
وبسبب معاصى الكثيرة ... وآثامى الجسيمة
قطعوا على كل سبيل ... المدد والمعونة

انهيار طرف من السور واحداث أول ثغرة فيه :

ان فؤادى الآن ليدمى ... وعقلى وروحى يضطربان
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب ... ذلك الصباح المظلم
ذلك النهار الأسود القاتم ... وطلعته السوداء المكفهرة
حين انبعثت نيران سادوم (٣) ... من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء ... بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور المحصن ... ينهار ويتداعى
ويندك من أسسه .

---

(٣) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنار والكبريت وهنا يقول (نيرسيس) ان النار لم تمطر من السماء كما حدث لسدوم وعمورة بل جاءت من الأرض من الثغرة التى احدثها المسلمون فى قاعدة الأسوار . (عن سدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الأصحاح التاسع عشر) .

صمدة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا ولم يلذ احدهم بالفرار
بل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم الاخ يشجع اخاه
ويشد ازره ببسالة
وصمدوا على خرائب الأسوار المدمرة
يحرضون بعضهم بعضا على الكفاح والكهنه يحللهم الكهنوتيه
اشهروا الرماح والسيوف والأحبار الاجلاء
رفعوا راية الصليب بأيديهم وهم يهتفون باعلى اصواتهم :
« لا تخافوا أيها الأبناء الأحباء لا تخشوا أن تموتوا ميتة الأبطال
فانها أفضل من هذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الأولى :

عندئذ احتشدت قوى الأعداء بكامل عددها وعدتها
واندفعوا على ثغرة السور لكن الجنود البواسل
ما لبثوا ان هرعوا اليهم ووقفوا فى وجوههم
وردوهم على أعقابهم .

انحسار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتنى يتم ها هنا حديثى
لكن لا طائل من الصمت لقد اصابتنا وحلت بنا
أرزاء وخطوب جسيمة اذ عندما عجز الأبطال
والمحاربون عن صد الهجوم هتف القائد الجهنمى (زنكى)
بقواته الجرارة وامرهم ان يأتوا على كل شىء
قتلا وسبيا وتدميرا فاحدقوا بالمدينة من كل صوب
وطوقوها ثم اقتحموها ولاحقوا الأهلين واحدا واحدا
أما ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا واما الأقوياء فازدادوا همة وشدة
والبعض سعوا الى الموت حثيثا وآخرون ماتوا ذعرا وهلعا
ونجمع نمر قليل من الرجال غير كاف لحماية الأسوار
لكنهم سرعان ما علبوا على أمرهم لما كان قد لحق بهم من ارهاق
ولما نحملوه فى قتال طويل كان قد بدأ منذ شهر ونيف

اقتحام الأسوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الأسوار خالية من الحرس

فتسلقوها صاعدين واقتحم بعضهم الأسوار
وما أن شاهد الأهالى ذلك حتى استولى عليم الذعر
فأطلقوا أصواتهم صارخين واسرعوا الى الهرب .

أهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب تراجعوا الواحد تلو الآخر
وهرعوا مسرعين نحو باب القلعة
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا فجرت دماؤهم كالسيول :
الشبان والاطفال ذبحوا بلا رحمة
ولم يرحموا شيب الشيوخ ولا براءة الغلمان
ولا حرمة الكهنة ولا جلال الاحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة الغادرين الذين كانوا يحمونها
اقفلوا الأبواب فى وجه الأهالى ولم يسمحوا لأحد بالدخول
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار هربا من حد السيف
وتهافتوا على الأبواب كملجئهم الأخير وراحوا يتسابقون اليها
ويتسارعون ويتصادقون لكن الأبواب اقفلت فى وجوههم
وكانت سيوف الأعداء من خلفهم فتكومت جثثهم على الأبواب
أكواما عالية . رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا
واحداثا من كل جنس وسن . كانت البنات يبكين فاخضان امهاتهن
والأمهات يتشبثن باطفالهن وملاقين الموت معهم
والاباء يسألون عن بنيهم لعلهم يجدون وسيلة لتجاتهم
والأبناء يسعون مع آبائهم بحثا عن مكان امين
لكنهم لم يجدوا من معين مالشقيق لا يبالى بشقيقه
ولا هو يشفق على شقيقته لأنه عاجز عن الحراك
سقط كل واحد فى موضعه بعد ان كفت أنفاسه وانقطعت
أما الذين نجوا فقد هربوا خشية من السيوف الصوارم
من موق جثث القتلى وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لكن جنود الأعداء لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
وراح كل منهم على سجيته وهواه يختار فريسته المفضلة
أما من كان وسيما جميلا فاتخذوه اسيرا
لا سيما من استحسنوهم من فتيات وغلمان

اما الطاعنون فى السن فقتلوهم شر قتل
وكدسوا جثثهم تكديسا ونكلوا بها تنكيلا
فما كفن احد بكفن ولا غطى برداء
ولا دفن فى قبر ولا ذرفت عليه دمعة
لم تسمع فى ذلك المأتم الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف والآباء الروحانيين الاربعة :
الصقلبى(٤) والأرمنى والرومى والسريانى
ضحوا جميعا بانفسهم ولم يهابوا الموت
ولم يهملوا قطيعهم كى ينجوا بانفسهم
حتى أن امام الفرنج خرج بنفسه الى الميدان
واستشهد مع رعيته اما رئيس الطائفة الارمينية
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

عمال السلب والنهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغوا من هذه الأمور سلبوا الذين وقعوا فى اسرهم
والذين سفكوا دماءهم بسيوفهم سلبوهم اموالهم واملاكهم
واملاك آبائهم وأجدادهم وذهب النساء وحليهن
والحلل الثمينة وآنية الفضة والذهب
واوعية البخور المعطرة وستائر الكنائس
وحلل المذابح وملابس الكهنة الثمينة
واردية الأحبار واشياء اخرى كثيرة
مما يدعوا الى الرثاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالفوز والنصر :

اما ائمتهم المدعوين « علماء »
فقد صعدوا الى الأبراج العالية من حيث تقرع الاجراس
وراحوا يصرخون بأصوات عالية هاتفين قائلين :

---

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبى يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت أخباره فى نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد »
ديارك ودارك
المنعبدة لحجارة صماء
وفقا لتعاليم قرآنك
يا مكه العظيمة ، موطن محمد
والقدم المرسومة على صفحتها
جميع هؤلاء المشارقة
وخدام يسوع المسيح » .

لقد استرددنا ماكنا قد فقدناه :
من هذه الأمة الضالة
لقد روينا الأرض من دمائهم
اليك نزف البشرى
يا قبلة الأماني بكعبتها السوداء
اننا سنرد اليك اليوم
عباد الصليب الضالين

رسالة زنكي التي تحمل بشرى النصر الى الخليفة في بغداد :

« السلام عليك ، ابشر
وعلى مدينتهم المنيعة
وليست هذه سوى بداية المعارك
ومن أجل الرسول وليك
فاذكرني اذن يوم الجمعة
كي استطيع ازالة يسوع
وانكل بكل من يدمي

ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعرضت اسمها لاشعة الشمس
التي ساخوضها من أجل دينك
رسول الله ونبيه
لدى صلاتك في المسجد
وجميع اتباعه من على وجه الأرض
لن لله ولدا » .

سبب سقوط الرها في يد زنكي من وجهة نظر فيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله
تمكن من فتح الرها
بل من اجل خطاياي الجمة

ولا ببأس قوانه
وأعمل فيها السيف وسباها
ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(أ) المصادر العربية المطبوعة :

١ ــ ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أبو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشباني الملقب بعز الدين :

(أ) الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الاتابكية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ ــ اسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ ــ ابن أيبك الدوادارى : (٧٣٢هـ) ابو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، حـ ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦١م .

٤ ــ ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، حـ ٩ ، ١٣٥٩هـ ، حـ ١٠ ، ١٣٥٨هـ .

٥ ــ الحسينى : ابو الحسن على بن ابى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ ــ ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) أبو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ ــ ابن خرد اذبة : (ت ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى بغداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ ــ ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ ٥ طبعة ١٢٨٤هـ .

٩ ــ الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين أبى عبد الله محمد

بن أحمد بن عثمان : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٣ الكويت ١٩٦١ ، حـ ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ) أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، حـ ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) .

١١ ـ أبو شامة : (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى : الروضتين فى اخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، حـ ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم : الأعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ ـ الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى . مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .

١٥ ـ ابن العبرى : (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) جريجوريوس ابى الفرج ابن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين ابى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حـ ٢ ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، (من ٥٧٤هـ الى ٥٦٩هـ) .

١٧ ـ الفارقى : (عاش فى القرن السادس الهجرى) أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : تاريخ الفارقى ، القسم الأول ، حققه د . بدوى عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

١٨ ـ أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفدا صاحب حماه : المختصر فى اخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية حـ ٢ ، ٣ .

١٩ ــ ابو الفضـــايل محمد بن على الحموى : التـــاريخ المنصـــورى ، تلخيص الكشـــف والبيـــان فى حوادث الزمـــان ، نشره ووضـــع فهارسه بطرس غزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ ــ ابن القلانسى : (ت ٥٥٥هـ) حمزة بن يعلى : ذيل تاريخ دمشق، طبعـــة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ ــ القرمـــانى : ابو العباس احمـــد بن يوسف بن أحمد الدمشقى : اخبـــار الدول وآثار الأول فى التاريخ .

٢٢ ــ القلقشندى : (ت ٨٢١هـ) ابو العباس احمد : نهايـــة الأرب فى معرفة انســـاب العـــرب ، تحقيق ابراهيم الأبيـــارى ، النـــاشر الشركة العربيـــة للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ ــ ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى : البـــداية والنهـــاية فى التاريخ ، حـ ١٢ ، مطبعة السعادة.

٢٤ ــ ابو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحـــاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ؛ ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٥م .

٢٥ ــ المقـــدسى المعروف بالبشـــارى : (ت ٣٧٥هـ) شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن ابى بكر البنـــاء الشـــامى : احسن التقاسيم فى معرفـــة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ ــ مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ، ترجمـــة حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٢٧ ــ ابن واصـــل : (ت ٦٩٧هـ) جمال الدين محمد بن ســـالم : مفرج الكروب فى اخبـــار بنى أيوب ، حـ ١ (ينتهى بموت نور الـــدين محمود بن زنكى ٥٦٩هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعـــات ادارة احيـــاء التراث القـــديم ١٩٥٣ .

٢٨ ــ ابن الوردى : (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابى الفوارس الوردى : المختصر فى أخبـــار البشر ، حـ ٢ المطبعة الوهبيـــة بمصر ١٢٨٥هـ .

٢٩ ــ ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شـــهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغـــدادى : معجم البـــلدان ، دار صـــادر ودار بيروت .

٣٠ ــ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ، (من رجال القرن الخامس الهجرى): تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطات والميكروفيلم :

١ ـ ابن ابى الدم الحموى : (ت ٦٤٢هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٩٦٦ تاريخ .

٢ ـ ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩هـ) صارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهة الانام فى تاريخ الاسلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٨٥١ تاريخ .

٣ ـ الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٤ ـ ابن الساعى : (ت ٦٧٤هـ) على بن انجب المعروف بأبن الساعى البغدادى : اخبار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .

٥ ـ سبط بن العجمى الحلبى : (ت ٨٨٤هـ) موفق الدين ابى ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .

٦ ـ ابن شاكر الكتبى : (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن : عيون التواريخ ، حـ ١٣ ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧٢ تاريخ .

٧ ـ ابن الشحنة : (ت ٨١٥هـ) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥م تاريخ .

٨ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٩ ـ العينى : (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، حـ ١٥م ٣ ، ٤ ، حـ ١٦م ١ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٠ ـ الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .

١١ ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد : تاريخ الدول والملوك ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ .

١٢ ــ ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين ابي الفضل محمد بن ابى بكر بن احمد بن قاضي شهبة الاسدى الدمشقى الشافعى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين محمود بن زنكى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٢٣٧ (١) تاريخ .

١٣ ــ النويرى : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة حـ ٢٥ د ٢٦ .

١٤ ــ ابو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبى ــ ت ٥٨٩هـ) : تاريخه ــ القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٩٤٥ تاريخ .

(ج) المراجع العربية

١ ــ اسحاق تاوضروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ ــ اسد رستم : الدكتور : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، حـ ٢ دار المكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ ــ اغناطيوس افرام الثانى : بطريرك السريان الانطاكى : مقاله فى سورية ، طبعة بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ ــ حسن حبشى : (الدكتور) :
نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ ــ زامبور : المستشرق . معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، اخراج د . زكى محمد حسن ، د . حسن احمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول حـ ١ (١٩٥١) ، حـ ٢ (١٩٥٢) .

٦ ــ الطباخ الحلبى : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الأولى ، حـ ١ ، ٢ (١٣٤٣ ــ ١٩٢٣) .

٧ ــ عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ ــ الحركة الصليبية : ، حـ ١ ، ٢ الطبعة الأولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٧ — سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابى الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ٣ ، المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

١٠ — محمد كرد على : خطط الشام — حـ ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى حـ ٣م ٣ — (١٨٩٨م) حـ ٦ (١٩٠٢م) ، المطبعة العمومية المارونية فى بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة : بقلم احد رهبان دير السيدة برموس فى بريه انبا مقاريوس ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.

2. — Anna Comnena : .
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.

4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.

5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, Englsih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :

1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.

7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London ; 1904.

8. — Cahen (C.) :
La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.

9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939

10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.

11. — Chalandon (F.) :

1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.

12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.

13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.

14. — Der Nersessian (S,) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.

15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.

16. — Dussaud (R.) :
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Litteraire d'Edesse jusqu'à la première Croisade, Paris.

18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de 888 à 1125, Paris 1930.

19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chroncile of the Crusades, London, 1932.

20. — Grousset (R.) :
1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.

21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III, 1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest, 1946.

22. — Hayes (E.R.) :
L'École d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.

23. —Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908) T.V. 1er Partie (Paris, 1912).

24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.

25. — Iorga (N.) :
1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.

26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises separées d'Orient Paris, 1930.

28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, traduit par A. Vidick ; Belgium, 1960.

29 — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.

30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.

31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.

32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.

33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.

34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.

35. — Oldenboug (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.

36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.

38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.

39. — Recueille des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.

41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.

42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954, V. 2, 1952.

43. — Schulmberger (G.) :
1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.

44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pensylvania Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.

45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888. Novembre — Décembre.

46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900.

47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2, Paris, 1923.

48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.

49 — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2 Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

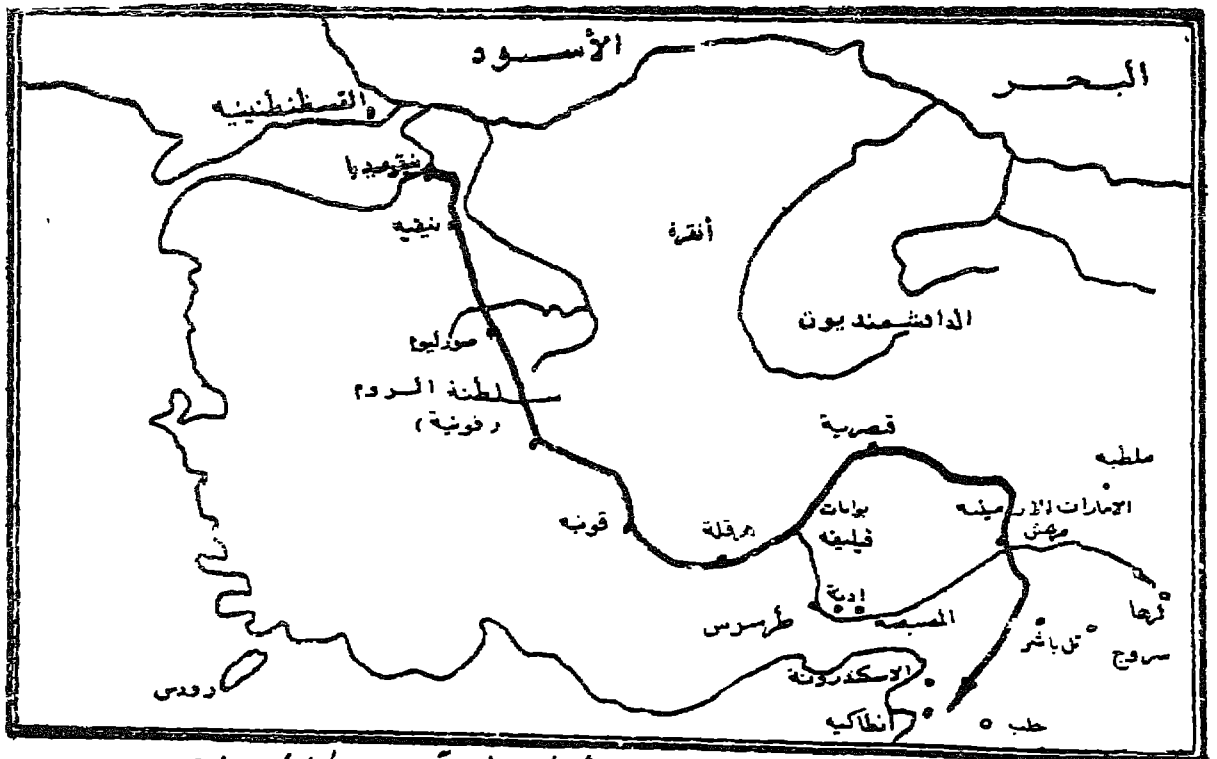

مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى

عن : J. PRAWER : HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1. P 206

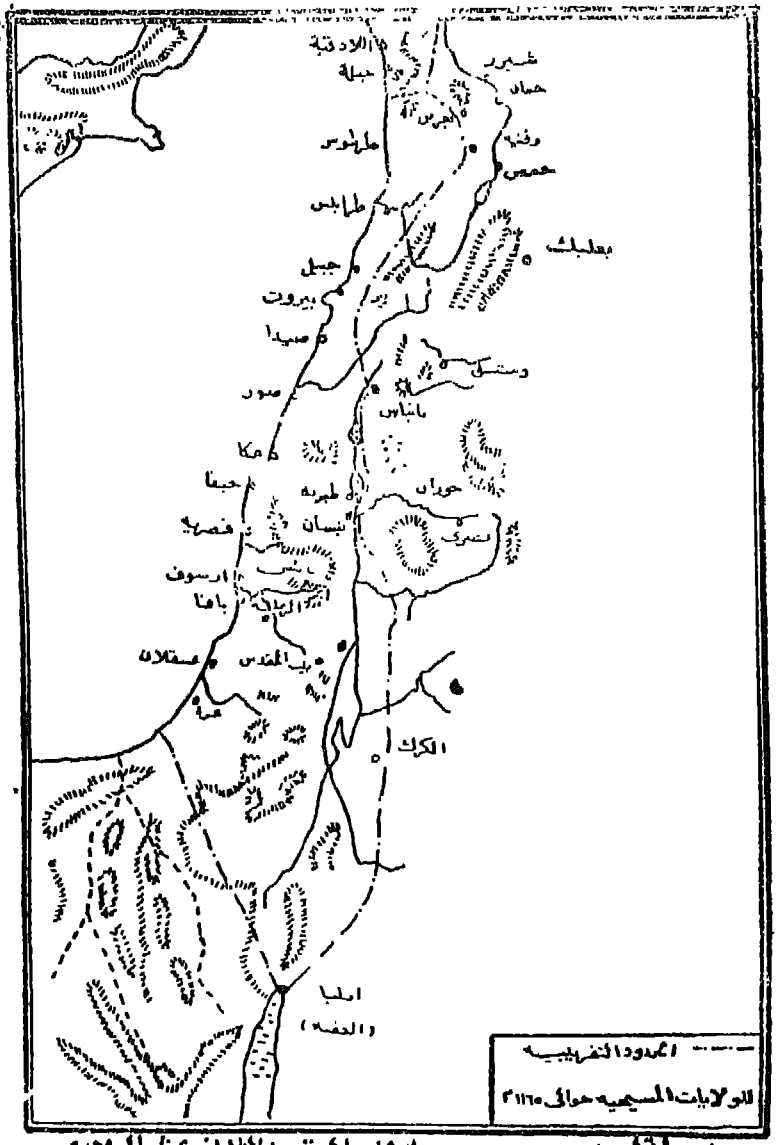

خريطة لجنوب سورية في القرن الثاني عشر الميلادي

عن : S.RUNCIMAN : A HISTORY OF THE CRUSADES, V.2, P. 145

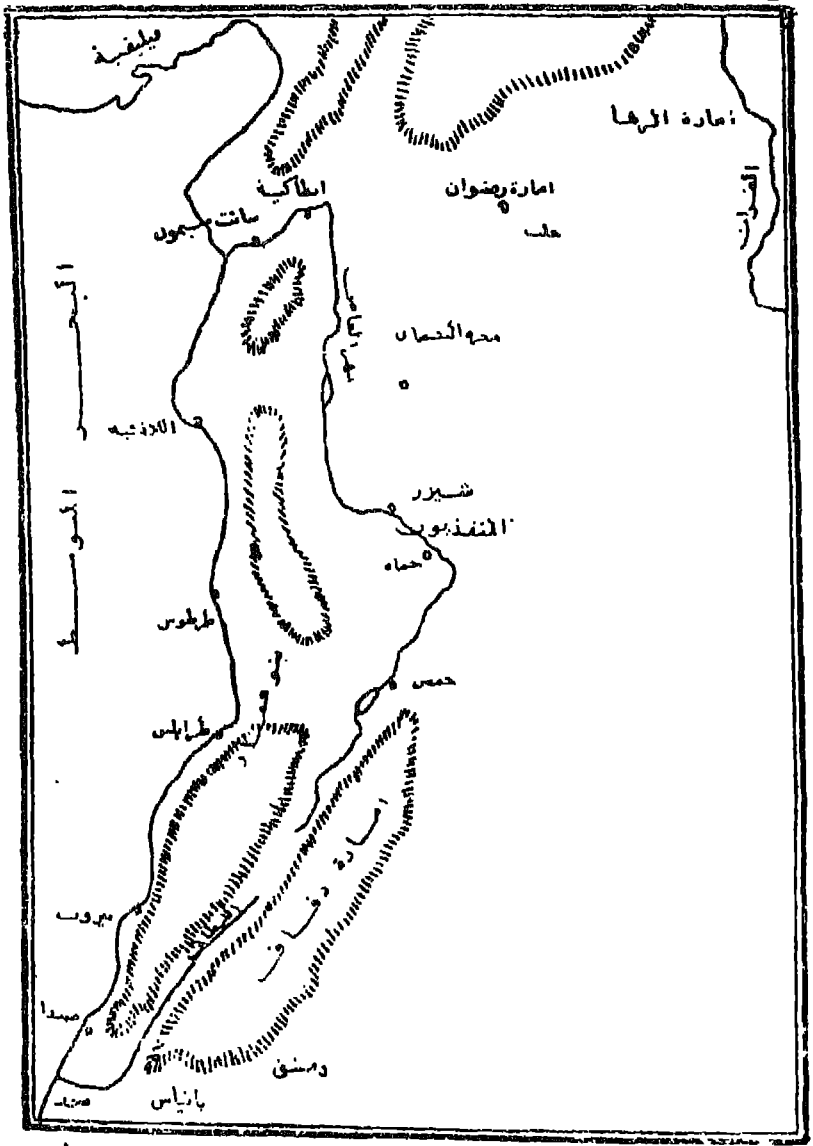

الإمارات الاسلامية في سورية عند قيام إمارة الرها

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

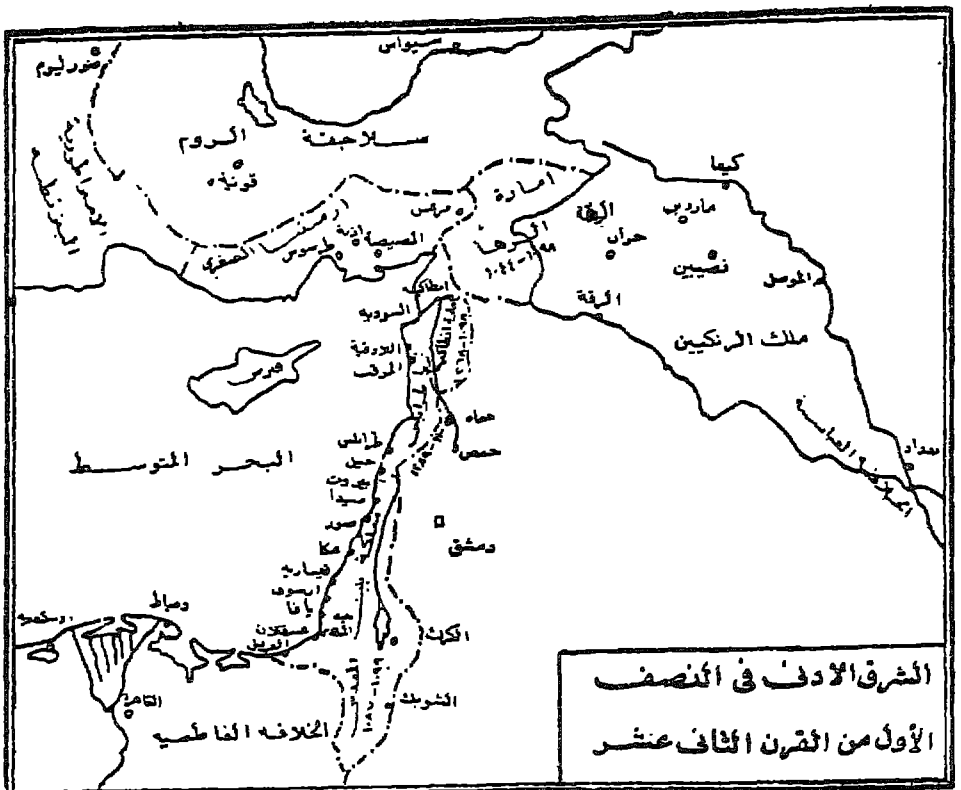

عن: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول ص ٥١٠.

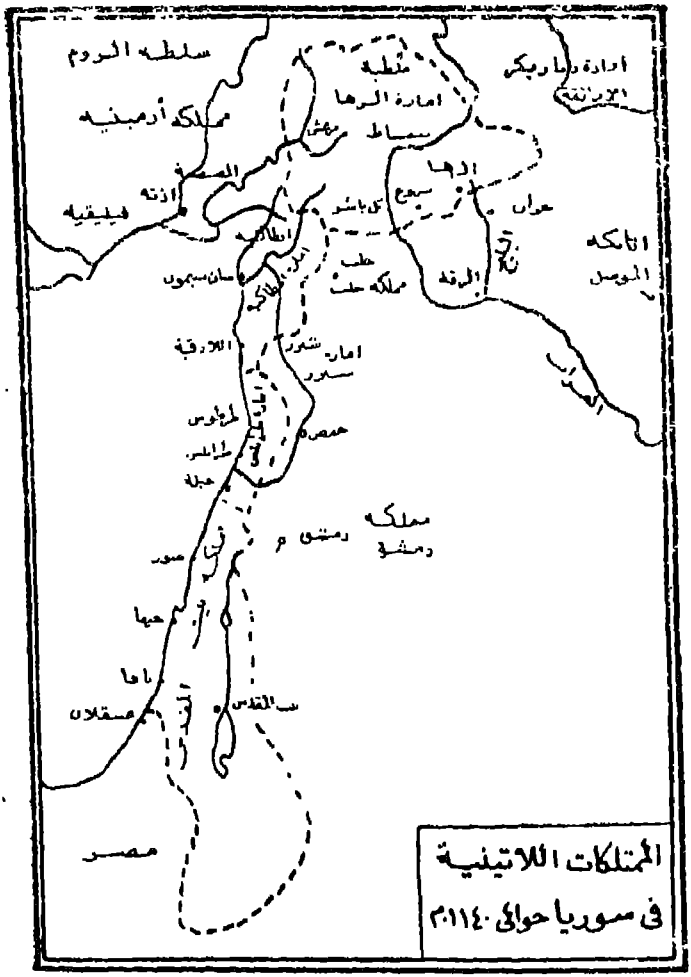

عن :

ZOÉ OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247

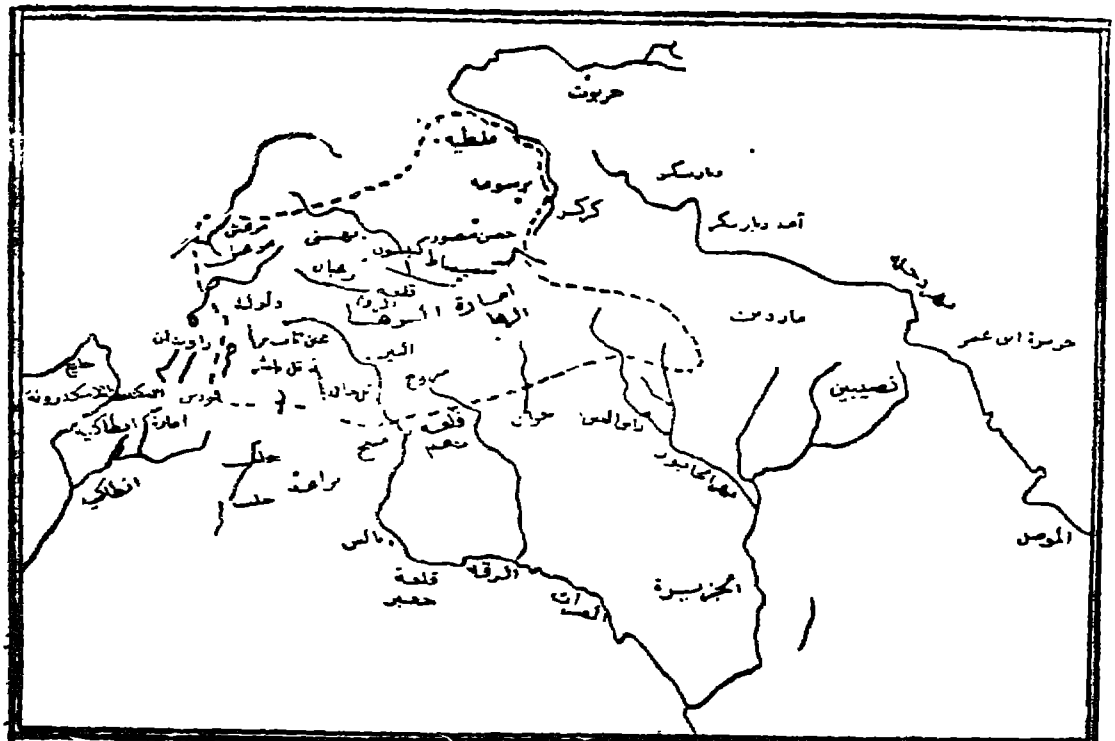

إمارة الرها في أقصى اتساعها

عن : R.GROUSSET : L'EMPIRE DU LEVANT, P.P : 200-201

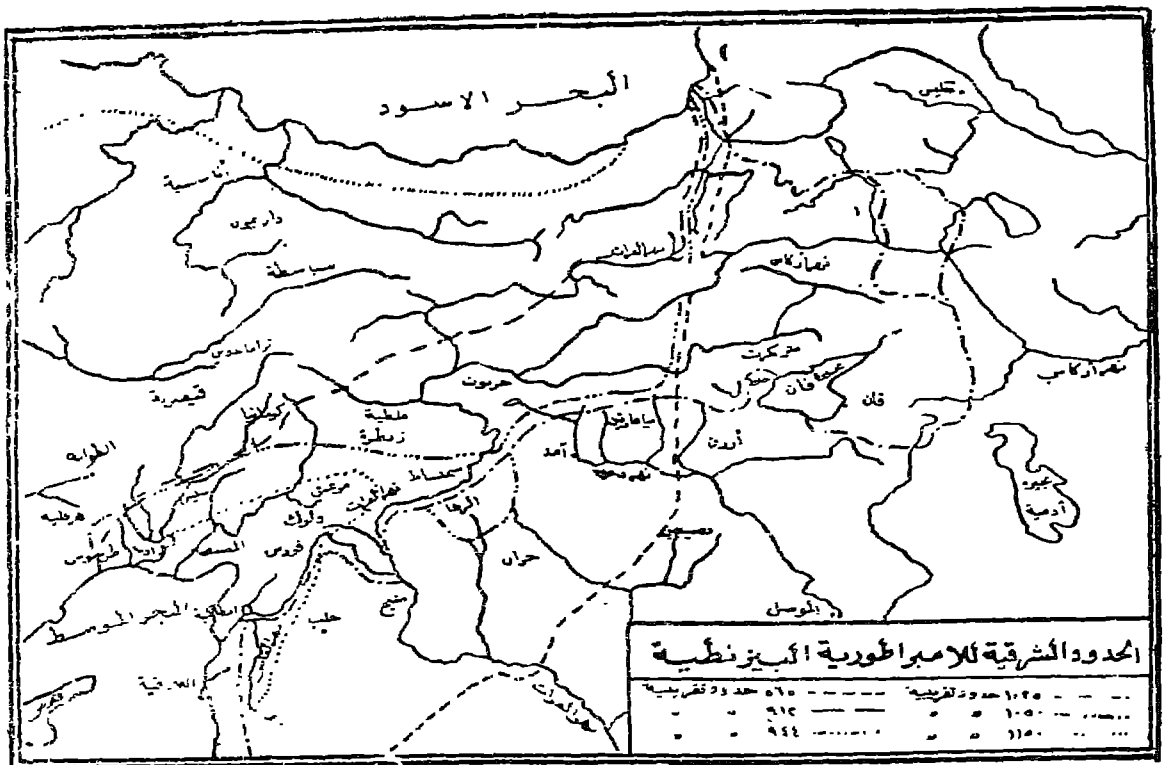

عن : THE CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY V.IV, PART.1 P.699

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة	٩
دراسة تحليلية لمصادر البحث	١٣
تمهيد	٢٣
تفسير اسم الرها	٢٣
تاريخ المدينة القديم	٢٨
مكانة الرها فى ظل المسيحية	٢٩
دخول الرها فى حوزة المسلمين	٣٥
دخولها تحت نفوذ البيزنطيين	٣٦
أهمية موقع الرها	٣٩
علاقة الرها بالأرمن	٤٠
وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن	٥١
انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها	٥٢

الباب الأول

قيام أمارة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها	٧١
بلدوين وحكم بيت المقدس	٨٨
امارة بلدوين دى بورج على الرها	٩٧

الموضوع	الصفحة
وضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعه حران	٩٩
الرها تحت حكم تنكريد	١٠٩
العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين	١١٦
أمارة جوسلين دى كورتناى على الرها	٢٢١
أسر جوسلين	١٢٥
جوسلين الثانى	١٢٣
الباب الثانى	
علاقة امارة الرها الصليبية بجيرانها	١٣٥
أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها	١٣٥
علاقة الرها بسلاجقة فارس	١٣٦
بسلاجقة قونية	١٦٥
بحلب وضواحيها	١٦٨
بأرتقة ماردين	١٩٠
بأرتقة ديار بكر	١٩١
بأمد	١٩٢
ببنى دانشمند	١٩٤
ببنى مزيد فى الحلة	١٩٥
ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام	١٠٣
علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول	١٠٣

الموضوع الصفحة
علاقة الرها ببيت المقدس ١٩٩
بأنطاكية ٢١١
بطرابلس ٢٣٤
ثالثا: علاقة الرها بالأرمن خارجها ٢٤٤
رابعا: علاقة الرها بالدولة البيزنطية ٢٥٤
الباب الثالث
نهاية امارة الرها ٢٦٦
جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية ٢٦٦
تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية ٢٧٩
سقوط الرها فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م ٣٠١
ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرهام ١١٤٤م ٣١٤
مقتل عماد الدين زنكى ٣١٨
ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م ٣٢٠
جيران الرها وبقايا الامارة حتى أسر جوسلين الثانى ٣٢٩
سر جوسلين الثانى ٣٣١
اندثار امارة الرها بعد أسر جوسلين ٣٣٣
الباب الرابع
أوضاع أمارة الرها الداخلية والحضارية ٣٣٧

الموضوع	الصفحة
(أ) طبقات المجتمع	٣٣٧
(ب) الحياة الاقتصادية.....	٣٣٧
(جـ) كنيسة الرها والحياة الدينية فيها	٣٦٥
الخاتمة	٣٨١
الملاحق	٣٨٦
مصادر البحث	٤٠٢
خرائط	٤١٢

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
حمود فورى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ـ١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر،
حمال بدوى، ١٩٨٨
٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د توفيق الطويل، ١٩٨٨.
٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩.
٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى،
١٩٨٩.
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.
٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.
٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الأفريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د . يوناس لبيب رزق، محمد مرين، ١٩٩٠.
٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠
٣٦ ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة . د . أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠
٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د. حميل عبيد، ١٩٩٠.
٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠
٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.
٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.
٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١.
٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١.
٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د . عبد الرؤوف أحمد عمر ،
١٩٩١.

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . رويدة عطا، ١٩٩١ .

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .

٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .

٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العليم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .

٧١ ـ مذكرات اللورد كلين (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .

٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د . أميدة أحمد إمام، ١٩٩٤ .

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .

٧٤ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د . سمير يحيى الحمال، ١٩٩٤ .

٧٥ ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .

٧٦ ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .

٧٧ ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د . رمزى ميخائيل، ١٩٩٥ .

٨٢ ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .

٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥ .

٨٧ ـ مذكرات اللورد كلين، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق. د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦ .

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نحوى كامل، ١٩٩٦ .

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،
أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى،
أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى،
اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الحوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ـ ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى)
(١٨٧٦-١٩٤٣)
د. يحيى محمد محمود
١٣٠ ـ تاريخ لقانات الفنانين فى مصر
(١٩٨٧-١٩٩٧)
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. مصطفى محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ عمار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة العناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢١٦ ـ ١٢٦٥هـ
١٨١١ ـ ١٨٤٨م
طارق عبد العاطى غديم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفى أحمد بصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩ .

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م
د. مديرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم حلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. مديرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الحمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجدروزى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجدروزى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حرب الوقد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
نسرى عبد الغنى
١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
محدى عبد الرشيد بحر
١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت
١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
د. أحمد عبد الحليم درار
١٧٥ ـ محمد توفيق سميم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية
اراء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حلفى
١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد
١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان
١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة
١٨٤ ـ المولفى فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق
١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) جـ٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة.

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفة عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد شلبى

١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ١
د. محسن على شومان

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢
د. محسن على شومان.

١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د. فتحى الصنفاوى

١٩٥ ـ مجتمع أفريقيا فى عصر الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبدالعظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة

١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية (تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)
د. بهاء الدين ابراهيم محمود

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشماليةعبر العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م) .
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ ـ إمـارة الحج فى مـصـر العثمانية (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ ـ المندوبون السامـيـون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود

٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب

٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مـصـر وبريطانيـا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى

٢٠٥ ـ تاريخ الغربيـة وأعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ ـ مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور

٢٠٨ ـ الدور المـصـرى والعـربى فى حـرب تحـرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر

٢٠٩ ـ الدور المـصـرى والعـربى فى حـرب تحـرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر

٢١٠ ـ قبرس والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور

٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د. علية عبدالسميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية

0334437

٦٢٥ قـرشـا
مطابع الهيئة المصرية